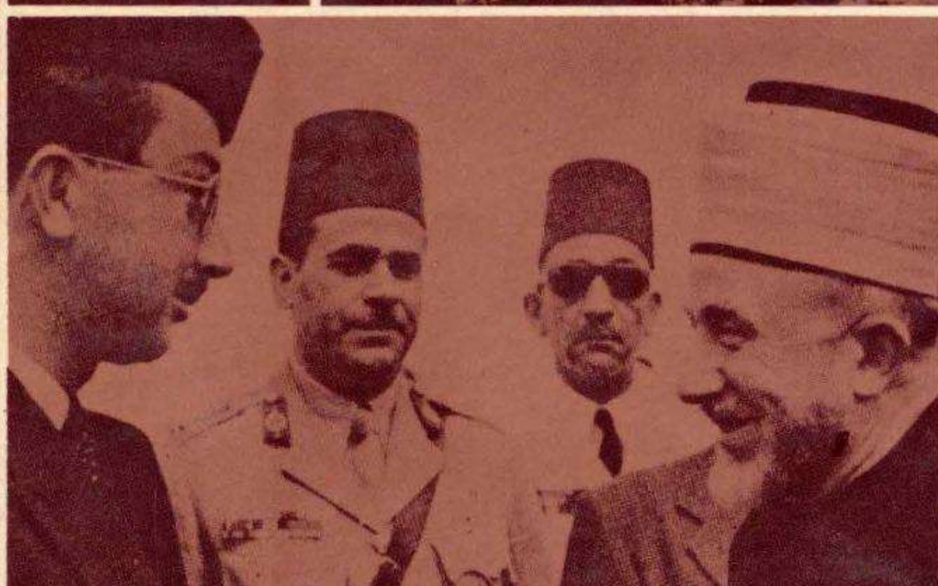
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

محمود شبيب

# صفحات مطوية من تاريخ العراق









# صفحات مطوية من تاريخ العراق

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ ت ٨٠٧٩٠١
برقياً موكيالي بيروت ـ ص.ب ٥٤٦٠ / ١١ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨١

محمود شبيب

# صفحات مطوية من تاريخ العراق

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

الى

والدتي التي قضت صبراً

فعلمتني الدرس

الى

الفلاّحة التي زرعتني

في هذه التربة

# مقـــدمـــة

ما دار لي حديث مع أحد من أصحاب الإختصاص أو الإهتمام بتاريخ العراق والعرب المعاصر أو بجانب منه ؛ الا وساد اتفاق على أنه غامض ومجهول في معظم وقائعه الأمر الذي يتطلب المزيد والمزيد من الإنكباب على دراسته وتتبع خفاياه واظهارها ، بامانة وبطريقة علمية ، خدمـــة للحقيقة والأجيال ، حاضرها والقادم منها ، وان كان ذلك ، دون شك ، مصدر للأعياء والتعب يتناسبان مع سعة الموضوع وتعقيده فكيف اذا أريد دعمه بالصور والوثائق ؟

والواقع ، فان هذا السبب ، اضافـة الى ولعي الشخصي الـذي نما وتطور خلال سنوات طويلة من البحث والقراءة وتكديس المعلومات والوثائق والصور وتصنيفها والمحافظة عليها ، هو الذي دفعني الى تكريس كل ما لدي من وقت وجهد ومال حتى وفقت الى اصدار ثلاثة كتب أقبل عليها القراء ، بشهادة أصحاب المكتبات ، بشكل قلّ أن حظي به كتاب عراقي من هذا المجال وبحيث أنها نفذت أو على وشك النفاذ كما أنها غير متوفرة لعدد كبير من الباعة خاصة في المحافظات .

والكتب الثلاثة هي : « محمود سلمان ... طريق المجد الى أرجوحة الأبطال » و « أسرار عراقية في وثائق انكليزية وعربية والمانية » و « جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر » . والآن فان شعوراً عميقاً بالفخر والفرح يسيطر عليّ وان أقدم لأبناء وطني كتابي الرابع هذا الذي أريد له أن يتحدث عن نفسه تاركاً الحكم لك ، عزيزي القارىء ، فأنت وارضاؤك هدفي ومقصدي .

محمود شبيب

# الفصل الاول

## بكر صدقي واليسار العراقي

في ٢٩ تشرين الأول ، ١٩٣٦ ، وقع في العراق أول انقلاب عسكري في تاريخ العرب الحديث بقيادة الفريق « بكر صدقي » وكيل رئيس أركان الجيش [١] وقائد الفرقة الثانية بالتعاون مع الفريق « عبد اللطيف نوري » قائد الفرقة الأولى [٢] الذي أصبح وزيراً للدفاع في حكومة « حكمت سليمان » التي تألفت في نفس اليوم الذي حقق فيه الإنقلاب المذكور نجاحاً غمر الناس ، من مسؤولين وغير مسؤولين ، بالدهشة البالغة .

وبغض النظر عن رد الفعل السلبي العنيف تجاه الإنقلاب ووزارة « حكمت » لدى أعوان ومؤيدي « ياسين الهاشمي » رئيس الوزراء

---

(١) كان العميد ( فريق أول آنذاك ) طه الهاشمي ، رئيس أركان الجيش ، في الإجازة في بعض الأقطار الأوربية وقد وقع الإنقلاب يوم وصوله إلى « أنقرة » في طريق العودة حيث أبلغ بقرار احالته على التقاعد .

(٢) اقتصر الجيش العراقي حينئذ على فرقتين تأسستا عام ١٩٣ بعد تطبيق قانون الخدمة الإلزامية من جانب وزارة « ياسين » .

الذي أبعد عن السلطة اذ نظر اليه هؤلاء باعتباره قائداً وموجهاً وزعيماً للإتجاه القومي العربي في العراق بمساندته ثورة فلسطين التي اندلعت ذلك العام بالرجال والمال والسلاح وكذلك دعمه كفاح سوريا من أجل الخلاص من الإنتداب الفرنسي ، فما أن عرفت أسماء التشكيلة الوزارية الجديدة حتى وجهت الإتهامات الى الإنقلاب بأنه « يساري » ، لا بل وصل الأمر الى حد نعته « بالشيوعي » رغم أن أقطابه لم يتخذوا أي اجراء عملي في هذا الإتجاه ؛ ليس في الأيام الأولى للإنقلاب وحتى بعده بشهور عديدة الى أن انهار بالمرة بمقتل « بكر » في الموصل في ١١ آب ، ١٩٣٧ ، وسقوط وزارة « حكمت » بعد ذلك بأيام .

## بداية الأهالي

ولكي ندرك السبب الكامن وراء اتهام مثل هذا ، وهو أول اشارة « لليسارية » و « الشيوعية » يوجه الى أية حكومة عربية في المشرق العربي ، ينبغي القول بأن الحكومة الإنقلابية ضمت كلا من « جعفر أبو التمن » المعتمد العام السابق للحزب الوطني الذي بادر الى حل نفسه أواخر عام ١٩٣٣ ؛ أي أيام وزارة « رشيد عالي الكيلاني » الثانية و « كامل الجادرجي » و « يوسف عز الدين ابراهيم » وهم أبرز قادة جماعة « الأهالي » التي يمكن تعريفها بما يلي : « تأسست جماعة الأهالي عام ١٩٣١ على يد حفنة من الشبان المتحمسين الذين يحملون أفكاراً متحررة ... وقد حملت الجماعة اسم الأهالي (١) ، وهي الجريدة

(١) صدر العدد الأول منها في ٢ كانون الثاني ، ١٩٣٢ .

اليومية الناطقة باسمها ... »[١] وفي عام ١٩٣٣ صدر كراس أطلق عليه اسم « الشعبية »[٢] بتأثير مباشر من « عبد الفتاح ابراهيم »[٣] .

وقبل الدخول في تفاصيل الأحداث ، نرى اقتباس بعض ما ورد في كراس « الشعبية » خاصة فيما يتعلق بالسياسة الداخلية :

« ج – المبادىء الشعبية الإقتصادية .

١ – الخطة : على الدولة أن تضمن سير الحياة الإقتصادية على خطة معينة تضعها تكون ملائمة لوضع البلاد الإقتصادي وحاجات الشعب .

٢ – الصناعة : على الدولة أن تؤمن سيطرتها الإقتصادية على الصناعات المهمة أما بقيامها وحدها بتلك الصناعات مباشرة[٤] وأما باشتراكها في رأسمال الصناعة بصورة تضمن لها تلك السيطرة على أن تترك للأفراد حرية القيام بالصناعات الصغيرة والمهن الحرة . وعليها أن تقوم ببيع منتجات مصانعها الى المستهلكين مباشرة .

٣ – تقوم الحكومة بتوزيع الأراضي الأميرية[٥] على الفلاحين لإستغلالها

---

(١) *Khadduri, Majid, Independent Iraq, p, 69—70*

(٢) نسبة إلى حكم الشعب ذاته .

(٣) شخصية يسارية معروفة تولت عام ١٩٤٦ مهمة تأسيس حزب « الإتحاد الوطني » ورئاسته عندما فسح المجال أمام تأسيس الأحزاب العلنية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ثم الغي الحزب على يد وزارة « صالح جبر » في أيلول ، ١٩٤٧ . وتاريخ صدور الكراس مأخوذ من مذكرات « الجادرجي » ص ٤٩

(٤) اشارة مباشرة إلى التأميم .

(٥) أي المملوكة للحكومة وكانت ، في معظمها ، بأيدي الإقطاعيين .

من قبلهم وتأسيس المزارع الرسمية « وتكون نسبة ضريبة الأراضي الصغيرة أقل من نسبة الأراضي الكبيرة »[١] » .

## هل هي شيوعية ؟

ولم تحاول جماعة « الأهالي » تشكيل حزب سياسي خاص بها لذا ظلت أفكارها محدودة ضمن نطاق معين من السياسيين البعيدين عن السلطة وفئة من المثقفين الذين تلقوا دراستهم خارج العراق ومن خريجي كلية الحقوق العراقية

ويقول « خدوري » بهذا الصدد : « والواقع ، فان أفكار الشعبية لم تشق طريقها كما يجب ، وذلك يعود بصورة رئيسة إلى معارضة السياسيين الكبار والدعاية المضادة من قبل القوميين الذين أعلنوا ، بعنف ، ان الشعبية ليست سوى شيوعية تحمل اسماً مختلفاً ، ولهذا فانها مناقضة للتقاليد القومية العربية وموجهة نحو تهديم تعاليم الإسلام[٢] » .

ونتيجة لذلك ، عطلت « الأهالي » أيام وزارة « علي جودت » التي تألفت في ٢٧ آب ١٩٣٤ ، فلما جاء « ياسين » إلى السلطة في آذار ، ١٩٣٥ ، سمح للصحف المعطلة بمعاودة الصدور ومنها « الأهالي » . غير أنه سرعان ما ضاق ذرعاً بما ينشر فيها على رأي « الجادرجي » الذي يقول : « وبعد تعطيل الجريدة[٣] واخماد حركة خوّام[٤] خيم

(١) مذكوات الجادرجي ، ص ٤ — ٥ .

(٢) *Khadduri*, p 69—70.

(٣) من جانب ياسين .

(٤) شيخ عشيرة في منطقة « الرميثة » قام بتمرد ضد حكومة « ياسين » عام ١٩٣٥ وأخمدها الجيش بقيادة « بكر »

على المملكة فتور عميق ، وقد تأثرت جمعيتنا أيضاً بهذا الفتور ، ولم يظهر نشاط سوى نشاط جماعة الشيوعيين الذين كانوا يصدرون جريدة يسارية باسم « كفاح الشعب » فطاردتها الحكومة ، واوقفت بعض الشباب بتهمة نشر الجريدة المذكورة ، كما أن الحكومة شددت علينا رقابتها لترى ما اذا كان لنا علاقة بالنشر المذكور[1] »

## شكوك

وفي هذه الأثناء ، دخل الساحة عامل لم يكن في الحسبان ذلك أن « ياسينا » أخفق في التوفيق بين زميليه القوميين في حزب « الأخاء » الذي عارض معاهدة ١٩٣٠ التي عقدها « نوري السعيد مع » الإنكليز وهما « حكمت » و « الكيلاني » اللذين لعبا الدور الأول ، والحاسم ، في اثارة عشائر الجنوب والوسط عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ لإسقاط حكومات « جودت » و « جميل المدفعي » .

كان كل من الرجلين يتطلع إلى اشغال وزارة الداخلية لما لها من سيطرة على الشرطة والصحافة وتأثيرها على شيوخ العشائر ، ونظراً إلى شكوك « ياسين » بوجود علاقة « عقائدية » بين « حكمت » و « أبو التمن » الذي أتهم بأنه يحمل أفكاراً « يسارية » وحتى « شيوعية » فقد ارتأى رئيس الوزارة الجديد أن يعهد بالمنصب إلى « الكيلاني » عارضاً وزارة المالية على « حكمت » الذي رفض الفكرة كلية مما تطور ، بالتالي ، إلى خصومـــه سياسيـــة عنيفة بين الرجلين . وكانت تلك الحادثة سبباً في تقوية علاقات « حكمت » مع اقطاب جماعة « الأهالي » خاصة « كامل »

---

(١) الجادرجي ، ص ٣٨ .

و « أبو التمن » الذي انضم اليهم مؤخراً .

ولم تكن هذه الصلة خافية عن « ياسين » أو انصاره ، لكن الموضوع الذي لم يخطر على البال أن يستطيع « حكمت » الربط بين « بكر » وجماعة « الأهالي » بحيث بلغت هذه الصله ذروتها الدراماتيكية بالإنقلاب الذي أطاح بحكومة « ياسين » بضربة خاطفة .

## تناقض

نعود إلى « الجادرجي » : «وفي محادثاتنا ، نحن جماعة الأهالي وجعفر ، قررنا ضم حكمت للجمعية ووضعنا صيغة يمين لأعضاء الجمعية من الدرجة الأولى .. وبعد أن تأسست الجمعية السرية بهذا الشكل بدأنا أنا وعبد الفتاح إبراهيم ومحمد حديد في الإتصال بجماعة من الشباب والموظفين كما اتصل أبو التمن بجماعة خاصة من الحزب الوطني وأخذ حكمت على عاتقه الإتصال برجال الجيش وقد جعل نقطة الإتصال بكر صدقي [1] . »

هنا تبرز نقطتان كان لهما الدور الحاسم في تطور الأمور فيما بعد :

أولاً : روى « حكمت » لأعضاء الجمعية ، أي كامل وأبو التمن وحديد بالذات ، ان « بكراً » قد أقسم يمين « الأهالي » بينما يتناقض هذا الخبر مع رواية « للجادرجي » مفادها ان « حكمت » اجتمع بالثلاثة المذكورين قبيل الإنقلاب بأيام وأخبرهم أن « بكراً » و « عبد اللطيف » قد أعدا عدتهما لتنفيذ الإنقلاب وروى لهم أن وكيل رئيس أركان الجيش قد عرف بأن قائد الفرقة الأولى كان في وضع يائس لأسباب خاصة وقال

---

(١) الجادرجي ، ص ٣١ – ٣٢ .

له بأنه سينتحر ، فاقنعه بأن بامكانه المشاركة في انقلاب ضد الحكومة بدلا من الإنتحار وان « حكمت » قد روى الخبر بصورة فهم منها زملاؤه المذكورون ان الأمر معد ومنته ، وقال لهم أن عدم موافقتهم سوف لا لا تغير من الأمر شيئاً » ، وفي هذه الحالة سيتعاون العسكريون مع اناس آخرين ...»[1]

## على أي أساس ؟

من ذلك ، يتضح أن « بكر » لم يخطط للقيام بالإنقلاب وتنفيذه على أساس « عقائدي » بل لمجرد تطلعه للسلطة ومـــا يعقب ذلك من مجد شخصي له وامتيازات تشمله وأعوانه من الضباط الذين التفوا حوله في غضون الحركات العسكرية التي تولى قيادتها في الشمال والجنوب وهذا ما ثبت فعلاً[2].

ثانياً : وعلى الرغم من أن « حكمت » قد لعب دوراً لا يستهان به داخل جماعة « الأهالي » وان له الفضل الأول والأخير في ربط الجيش بالجماعة ، الا أن هناك شبه اجماع على انه كان ينوي ، في حالة نجاح الإنقلاب وتكليفه بتأليف الوزارة الجديدة ، أن يزامل كلاً من « نوري » وزير الخارجية في حكومة « ياسين » و « جعفر العسكري » وزير الدفاع فيها ، وان ذلك لم يتم نظراً لقيام « بكر » باغتيال الأخير بعد ان حاول

(١) الجادرجي ، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٢) ان هذا لا ينفي أن « بكراً » عندما أصبح رئيساً للأركان قد عمل من أجل تقوية الجيش العراقي وتنويع مصادر تسليحه ، خاصة من المانيا وايطاليا ، بدلا من الإعتماد الكلي على بريطانيا وبذلك كان أول من كسر احتكار السلاح هذا .

الوصول إلى مقر قائد الإنقلاب لمحاولة اقناعه بوقف زحف الجيش على « بغداد » .

وبديهي أن رجلاً ، مثل « حكمت » لديه هذه النية لا يمكن أن يحمل أية أفكار « يسارية » ناهيك عن « الشيوعية » . ذلك أن « نوري » و « جعفر » معروفان لدى جميع الأوساط بأنهما من أبرز أركان ما يمكن تسميته « باليمين » العراقي اذا جارت هذه التسمية بدعوتهما ، وعملهما الفعلي الدؤوب ، إلى المحافظة على الأرتباط ببريطانيا وسياستها وصيانة النظام الملكي ، رغم عدم ميلهما الشخصي إلى الملك غازي ، ودعم الإقطاع بكل صورة ، لا بل إن « نوري » ظل على هذه المواقف حتى اللحظة الأخيرة من حياته . وبديهي أيضاً أنهما كانا لا يفكران في احداث أي تغيير جوهري في العلاقات الإقتصادية داخل المجتمع العراقي أو اقامة صلات ، من أي نوع كان ، مع الإتحاد السوفيتي الدولة الإشتراكية الوحيدة في العالم آنذاك ، ومنافس بريطانيا خاصة والغرب عامة ، والذي يميل اليه « اليساريون » في كل مكان بشكل طبيعي .

وهذه الحقائق ، وتنكر « حكمت » بعد مجيئه للحكم ، حتى للبرامج « الإصلاحية » التي كان يطرحها في جريدته « البيان » التي أغلقها « ياسين »[1] وتصريحاته[2] لصحيفة « البلاد » بعد عودته من

---

(١) ومن الطريف أن الصحيفة أغلقت لأنها « شيوعية » كما أن « حكمت » أدلى بحديث مطول إلى صحيفة « صوت الأحرار » اللبنانية ظهر في « البلاد » بتاريخ ٢٥/١١/٣٦ قال فيها أن « ياسين » يتهمه « بالشيوعية » وانه يستغرب ذلك كل الإستغراب لأن الإخير يعرفه جيداً !

(٢) التصريحات موجودة نصاً في كتاب « أسرار عراقية في وثائق انكليزية وعربية والمانية » للمؤلف .

تركيا وما قيل عن تأثره بما شاهده على يد « كمال اتاتورك » تؤكد أن نقمة « حكمت » على « ياسين » كانت تعود ، في الغالب ، لأسباب شخصية وذات صلة بالسياسة الداخلية للأخير وحقده على تمركز رئيس الوزراء في الحكم [١] . كما أن تصرفاته العملية ووقوفه إلى جانب « بكر » بشكل مطلق ضد جماعة « الأهالي » التي يفترض أن يكون أحد قادتها البارزين و « اليسار » وحملة الأفكار « الماركسية » تدفع المرء للإعتقاد أنه أراد اتخاذ الجماعة سلماً للوصول إلى السلطة أولا ، والإنتقام من « ياسين » و « الكيلاني » ومن يقف إلى جانبهما بالدرجة الثانية .

## تركيز

ذكرنا في البداية أن تهمة « اليسارية » قد وجهت إلى وزارة الإنقلاب [٢] لأنها ضمت عدداً من جماعة « الأهالي » غير أن هناك أسباباً أخرى زادت من التركيز على هذا الإتهام منها :

أولاً : قبل أن تجد وزارة « ياسين » نفسها مرغمة على الإستقالة بعد الإجتماع الطارىء الذي عقد في « قصر الزهور » برئاسة الملك « غازي » وحضره السفير البريطاني « السير ارشيبالد كلارك — كير » ورئيس

---

(١) كان « ياسين » قد خطب في البصرة في أيلول ، ١٩٣٦ ، وعبر عن « الأمل » في أن يظل في منصبه عشر سنوات ، ولهذا فلماحاول « رؤوف الجادرجي » صديق الرجلين اجواء مصالحة بينهما رد عليه حكمت :

« اذا كان ياسين يريد البقاء في الحكم عشر سنوات فلماذا يحاول التفاهم مع المعارضة »

(٢) لم يحاول أحد ، لحد الان ، الإشارة إلى وجود مثل هذا الإتجاه لدى « بكر » ذاته ، بل الأمر على العكس ذلك أن خصوم « اليسارين » علقوا كل آمالهم عليه في التخلص من هؤلاء كما سنرى فعلا .

الوزراء و « نوري » و « جعفر » واعقبه قصف العاصمة بالقنابل من جانب الإنقلابيين في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ذلك اليـوم ، طيّر فريق من المحامين منهم « عبد القادر اسماعيل » المعروف بآرائه « الماركسية » برقية إلى الملك في « تأييد الجيش » والإسترحام باجابة « مطاليبه » التي هي مطالب « الشعب » أيضاً .

ثانياً : بعد أربعة أيام من نجاح الإنقلاب ، أي في ٣ تشرين الثاني ، قامت مظاهرات في « بغداد » وعدة مدن عراقية أخرى دعا اليهـا « التقدميون » وبعض الذين كانوا أعضاءفي التنظيم الشيوعي الذي حطّمه « ياسين » وألقوا فيها من الخطب ما اعتبر في حينه افكاراً غير مألوفة في الحياة السياسية للبلاد .

ثالثاً : كانت وزارة « ياسين » قد منعت عدة كتب من الدخول إلى العراق على أساس أنها تحمل المباديء الشيوعية وتضر بالمصلحة العامة ، فلما استلم « حكمت » السلطة رفع هذا المنع وسمح لتلك الكتب بالدخـول إلى البلاد .

## عبارات مطاطة

وعلى أية حال ، فان « حكمت » ومـن ورائه « بكر » شعـرا بخطورة تهمة « اليسارية » و « الشيوعية » التي أخذت الأصابع بتوجيهها إلى وزارة الإنقلاب مما يؤدي بكل تأكيد ، إلى عزلها على النطاق المحلي والعربي وتعرضها إلى محاولات الإسقاط والإطاحة بالقوة من الداخل .

وكخطوة أولى ، عهد رئيس الوزراء إلى» أبو التمن » بالذات بالقاء

خطاب من محطة الإذاعة العراقية الصغيرة في وقتـه بتاريـخ ٥ تشرين الثاني ، باعتبار أن الخطاب سيكون معبراً عن خطة الوزارة الجديدة . وقد صيغ هذا الخطاب بعبارات مطاطة ألقت اللوم بشأن ما حدث في الماضي على عاتق حكومة « ياسين » وحدها دون التطرق بالذكر إلى طبيعة النظام نفسه وما فيه من تناقضات ، كما أنه تجنب كل ما يستشف منه بأنه سياسة « يسارية » وذلك بقوله ، ضمن ما جاء فيه :

« ٢ — فالحكومة المؤلفة وفق رغبات الشعب قائمة بكل ما يكفل احلال الطمأنينة التامةلعامة أبناء الشعب وجميع السكان ، عاملة كل ما به استتباب الأمن وتأمين الراحة وتطبيق العدل على الجميع . وليعلم كل فرد من أبناء البلاد وسكانها بأن الحكومة ساهرة في سبيل المحافظة على أموالهم ونفوسهم وحرياتهم ، واحترام معابدهم ، ومشاعرهم الدينية ، بدون التفريق بين الأديان والمذاهب ، بعد قضائها على عهد الإضطهادات ، وسلب الحريات والتجاوزات . »

وفي مكان آخر قال الخطاب : « ولقد اعتزمت الحكومة على ايجاد المال لغرض أعمار الأراضي بصورة عامة ، وتوزيـع الأميرية غير المملوكة ، وغير المفوضة ، وغير المزروعة منها على ابناء البلاد ، كما تقتضيه المصلحة العامة ، مع مراعاة العرف والعادة بصورة خاصة ، وفتح الطريق وتعبيدها ، وتوسيع الري والزراعة ، وتسهيل أمور التجارة ، وتعميم الصناعة وتحسين الصحـة إلى غير ذلك من المشاريـع الحيوية التي تتوقف عليها سعادة أبناء البلاد ورفاههم[١] . »

(١) البلا د ، العدد ٧١٦ ، ٦ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

## حذر شديد

ومن الممكن ادراك مدى حرص الوزارة الإنقلابية على التخلص من الصاق تهمة « اليسار » بها عند اجراء ابسط مقارنة بين ما ورد في هذا الخطاب وما اقتبسناه سابقاً من كراس « الشعبية » . ومع ذلك آثر « بكر » و« حكمت » السير بحذر شديد، كما سنرى ، في تقليم أظافر « اليساريين » تمهيداً للتخلص منهم ، وكانت البداية أن ظهرت باحدى صحف « بغداد » الكلمة التالية ، بعد اسبوعين فقط من الإنقلاب وفي غضون المباحثات لتحويل جماعة « الأهالي » إلى هيئة شبه رسمية أن لم تكن حزباً رسمياً :

« اعتبر بعض الشباب الذين تنقصهم الخبرة ، إنقلاب ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ ، من الإنقلابات الإجتماعية التي تحصل بنتيجة ذيوع فكرة اجتماعية معينة [١] في المجتمع ، وقيام افرادها بثورة اجتماعية لبلوغ كراسي الحكم ، بقصد تغيير النظم القائمة واستبدالها بالنظم التي تستند إلى مبادئهم الخاصة ، مع أن الأنقلاب الذي قام به الجيش العراقي الباسل لم يكن الا وسيلة من وسائل تنحية جماعة مستأثرة بالحكم وافساح المجال لسير الأمور في المملكة على أساس النظام القائم [٢] . »

وعند هذا الحد ، تقرر توجيه الضربة الأولى إلى « اليسار » ممثلاً بجماعة « الأهالي » ؛ ففي ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، تحولت هذه إلى « جمعية الإصلاح الشعبي » التي اجيزت ذلك اليوم وانتخب « الجادرجي » سكرتيراً لها و « صادق كمونة » نائباً للسكرتير و « محمد صالح

---

(١) ربما كانت « الشيوعية » هي المقصودة .

(٢) البلاد ، ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ .

القزاز [١] محاسباً ، واستأجروا داراً قريبة من الثانوية المركزية [٢] ، غير أنها لم تباشر أي عمل فأهمل أمرها بعد شهر . وقد ورد في مقدمة مذكرات « الجادرجي » ما يلي :

« ومنذ البداية ، بدأ اتجاهان مغايران في المحيط السياسي الجديد ، الإتجاه الأول يميني دكتاتوري كان يمارسه بكر صدقي ، ومن مظاهره الأولى فرض أحد المحسوبين عليه [٣] على لجنة وضع منهج جمعية الإصلاح الشعبي وفرض آرائه بواسطة ذلك الشخص على الجمعيةمما أدى إلى الخلاف بينه وبين كامل الجادرجي وأبو التمن ويوسف ابراهيم . أما الإتجاه الثاني فهو التطرف اليساري عند كثير من التقدميين ، وقد تجلى هذا التطرف من جهة بعض جماعة الأهالي ولا سيما عبد القادر اسماعيل الذي كان يتولى شؤون جريدة الأهالي كما تجلى هذا التطرف اليساري عند جماعة الشيوعيين مما أثار بكر صدقي [٤] . »

## اشتداد الخلاف

ويقول « الحسين » ان « صالح جبر » وزير العدل في حكومة « حكمت » قد أخبره أنه أفهم الأخير بأن تشكيل حزب حكومي ، يستمد مبادئه من المنهاج الأساسي لجمعية الإصلاح الشعبي ، أمر لا يمكن أن

---

(١) أبرز شخصية نقابية عمالية آنذاك ، كما ضمت الجمعية كلا من يوسف ابراهيم ، وعبد القادر اسماعيل ومكي جميل وعبد الله سالم .

(٢) على مقربة من « الميدان » في « بغداد » .

(٣) لا نعرف السبب الذي حال بين صاحب المذكرات وذكر اسم ذلك الشخص

(٤) الجادرجي ، ص ٤٤-٤٥ . وقد أخبرنا الأستاذ عبد الله عباس المحامي ان « نصيراً » نجل « الجادرجي » هو الذي وضع مقدمة المذكرات .

يكون ، وللبلاد عنعناتها ، وتاريخها الحافل بالقومية ، فأكد له الرئيس أن الحزب لن يؤلف بصورة مطلقة ، وأنه انما يساير أرباب الطلب من وزراء وغيرهم ويمنيهم بالوعود فقط[١] .

والذي يبدو لنا من الوثائق المتوفرة ، أن الحملة ضد « الشيوعية » و « اليسارية » قد بدأت في وقت مبكر نسبياً ؛ فقد نشر « عمر أبو النصر » المؤلف اللبناني المعروف ، كتاباً بعنوان « العراق الجديد » يستشف منه أنه وصل بغداد في أوائل شباط ، ١٩٣٧ ، وان معلوماته مستقاة في ذلك التاريخ وقبله ، اذ يقول :

« أما موقف القومية العربية من الشيوعية والإشتراكية فقد بسطه الأستاذ محمد مهدي كبة [٢] في مقال نشره في مجلة « المثنى [٣] الراقية التي تصدر في بغداد فقال :

« اما موقف حركتنا القومية من الشيوعية والإشتراكية فان علينا أن نفرق بينها وبين الإشتراكية أو الوطنية التي لا تتعاوض مبادؤها وطبيعة حركتنا القومية ان لم نقل انها من أهم أركانها ومقوماتها ، فالإشتراكية القومية التي ترمي إلى رفع الفروق والحواجز الإجتماعية بين أبناء الأمة الواحدة والوطن الواحد وتستهدف القضاء على ارستقراطية الطبقات ، وتحارب الإستغلال بشتى أنواعه وتدعو الى العدل والمساواة في الحقوق

---

(١) من الملاحظ أن « جبراً » لم يكن عضواً في جماعة « الأهالي » ولا تربطهم أية صلة .

(٢) رئيس حزب «الإستقلال» فيما بعد وعضو مجلس السيادة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

(٣) لسان نادي « المثنى » القومي .

تتفق والمبادىء القومية القائمة على فكرة العشيرة التي يتكافأ أفرادها في النسب ويتساوون في الحقوق والواجبات ويتعاطفون في الآولام الآمال ويشتركون في المغانم والمغارم .

« أما المبادىء الشيوعية والإشتراكية العالمية فهي والمبادىء القومية على طرفي نقيض أو قل هما ضدان لا يجتمعان على صعيد واحد في أية ناحية من النواحي الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وغيرها ، فالأولى تريد القضاء على كافة الفوارق الإجتماعية الموجودة بين الأمم والشعوب بينما الأخيرة تقتضي بأقرارها وتوثيقها ، ومعتنقو المبادىء الأولى يبنون فلسفتهم في الحياة على أساس المادة فقط ولا يعنون بالمعنويات ، ومعتنقو الثانية يعادلون بين الأمرين ويعتبرون أحدهما متمماً للآخر وملطفاً له . [1] »

ولم تكن الخلافات التي ذر قرنها بين « بكر » و « حكمت » من جهة و « اليسار » من جهة اخرى خافية حتى على الذين يتابعون الموقف من خارج العراق ؛ اذ يقول « طه الهاشمي » وهو في « تركيا » ما يلي :

« ٢٦ مارس :

وان الإختلاف اشتد بين حكمت وبكر من جهة ، وبين أبو التمن وكامل من جهة أخرى ، ولا يستبعد أن يتخلص حكمت وبكر منهما باخراجهما من الوزارة . » [2] ثم يضيف :

« ١٤ نيسان ١٩٣٧ ( الأستانة ) :

(١) ص ٨٦-٨٧ من كتاب « العراق الجديد » .

(٢) مذكرات طه الهاشمي ، ص ١٨٥ .

وصلني كتاب من موفق الآلوسي من بومباي[1] جواباً على كتابي له وهو يستغرب كيف أن بكراً يصرح في الجرائد : لا شيوعية في العراق بينما الوقائع والإختلاف بين حكمت وكامل تؤيد ذلك وتكذب تصريحاته[2] . »

وكان رئيس الوزراء أول من بدأ بالتراجع « العقائدي » عن جماعة « الأهالي » أو « الإصلاح الشعبي » حليفته في السلطة ، فعندما وجه اليه سؤال في مجلس النواب عن موقفه من قضايا الأرض والإقطاع قال :

« أما التقولات الأخيرة فكلها لا ظل لها من الحقيقة أبداً والا فكيف يحق لي بصفة كوني رئيساً للحكومة أن أتصرف في أراضٍ يقطنها أبناء عشيرة من عصور قديمة فهذه أراضٍ لا يسوغ لأي شخص كان أن يتصرف بها الا أصحابها الأصليون[3] . »

## سيف العراق

ولم تمر الا أيام قلائل ، حتى إنفجر الخلاف للعلن ولم تعد هناك أية إمكانية للتستر عليه ؛ ففي ١٨ آذار ظهر مقال افتتاحي في جريدة « البلاد » اياها بعنوان : « حديث بطل الإنقلاب سعادة الفريق بكر صدقي العسكري رئيس أركان الجيش مع رئيس تحرير جريدة البلاد[4] . »

---

(١) قنصل العراق هناك

(٢) مذكرات طه الهاشمي ، ص ١٨٥ .

(٣) الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

(٤) من المعروف أن رئيس تحرير هذه الجريدة « رفائيل بطي » كان من أكثر الصحفيين اندفاعاً في تمجيد « ياسين » حتى أنه كان ينعته يلقب « بسمارك العرب » اشارة إلى المستشار الإلماني الذي استطاع توحيد المانيا في أواخر القرن الماضي .

« روج المصطادون في الماء العكر اشاعات خبيثة ابتغاء تسويد صفحة العراق البيضاء في الخارج . من ذلك دسوا بين الناس ان النزعة الشيوعية متغلغلة في النفوس . وعلى أثر هذه الإشاعاتالكاذبة التي ما انزل بها من سلطان قصد رئيس تحرير الجريدة إلى سعادة بطل الأنقلاب وحبيب الشعب الفريق بكر صدقي العسكري للوقوف على رأيه في هذه الإشاعات والوزن الذي يصح أن يقام لها .

« دخلت مكتب القائد العظيم فقابلني بمعهود بشاشته ولطفه وأجلسني في جانبه جلسة الصديق إلى الصديق دون أن أشعر بتكلف في الحديث الذي جرى لنا . ولما استقر بي المقام وجهت السؤال التالي إلى سعادته :

لا ريب في أن سعادتكم عالمون بأمر الإشاعات التي يبثها المفسدون الذين يضمرون الشر لهذه البلاد ولحكومتها حول الشيوعية وتسربها إلى نفوس العراقيين . فما قول سعادتكم الفصل في هذه الإشاعات المنكرة وأنتم الذين لكم اليد البيضاء على العراق سابقاً ولاحقاً وأنتم الذين لم تحجموا ولن تحجموا عن التضحية بالنفس والنفيس لخلاص وطنكم من كل ورطة وأزمة ؟

فلماسمع سيف العراق البتار هذا السؤال فاضت على وجهه ابتسامة عريضة تدفقت من ملامحه الجذابة وامتزجت ببريق عينيه اللامعتين اللتين يشع منهما نور الذكاء والفطنة فقال :

يضحكني وأيم الله أن أرى الأحابيل الواهية التي ينصبها للعراق العزيز أولئك المفسدون الذين ذكرتهم . فلو عمدوا إلى غير هذه الدسيسة لوبما

كان في افتئاتهم بعض المنطق أو بالأحرى سفسطة مقبولة في القياس المنطقي ولكنهم لحسن حظ العراق سلكوا طريقاً وعرة اذ وقع اختيارهم على موضوع الشيوعية وهذا وحده كافٍ ليكشف عن كذبهم ودسيستهم للناس .

أفي العراق شيوعية؟ أيكون العراق شيوعياً ؟ كلا ثم كلا — ليس العراق تربة صالحة للشيوعية . قل لي بربك أين معاملنا وعمالنا ؟ أين مشروعاتنا الإقتصادية الصناعية ورؤوس أموالنا وأرباب رؤوس الأموال عندنا حتى يستثمروا أموالهم بارهاق الناس وينشأ بذلك بين ظهرانينا طبقة عمال خاصة تؤلف أكثرية كبيرة ويسرح الألوف أو الملايين من عمالنا بلا شغل أو عمل حتى تؤثر فينا الدعوة إلى الشيوعية وتتغلغل مبادئها في نفوسنا ؟ ... »

ثم يمضي إلى القول : « وفضلاً عما تقدم أن ليس من مصلحة العراق الأخذ بالمبادىء المتطرفة وهو في دور التكوين واستجماع القوى ، مبادىء تحسبها الدول القوية العريقة في مدنيتها ومؤسساتها الرصينة في اقتصادياتها واجتماعياتها مبادىء متطرفة . ثم أن الذين يحبذون المبادىء الشيوعيـة فريقان — فريق ساذج قليل المعرفة يأخذ كل ما تصل اليه يده من الغرب دون أن يفرق بين غثه وسمينه فيجاهر به . وهذا الفريق سرعان ما ينبـذ المبادىء الشيوعيـة متى اكتسب قليلاً من الخبرة ووقف على حقائق الأمور فيها . أما الفريق الآخر فهو أولئك الذين يريدون شراً بالبلاد فيتخذون الشيوعيـة وسيلة لتسويد صفحة العراق وحكومته ليتمكنوا من الإصطياد في الماء العكر ولا شك أن وراء هؤلاء يد الأجانب ودسائس أجنبيـة . فالعوذ بالله من شيطانهم الرجيم ، ولكن العراقيين لا تنطلي عليهم الحيلـة وهم واقفون لكل دساس بالمرصاد ، فلا تخف .

وأزيدك أن العراقيين ثلاثة أقسام في تلقيهم هذه الإشاعات الكاذبة فسّوادهم الأعظم وأكثريتهم الساحقة لا تهتم بهذه الإشاعات ولا تعنى بأن تعرها اهتمامها لأن الناس منصرفون إلى أعمالهم في غير هذه النواحي وهناك قسم آخر يسمع بهذه الإشاعات وقد يصدقها فيتألم — وحقه أن يتألم — لتسرب هذه المبادىء إلى وطنه العزيز الأمين. أما الفريق الثالث وهو أقلية ضئيلة جداً لا بل دون الأقلية بكثير فهو أولئك الذين يسرهم أن تروج هذه الإشاعات وذلك ليس لأنهم يدينون بالشيوعية أو يقبلون مبادئها بل لأنهم ناقمون على العهد الإصلاحي الحاضر وعلى حكومته لأنهم لا يستطيعون ترويج مصالحهم الدنيئة ولا جر مغانم السحت فيدفعهم حسدهم القتال إلى النقمة على الوطن ولا يهمهم اذا فني العراق كله في عشية وضحاها[1] .

وأخيرا أقول لكم أن العراق لا يزال متديناً في ثقافته ولم يبلغ المستوى الذي يمكنه من تلقي الأفكار المتطرفة واقامة وزن لها . لذلك لا يستطيع قبول هذه المبادىء . ثم أن الشيوعية لا تتمشى مع الحكومة الملكية في العراق وليس في العراق فرد واحد يريد غير الحكومة الملكية . واني بصفة كوني قائد القوة الإصلاحية[2] اذكركم بالمنشور الذي نشرته ووزعته على الأمة يوم الإنقلاب وذلك أن الجيش انما قام على الحكومة البائدة لاحداث الإنقلاب دفاعاً عن عرش جلالة مليكنا المفدى ونسله من بعده .[3] فلا

---

(١) من الواضح أنه يقصد أقطاب جماعة « الأهالي » .

(٢) كانت المناشير التي القيت فوق « بغداد » صبيحة الإنقلاب تحمل توقيع « بكو » باعتباره « قائد القوة الإصلاحية الوطنية » .

(٣) تأكيد على ما أشيع في حينه من أن « ياسيناً » كان يروم خلع الملك « غازي » واقامة نظام جمهوري يكون هو على رأسه .

يخفى عليكم أن الجيش لن يرضى عن ذرة من شأنها أن تخل بمبدأ الإخلاص للعرش ، فبصفة كوني أكبر ضابط في الجيش بعد مولاي الملك المعظم جلالة قائدنا الاكبر أصرح لكم بأن الجيش مستعد أن يقاوم حتى النفس الأخير كل حركة لها أقل مساس مضر بعرش جلالة قائدنا العظيم ويقضي على تلك الحركة القضاء المبرم سواء أكانت الحركة شيوعية أم غيرها [1] .

هذا رأيي ورأي جميع العراقيين المخلصين فأعلنها على رؤوس الاشهاد . »

## جاء دور القوميين

ويستفاد من « الجادرجي » أن « بكراً بدعم من « حكمت » قد أخذ بشن حملة ضارية ضد « اليساريين » عموماً مما أدى إلى شل نشاط جمعية الإصلاح الشعبي ، وبعد ذلك لجأ إلى اجراءات عنيفة كالمحاكمات والنفي وسحب الجنسية وهذا ما وقع لعبد القادر اسماعيل [2] . ويضيف « الجادرجي » إلى ذلك أنه عزم على الإستقالة في ربيع ١٩٣٧ ، أي بعد

(١) هذه الأقوال تتناقض كلية مع ما ورد في كتاب «العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب» ص ١١٧ على لسان الدكتور « غروبا » وزير المانيا المفوض من أن « بكراً » أخبره أنه يريد أقامة دولة كردية تضم السكان الأكراد في العراق وايران وتركيا بزعامته .

ولا تتفق هذه الأقوال أيضاً مع ما ذكره الحسني » في الجزء الرابع من كتابه « تاريخ الوزارات العراقية » بعنوان « مطامع بكر صدقي » مثل تطلعه إلى تقويض معالم الملك في العراق واقامة نفسه دكتاتوراً على نحو ما فعله اتاتورك في تركيا وهتلر في المانيا وموسوليني ايطاليا ... الخ .

(٢) وكان شقيقه «يوسف اسماعيل» موظفاً في المفوضية العراقية بباريس فصدر قرار بفصله من الخدمة « وذلك لثبوت اتصاله بالدوائر الشيوعية في موسكو واستغلاله وظيفته لترويج الدعاية لها » . جريدة الدفاع ، ١٠ آب ١٩٣٧ . ثم اسقطت عنه الجنسية العراقية .

مرور أشهر قلائل فقط على الإنقلاب [1] ، وقد قدم بالفعل استقالته من الحكومة الا انها لم تعرض على مجلس الوزراء ، وفي ٢٦ مايس رفع استقالته ثانية بيد أن هذه ظلت معلقة هي الأخرى .

نعود إلى مصدر آخر :

«وكان القوميون يتصلون بالفريق بكر صدقي ويبدون استغرابهم من سكوته أزاء إنتشار المبادىء اليسارية والماركسية بين الهيئات الوزارية وفي الأوساط السياسية ، ويعربون عن استعدادهم لإتباع سياسته وارشاداته اذا قاوم هو نفسه هذا التيار الجارف . واذا ببكر صدقي يدير وجهه عن الشيوعيين ويسمعهم الكلام القارص . وما لبث هؤلاء القوميون أن تقدموا فاتصلوا بحكمة سليمان ، واظهروا استعدادهم للتعاون معه اذا وافق على حل المجلس النيابي ( الذي أجرى انتخاباته هو نفسه ) واجراء انتخابات جديدة يبعد عنها الشيوعيين ، ويتبع سياسة قومية صريحة ، ويحارب المبادىء الهدامة . وعلى هذا إتصل الرئيس بالسيدين علي محمود الشيخ علي ، ومحمد علي محمود المحامي ، وطلب اليهما الدخول في وزارته ، فوافقا على هذا الطلب على أن تقاوم الوزارة المعدلة المبادىء الشيوعية والميول اليسارية التي قيل انها كانت متفشية في البلاد [2] . »

## محاولة التفاف

ويبدو أن « الجادرجي » و « أبو التمن » قد شعرا بما يجري في

(١) أي على أثر تصريحات « بكر » المشار اليها .
(٢) الحسيني ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ .

الخفاء ضد « اليسار » ، فارتأيا القيام بخطوة قد تؤدي إلى ارغام « حكمت » على التخلي عن السلطة مما يتطور ، في نهاية الأمر ، إلى عزل « بكر » ذاته ولكن دون التفكير في الخطوة التالية في حالة نجاح المحاولة كما يتضح من هذا القول : « وفي صباح السبت ١٩–٦–١٩٣٧ اتصل بي أبو التمن تلفونياً وطلب مني زيارته في داره قبل ذهابي إلى الوزارة [١] وقد ذهبت اليه فقال انه فكر كثيراً فيما آل اليه الوضع السيء الذي أخذ يزداد سوءاً وانه أصبح لا يرجو منه كل أمل لذلك فقد قرر الإستقالة من الوزارة وسألني عما اذا كنت لا أزال على رأيي في الإنسحاب من الوزارة ، فقلت له اني قررت نهائياً الذهاب إلى خارج العراق باسم المعالجة وسأرسل من هناك استقالتي . قال انه وضع مسودة للإستقالة واطلعني عليها ، وكانت مطولة تنطوي على أمور تعتبر ثانوية ، فقلت ان الإستقالة يجب أن تتركز حول الوضع واجراءات الجيش القاسية في الفرات [٢] ، وبعد جدل بسيط اقتنع بوجهة نظري .

وهنا قلت له أن هناك شخصاً آخر من الوزراء من المحتمل أن يستقيل معنا وهو يوسف ابراهيم ، وحضر يوسف ابراهيم واطلع على نيتنا في الإستقالة فوافق على أن يشترك معنا بلا تردد ، ثم قلت لأبو التمن أن شخصاً رابعاً من المحتمل أن يستقيل معنا وان كان يختلف معنا في الرأي وهو صالح جبر وزير العدلية ، فاستبعد جعفر ذلك ، فقلت له ان صالح جبر عدو

(١) وزارة الإقتصاد التي كان يشغلها .

(٢) تركزت هذه الإجراءات في منطقتي « الرميثة » و « السماوة » حيث ثارت العشائر لقضايا تتعلق بالأرض .

لنا وعدو للوضع الحالي في نفس الوقت[١] والذي يهم بالدرجة الأولى اضعاف الوزارة واسقاطها بأية وسيلة ، وبعد جدل قصير خابرنا صالح جبر فحضر ، وبعد جدل جرى بينه وبين أبو التمن وافق على المشاركة في الإستقالة وقد صاغ الإستقالة جعفر أبو التمن على الأساس الذي ذكرته[٢] » .

وهذا هو نص الإستقالة :

« فخامة رئيس الوزراء

لما كانت أماني البلاد ، التي طالما ضحينا في سبيل تحقيقها حرصاً على سعادة ابناء البلاد ورفاههم ، واطمئنانهم ، وتأمين العدل بين الجميع ، قد حيل دون تحقيقها والتدابير الحكيمة والسلمية التي قررناها في سبيل استقرار البلاد ، والتي أجمع الرأي على تحبيذها ، وتوخى الجميع حسن نتائجها ، فقد شاءت الأقدار الا أن تنعكس الآية فتهرق دماء أبناء البلاد ، ضحية لتصرفات بقيت مكتومة علينا ، لولا شياع استهجانها في كثير من الأوساط ، ولأن التمادي في اتباع السياسة المحسوسة الإندفاع اليها لا يتفق مع السياسة الرشيدة الواجب على المخلصين اتباعها ، فلم يبق لنا أي أمل في الإشتراك ،في المسؤولية ولذلك قدمنا استقالتنا مع الإحترام .

١٩ حزيران ١٩٣٧ م

---

(١) المعروف عن « جبر » انه من مقربي « السعيد » ولعل للأخير الدور البارز في دفعه إلى الإستقالة وان كانت اغراضه تختلف عن غايات الوزراء الثلاثة الأخرين .

(٢) الجادرجي ، ص ٤٦-٤٧ .

## إنهم معلومون !

نعود إلى الجادرجي: « وقد كان وقع الإستقالة على حكمت سليمان رئيس الوزراء وقع الصاعقة كما يقال، واعتبرها مؤامرة واهانة لشخصه -لا سيما مصادفة زيارة الوفد التركي للعراق مما لم يخطر لنا على بال — وقد كان على حكمت أن يقدر الوضع حق قدره ويستقيل هو نفسه لأن بقاءه أصبح متعذراً، بالنظر لاستياء الرأي العام، ولكنه اتخذ موقفاً معاكساً تماماً[1].

ترى، ما هو الموقف المعاكس هذا؟. في ٢٤ حزيران استصدر حكمت ارادتين ملكيتين بقبول استقالة الوزراء الأربعة وأخرى بتعيين « محمد علي محمود » و «علي محمود الشيخ علي » و « عباس مهدي » و « جعفر حمندي » أعضاء في حكومته. وبعد يومين وقف رئيس الوزراء في مجلس النواب وقال :

« ان الوزراء الذين استقالوا معلومون... وان السياسة التي تتمشى عليها هذه الوزارة في الحاضر والمستقبل هي سياسة وطنية، فالوطنية والقومية هما الأساس الذي ترتكز عليه كل تصرفاتنا. فالأفكار والآراء الأخرى الهدامة والمناقضة للعقيدة الوطنية، والمتباعدة كل البعد عن الوضع الإجتماعي في هذه البلاد، وعن تقاليده ونزعاته، أقول أن هذه الآراء والأفكار الخطرة والفاسدة لن تجد لها أي مسند في هذه البلاد[2]. »

وكان الخطاب بمثابة اشارة الشروع في شن حملة صحفية ضارية، في الداخل والخارج، ضد الوزراء المستقيلين، خاصة « الجادرجي »

(١) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٢) محاضر مجلس النواب الإجتماع غير الإعتيادي لسنة ١٩٣٧ ص ٤٧١.

و أبو التمن » مع اتهامهما « بالشيوعية » صراحة دون لبس أو غموض ، ومن ذلك نقتطف ما يلي :

« كلمة المحرر .

## لله الحمد

لقد تخلصت هذه الأمة الوديعة من كيد بعض الوزراء الذين كانوا ينقلون كالجراثيم الفتاكة عدوى الشيوعية إلى بعض السذج بواسطة احدى الجمعيات الهدامة [١] تحت ستار الإصلاح المنشود ، تلك العبارة التي جاءت حتى في صورة عريضتهم التي نشرت على الملأ لتأمين خط الرجعة قبل أن تقبل الإستقالة أو يبت بها ، وقبل أن أبحث عن مآرب هؤلاء الوزراء الأربع [٢] ومقاصدهم الشريفة ؟ أقول كلمة مختصرة عن الشيوعيين لأن أكثر الشعب حتى الآن لا يعرف شيئاً عن هذا المبدأ وأهدافه ونتائجه الوخيمة وان الصحف لم تشبعه بحثاً وتحليلاً .

ان الشيوعية مذهب الحادي ينكر وجود الله قبل كل شيء ثم اباحي بكل معنى الكلمة إذ يناوئ جميع الأديان السماوية على اختلافها ويحط من كرامة التقاليد والنظم الصالحة بأنواعها .

ان دعاة هذا المذهب الهدام في جميع بلاد الله وخاصة عندنا ينعتونه باسماء مغرية كما يغررون به البسطاء . واذا ما تسلموا زمام الحكم نفذوا برنامجهم الشيوعي بحد السيف .

---

( ١ ) جمعية الإصلاح الشعبي والتي كانت مشلولة عن العمل في الواقع .

( ٢ ) تصحيح « الأربعة » .

فلما علم البعض من نوابنا الأحرار أن في نوايا بعض[1] وزرائنا السابقين بث هذه الفكرة بين طبقات الشعب طلبوا بالحاح من فخامة رئيس الوزراء أن يلقي عليهم تصريحاً بذلك الأمر الذي دعى فخامته أن يصرح في المجلس علناً : « أن الحكومة العراقية حكومه اسلامية دستورية ديمقراطية تنكر هذا المذهب وتطارد من يسعى في بثه .

وان سعادة رئيس أركان الجيش صرح أيضاً بمثل تصريح فخامة رئيس الوزراء . ولكن بالرغم من كثرة الحاح بعض النواب لم يقم أحد من هؤلاء الوزراء ولم ينف وجود هكذ فكرة خبيثة مما يدل على سوء نواياهم ومقاصدهم[2] . »

ولم يستمر الوضع على هذه الحال :

« غلق جمعية الإصلاح الشعبي .

من القرارات الحكيمة المنتظرة من أبناء الشعب المخلص ما قررته وزارة الداخلية[3] بغلق جمعية الأصلاح الشعبي فقد ثبت لديها أن هذه الجمعية تروج الآراء الهدامة والمقاصد الخبيثة والمفاسد الشيوعية وقد تجلى ذلك في بعض المواقف التي أشغلت الحكومة زمناً غير قليل وكانت تستثير الرأي العام لولا اعتصامها بالصبر وضبط النفس ويسرنا أن الحكومة قد أصدرت هذا القرار الحكيم كما ننتظر أن تواصل العمل على استئصال جذور الآراء

---

( ١ ) محاولة واضحة لتبرئة ساحة « صالح جبر » .

( ٢ ) الدفاع ، ٦ تموز ١٩٣٧ .

( ٣ ) كان « مصطفى العموي » قد اصبح وزيراً للداخلية في ٢٨ حزيران ذلك العام بدلا من « حكمت »

المضللة والأفكار الهدامة وكل ما يضعف نزعتها القومية وأهدافها الوطنية فقد آن الأوان للضرب على أيدي المفسدين وتطهير البلاد من دعاة السوء وناشري الآراء المضرة [1] .

## قضي الأمر !

وبعد أيام قلائل ظهر الخبر التالي : « المطبوعات الشيوعية ومنعها من دخول العراق .

« علمنا أن الدوائر المختصة قررت منع المطبوعات الشيوعية من الدخول إلى العراق وأصدرت أوامرها بمراقبة الكتب والنشرات التي تشم منها رائحة الترويج إلى مبادىء لا تتفق ووطنية العراق ودستوره [2] » .

وبذلك انقطعت الصلة نهائياً بين « حكمت » و « بكر » من جهة وبين « اليسار » العراقي بشتى اتجاهاته وفروعه من جهة أخرى . وعن ذلك يقول – الجادرجي – :

« بعد أن تبلورت اتجاهات بكر صدقي الدكتاتورية ، وتوجيه حملة قمع متزايدة ضد العناصر التقدمية ، لم يعد أمام تلك العناصر مجال للنشاط ، وحرمت – بالإضافة إلى الإضطهاد – من حرية العمل السياسي ومن التعبير عن الرأي ، وقد امتدت هذه الفترة بعد زوال بكر صدقي وقيام عهود التسلط العسكري والإنقلابات إلى حين قيام حركة مايس ١٩٤١ [3] » .

---

(١) الدفاع ، ١٤ تموز ١٩٣٧ .
(٢) المصدر السابق ، ١٢ آب ١٩٣٧ .
(٣) المذكرات ، ص ٤٨ .

# الفصل الثاني

## انقلابان دون رصاصة واحدة

شهدت بغداد ، في ساعة متأخرة من مساء الرابع والعشرين من كانون الأول ١٩٣٨ ، قيام الجيش العراقي بانقلاب خاطف أسفر عن الإطاحة بوزارة « جميل المدفعي » التي كانت قد تألفت بعد سقوط حكومة « حكمت سليمان » في ١٧ آب ١٩٣٧ .

وكانت نية القائمين بالإنقلاب متجهة نحو اسناد رئاسة الوزارة الجديدة الى « طه الهاشمي » رئيس اركان الجيش السابق وشقيق «ياسين» وقائد واستاذ معظمهم، خاصة العقداء صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ومحمود سلمان وكامل شبيب . وتعود هذه النية أيضاً الى أن « طه » كان أقرب الساسة القوميين إلى تفكير منفذي الإنقلاب ؛ لذا تصوروا أن بالمستطاع تحقيق صنيغة تربط بين الأخير والملك « غازي » لسد مشاعر القيادة القومية الذي استمر منذ الإطاحة « بياسين » ووفاته كمداً ، خارج العراق بعد ذلك بوقت قصير .

بيد أن الذي حصل ، وفي غضون ساعات قلائل لاحقة ، يمكن أن

يعتبر من أغرب ما شهدته الوقائع السياسية في تاريخ العراق . فعلى الرغم من عدم رضا جهات عديدة عن « نوري السعيد » وفي مقدمتها الملك « غازي » الذي يبادله أشد مشاعر المقت والكراهية ويخشى أن يفتك به إنتقاماً لمصرع « جعفر » باعتبار أن له علم أو ضلع في انقلاب « بكر » ، الا ان « طه » أصر على أنه رجل عسكري وبعيد عن السياسة فمن الأفضل ، والحالة هذه ، أن يعهد اليه بمنصب وزير الدفاع على أن يكلف « السعيد » بتأليف الحكومة الجديدة . ويفسر « طه » الأمر بقوله : « أما الرئاسة فيجب أن تترك لنوري لأن له شهرة عالمية ولأنه يطمن الإنكليز . »[١]

## اخوان

ولما لم يجد أعضاء التكتل العسكري مناصاً من تجنب ذلك ، وافقوا عليه مرغمين ، خاصة بعد أن افلح « نوري » في استمالتهم اليه : « أجل تناسيت ما أعرف من أمر نوري وخدعني بما قال لي ولفهمي مستعرضاً الأعمال التي ستجعل البلاد العربية متمتعة بنعمة الإستقلال . هكذا اكتشف نوري من أين تؤكل الكتف ، وعرف الطريق لاستغلالنا ، وتشفع بطه الهاشمي وقال انه لو لم يكن عند حسن ظنه لما أيده وآزره ، وصدّقه ، ثم انهما منتميان إلى حرب الإستقلال ، وأن طه كفيله لأنه أخوه ، وسيبقى أخاً له ولنا ، ولن يخرج عن رأي طه ما دام حياً كيفما تغيرت الظروف »[٢]

---

(١) مذكرات طه الهاشمي ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٣٦٧ .

(٢) صلاح الدين الصباغ ، فرسان العروبة في العراق ، ص ١١٣ .

ويقول « خلدون ساطع الحصري » في ص ٢٩٧ من مذكرات الهاشمي : « كذلك علينا أن نلاحظ أنه في خلاف نوري السعيد وجميل المدفعي كانت الكتلة العسكرية التي يدعوها الصباغ بالكتلة الإقليمية والقائلة العراق للعراقيين تؤازر جميل المدفعي ووزير دفاعه =

بعد تأليف الوزارة بهذا الشكل في اليوم التالي واحالة اللواءات سعيد التكريتي ونظيف الشاوي ويوسف العزاوي والعميد ( الزعيم آنذاك ) بهاء الدين نوري على التقاعد ، وهم كبار أنصار « المدفعي » في الجيش ، برز تسعة ضباط إلى الصدارة باعتبارهم يمثلون الكتلة القومية وهم الفريق حسين فوزي واللواءان أمين العمري واسماعيل نامق والعقداء عزيز ياملكي وصلاح وفهمي ومحمود وكامل وسعيد يحيى الحياط .

وعلى الرغم من أن « العمري » كان في اجازة مرضية في أوربا أثناء حدوث الإنقلاب ، فانه ظل يعتبر نفسه واحداً من أعضاء التكتل القومي ان لم يكن أبرزهم ، خاصة اذا استعدنا إلى الذاكرة أن خروجه على السلطة المركزية ببغداد بعد اغتيال « بكر صدقي» في الموصل في ١١ آب ، ١٩٣٧ ، هو الذي أدى إلى سقوط وزارة « حكمت سليمان » التي جاء بها الإنقلاب الأول .

## وقائع ملموسة

وكما يحدث عادة في أعقاب كل انقلاب ، فقد بدأت التكتلات بالبروز داخل التجمع القومي . فمن جهة اشتدت قوة الروابط بين العقداء صلاح وفهمي ومحمود وكامل ، بينما التصق « العمري» مع رئيس الأركان

= صبيح نجيب ، فالت الكتلة القومية في الجيش بثقلها إلى جانب الساسة المعارضين لجميل المدفعي . ولكن هذه الكتلة كانت تريد أن يشكل الهاشمي الوزارة بعد الإطاحة بالمدفعي . ان رفض الهاشمي لهذه الرغبة لا يمكن أن يفهم بدون استعادة ما كتبته في مقدمة هذه المذكرات عن شخصية طه الهاشمي وقلة طموحه السياسي . »

« فوزي » واقترب « نامق »[١] منهما وان ظل يراوح بين الكتلتين . أما « باملكي »[٢] و « الحياط »،[٣] فقد اعتبرا نفسيهما إلى جانب العقداء بشكل أو بآخر . وعلى أية حال ، فان « فوزي» شعر بمرور الأيام ، وبالوقائع الملموسة ، ان العقداء هم الذين يمسكون بزمام الجيش اذ انيطت اليهم قيادة القطعات الضاربة في بغداد بأسرها ، وأبرزها القوة الآلية التي قيض لها أن تلعب أخطر الأدوار في الأحداث التي اعقبت ذلك .

واضافة لما سبق ، أخذت الصلات بالإشتداد بين « نوري» والعقداء الأربعة عن طريق ولائهم « لطه » وزير الدفاع . ولم يكن هذا بالأمر الهيّن بالنسبة لرئيس الأركان وأعوانه خاصة « العمري » الذي ازداد سخطاً عليهم ، وبالتالي على « نوري » و« طه » بعد اخراج زملائه كبار الضباط[٤]

(١) « يميل الى الانكليز وان كان عربيا ، ويرضى استعمارهم بدعوى انهم خير من سواهم ، لكنه مع ذلك لم يكن جاسوسا للانكليز ولا سمسارا لهم ، ولم يعاد عدوهم فليت نوري وعبد الاله وغيرهما كانوا مثله. ثابر على عمله ونحن نحارب الإنكليز برغم ميله اليهم لأنه مطبوع على مماشاة القوة ، وبذلك اكتسب عطف نوري . كان صديقاً لي ولفهمي .. » الفرسان ص ١٨

(٢) — « هو ابن مصطفى باشا الكردي الذي كان رئيساً للديوان العرفي في الأستانة وسمي « نمرود مصطفى » لما أصدر حكماً باعدام الغازي مصطفى كمال وغيره من المطالبين بالحرية والإستقلال فكان الولد على سر أبيه كما يقول أمين العمري. والأكراد يمقتون عزيز باملكي لأنه كالحرباء في تقلبه . » نفس المصدر ، ص ٧٧

(٣) — « وهو عربي الأصل والعقيدة ، كان معنا في جهادنا القومي وفي مناوأة بكر صدقي ، وهو آمر الاواء الأول في الفرقة الثالثة التي توليت قيادتها في السنتين اللتين سبقتا الحرب مع الإنكليز » . المصدر السابق ، ص ٧٧

(٤) — ومن أطرف ما يروى بهذا الصدد أنه لما بعث التكتل « باملكي » إلى دار المدفعي » ليطالبه بالاستقالة ، سأله الاخير عن موقف اعوانه من كبار الضباط فردعليه المبعوث انهم يتسامرون الآن في النادي العسكري ولا يدرون من الامر شيئا !

الذين ساهموا معه في القضاء على حياة « بكر » وعهده .

## وضع معقد

وفي خضم هذا الوضع المعقد كانت شعبية الملك «غازي» قد وصلت الذروة وذلك بعد نصبه اذاعة خاصة به في قصر « الزهور » كان يستخدمها لمهاجمة الإنكليز والفرنسيين لفرضهم الإنتداب على سوريا ولبنان وشرق الأردن وما تبع ذلك من مآس اضافة إلى ما يقوم به الأوائل من تسليم فلسطين الى اليهود . وفي ذات الوقت كان الملك يعمل من أجل الحاق امارة « الكويت» بالعراق وهو ما كاد أن يحققه بالقوة في أحد أيام آذار ، ١٩٣٩ ، لولا وقوف «ناجي شوكت » رئيس الوزراء بالوكالة أثناء وجود « نوري » في « لندن » لبحث قضية « فلسطين » في وجهه .

ونتيجة لكل هذه الوقائع ، صار واضحاً انه لا بد من التخلص من « غازي » بشكل أو بآخر . وهذا لن يتم الا بايجاد بديل عنه ، فوقع الخيار على « عبد الاله » ابن عمه الملك «علي » وشقيق زوجته « عالية » وبالفعل بدأ الأخير بالتقرب من القادة الأربعة وغيرهم عن طريق « محمود » الذي كان مرافقاً للعائلة المالكة مدة طويلة ، وسيّما انه لم يكن معروفاً عن « عبد الاله » سوى الإتزان والحياء والإنطواء وحسن السيرة الشخصية عكس « غازي » .

أما سلوكه الحقيقي وتبعيته المطلقة للإنكليز فهذه أمور لم تعرف الا بعد تسنمه منصب الوصاية . وعلى الرغم من أن « عبد الاله » لم يغفل « فوزي» و «العمري » واعوانهما ، الا أن همّه ، وهمّ نوري ، تركز

على العقداء باعتبارهم مركز الثقل الحقيقي في الجيش .

## مؤامرة كاذبة

ولغرض ابراز « عبد الاله » واظهاره بمظهر الإخلاص لغازي وابعاد الشبهات عنه فيما بعد ، فقد استطاع تدبير مؤامرة كاذبة يحدثنا « صلاح » عنها بالشكل التالي :

« قصدت رئيس أركان الجيش ذات يوم لأقدم له بعض المعاملات اليومية بصفتي معاوناً له فوجدته في حديث مع محمود سلمان (آمر كتيبة الهاشمي [1] يومئذ ) والمقدم الركن توفيق حسين يصغي اليهما ، فأعرضت عنهم وعدت أدراجي . وبعد نصف ساعة ناداني رئيس أركان الجيش ونادى توفيق حسين معي وقال لي :

— أخبرني محمود سلمان أن حكمت سليمان رئيس الوزراء السابق وجماعته من أعوان بكر صدقي قد دبروا مؤامرة لإغتيال عدد من الشخصيات العسكرية والمدنية والعودة إلى الحكم فسألته : كيف علم محمود بالأمر ومن المقصودين بالمؤامرة ؟ أجاب · ان الذي أخبر محمود سلمان هو الأمير عبد الاله بالذات . كما أخبر وزير الدفاع أيضاً ، أما الذين تستهدفهم المؤامرة فلا أعرفهم ، لذلك قررنا الإتصال بالأمير للوقوف على جلية الأمر .

وبعد ساعة علمت من محمود سلمان ، ثم من وقائع المحاكمة التي استندت إلى شهادات الأمير ، أن المتآمرين أرادوا اغتيال طه ونوري من

---

( ١ ) للخيالة وكان « محمود » أمهر فارس ورياضي في الجيش العراقي .

المدنيين ، وفهمي ومحمود وكامل وصلاح الدين أي نحن الأربعة العسكريين[1]

كلف الأمير عبد الاله بأن يبقى على اتصاله بالرئيس البيطري حلمي عبد الكريم الذي ذكر الأمير في شهادته إنه عرض عليه الإشتراك في المؤامرة وأطلعه على أسماء بعض زملائه المتآمرين ، لكنه اعتذر عن كتابة أسمائهم بخط يده ، واملى الأمير قائمة بأسماء نيف وعشرين ضابطاً بين زعيم وعقيد كالمرحوم شاكر علي آمر الخيالة ، والزعيم اسماعيل حقي آمر المدفعية ، والعقيد الركن صالح صائب (رئيس ركن الفرقة الثانية يومئذ) والعقيد الركن قاسم شكري ، والعقيد عباس فضلي ، وغيرهم ، بالإضافة إلى المدنيين .

تذكرت تقارير الإنكليز التي تطعن بكرامة الضباط البارزين ليقل عددهم ولتزرع البغضاء وتبث الفرقة في صفوف الجيش ، وتذكرت قوائم الضباط المساقين إلى التقاعد ، فهالني الأمر وساورني الشك في حكاية الأمير والبيطري حلمي ، لكن سمعة الأمير وتأكيدات محمود سلمان وفهمي وغيرهما بأن الأمير خال من الأغراض ، وما بدا على طه الهاشمي من اهتمام ، كل ذلك اضطرني إلى التسليم بالأمر والسير مع السائرين ......

واستمر الأمير عبد الاله يخادع البيطري حلمي عشرين يوماً (على زعمه) ثم طلب وزير الدفاع مني أن أصدر الإنذار السري إلى جميع القطعات المرابطة في العاصمة بعد أن قرر مجلس الوزراء اعلان الأحكام العرفية في بغداد[2] فقلت معترضاً » :

---

(١) في الواقع ، أنه قيل في حينه أن المؤامرة استهدفت حياة « غازي » أثناء حضوره حفلة عشاء في « قصر الملح » بمنطقة « ابي غريب » مع الأشخاص المقصودين غير ان اسم الملك اسقط من لائحة الاتهام لسبب لم يعرف

(٢) اقتصرت الاحكام العرفية على معسكر الرشيد وما يجاوره

– إنكم تفاجئوننا بهذا وأرى التروي والتوسع في التحقيق أولاً ، لعل رئيس الحكومة نوري بن سعيد موتور يريد الثأر لجعفر من قاتليه أعوان بكر صدقي فاضطركم بدافع الإنتقام إلى هذا القرار ، ثم ما هو رأي الملك غازي وهل وافق على قرار الحكومة ؟

أجابني : – بل كان مصراً على الرفض لولا أن عبد الاله أقنعه بعد لأي .

فلم أجد بداً من عرض الأمر على رئيس أركان الجيش فوافق عليه واصدر الإنذار واعلنت الأحكام العرفية تحت اشراف اسماعيل نامق، قائد الفرقة الثالثة (وكان أيضاً قائد الفرقة الأولى بالوكالة عن أمين العمري الذي كان في اجازة مرضية ) وانعقد المجلس العرفي برئاسة العقيد عزيز ياملكي وعضوية سعيد يحيى الخياط ومحمود حلمي الطرابلسي ومصطفى كامل من العسكريين ومعروف جياووك الكردي وعزيز الخياط الكردي[١] من الحكام المدنيين ، وليس بينهم صديق لبكر صدقي ، أما سعيد يحيى الخياط فقد قيل أنه من أتباع نوري .

إنتهت أولى المآسي استنادا إلى شهادة عبد الاله – وكان يومئذ قد أصبح وصياً – بالحكم على حكمت سليمان بالسجن خمس سنوات ( لولا اصرار ناجي شوكت لقضى نوري باعدامه )[٢] والحكم على

(١) المعروف باسم « عزيز الأعرج » .

(٢) الواقع ، أن الحكم بالإعدام قد صدر فعلا على « حكمت » ولولا تدخل جهات عديدة أخرى ، بينها السفير البريطاني السير موريس بيترسون ، لدى « نوري » شخصياً لنفذ الحكم بحقه .

حلمي عبد الكريم [١] والأخوين اسماعيل ويونس عباوي بالإعدام شنقاً ( خفض هذا الحكم إلى السجن المؤبد ) . وقد أحيل العقيد الركن صالح صائب [٢] على التقاعد ، وشملت الأحكام الكثيرين ، وقذفت بمئات المواطنين إلى أعماق السجون ولوثت أسماء رجال الجيش التي أتت على ذكرها قائمة الأمير ، وكاد الشرر يلتهم توفيق حسين مدير شعبة الإستخبارات في دائرتي لولا أن تداركت أمره ووقفت أنا ورئيس أركان الجيش بجانبه . » [٣]

## وقتل غازي

وعلى الرغم من أن كتلة « فوزي» لم تكن لتضمر أي شعور بالود تجاه « حكمت » وانصاره ، الا أنها ادركت من تشكيل المجلس العرفي بالذات [٤] ان الزمن ليس في صالحها بل إلى جانب العقداء ما كان سبباً جديداً في ابتعاد المواقف . وبغتة أعلن عن مقتل الملك

---

(١) « اصر حلمي على إنكاره ولم يعترف حتى اليوم . أخرج حلمي من السجن مع من اخرج من المتهمين السياسيين لما حاربنا الإنكليز ، والتجأ إلى ايران فكان جاسوساً علينا لحساب السفارة البريطانية في طهران ، ثم طير إلى عبد الاله برقية قال فيها : « أنا مازلت ذلك المخلص » فاستدعاه عبد الاله وكان له ما أراد . فتأمل أيها العربي في قابلية الانكليز على تدريب الجواسيس ، لقد كان حلمي جاسوساً يعمل لحساب عبد الاله والإنكليز قبل أن يسجن ، ولذلك كان شجاعاً أمام حكم الإعدام ، لأنه يعرف أن الجاسوس الإنكليزي لا يعدم في العراق ولا يضام » . الفرسان ص ٧٨، ٧٩

(٢) أعيد فيما بعد للجيش ، واصبح رئيساً للأركان أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وبعدها ووصل إلى رتبة فريق أول (عميد آنذاك) .

(٣) الفرسان ص ٧٤-٧٦ .

(٤) « انيطت رئاسة المجلس العراقي بالعقيد عزيز ياملكي وعضوية المقدمين سعيد يحيى الخياط ومحمود حلمي ( وثلاثتهم من أنصار القادة ) واثنين آخرين » الحرب العراقية - البريطانية - ص ٩٨ وهذا الرأي عن « الخياط » يناقض قول « صلاح » من أن الأول من أتباع « نوري » .

ليلة ٣-٤ نيسان في حادث ما زال محيراً حتى الآن . وان كانت جميع الظروف المحيطة به والتحليلات السياسية للوضع الداخلي والخارجي للبلاد تؤكد ان الانكليز و « نوري » هم الذين كانوا وراء مصرع «غازي» بعلم من « عبد الاله » .

ولقد قيض لهذا الحادث أن يكون علامة بارزة في مجمل مستقبل السياسة العراقية ؛ ذلك أن النجاح التام حالف مخطط تسليم الوصاية إلى « عبد الاله » خاصة بعد أن تم ضمان تأييد كبار ضباط الجيش ومنهم العقداء الأربعة بالطبع : « وكان على الوزارة أن تجتاز العقبة الرئيسية التي تواجهها وهي موافقة مجلس الأمة (أي مجلس النواب والأعيان) على وصاية الأمير عبد الاله ، والتغلب على المعارضة التي يرأسها جميل التي رشحت الأمير زيد للوصاية على العرش . فكان للجيش اليد الطولى في حل هذه العقدة بفضل دعاية محمود سلمان لصالح عبد الاله الذي بدأ يتودد لقادة الجيش ، أولئك الضباط المخلصين الذين يلهج لسانه بالثناء عليهم .» (١)

## اجتماعات سرية

لم يكد يمر سوى شهر واحد على تسلم « عبد الاله » منصبه ، حتى أقام حفلة شاي في ملعب التنس المجاور لقصر الزهور (٢) ، كان الضيوف فيها العقداء الأربعة وحدهم ، فكانت تلك بداية للقاءات التي استمرت حتى أواخر عام ١٩٤٠ . وبعد ذلك ، جرى الإتفاق على أن تكون الإجتماعات في قصر الرحاب (٣) ، مقر الوصي ، دون علم الوزراء أو أقرب الناس إليهم .

---

(١) الفرسان ، ص ٨٣ .

(٢) قصر بغداد للضيافة حالياً قرب جسر « الحر » .

(٣) الفسحة الكائنة الآن بين معرض « بغداد » الدولي وشط « الجر » .

ومن الواضح أن الأنباء المتعلقة بذلك لا يمكن أن تخفى عن « نوري » حليف « عبد الاله » ولا عن كتلة « فوزي» التي ازدادت ريبة من الأمر واصبحت تخشى حقاً على مستقبلها ، ومن الجدير بالذكر أن السياسة الخارجية للعراق هي التي كانت الشرارة في اشعال نار الأحداث التي أدت ، في نهاية المطاف ، إلى الإصطدام بين الكتلتين .

ففي ٣ أيلول ، ١٩٣٩ ، إنفجرت الحرب العالمية الثانية بعد أن رفضت المانيا انذار بريطانيا وفرنسا بوجوب التوقف عن غزو بولندا المجاورة . فما كان من « نوري » الا أن بادر في ١١ أيلول ، ودون استشارة أحد من أعوانه أو معارضيه ، إلى قطع العلاقات مع المانيا واعتقال رعاياها المقيمين في العراق وتسليمهم إلى الإنكليز الذين نقلوهم إلى الهند كأسرى حرب . وزاد على ذلك بأن طالب بقطع العلاقات مع ايطاليا حليفة المانيا ، رغم انها لم تدخل الحرب ، من الناحية الرسمية ، حتى ذلك الحين .

ولا ندري رد الفعل الفوري للعقداء تجاه موقف « نوري » ، وان كان « الصباغ » يستنكره بشدة في مذكراته . الا أن الثابت أن « فوزي » و « العمري » اعربا عن معارضتهما الصريحة لخطوة رئيس الوزراء ووزير خارجيته « علي جودت » ، كما أعلن بعض الوزراء مثل « طه » و « رستم حيدر » و « محمود صبحي الدفتري » ان معاهدة ١٩٣٠ ، التي عقدها « نوري » مع الإنكليز ، لا تلزم العراق بدخول الحرب وهو ما أخذ الأخير ينادي به الآن بدعم من الوصي الذي شرع برمي القناع رويداً رويداً ، وان لم تكتشف حقيقة صلته بالإنكليز الا في وقت متأخر .

ومما زاد من اضطراب المسؤولين الموالين لبريطانيا أن اللجنة القانونية التي تألفت بطلب من « رشيد عالي الكيلاني » رئيس الديوان الملكي ، وضمت

قضاة وحقوقيين من الجانبين العراقي والبريطاني قـررت ، بعـد الدرس والتمحيص في نصوص المعاهدة ، إنها لا تلزم العراق باعلان الحرب على دول المحور .

## قدوم الحاج

وفي ذات الوقت ، طرأ على الواقع السياسي المحلي تطور غير متوقع ، ففي أواخر تشرين الأول ١٩٣٩ قدم الحاج « أمين الحسيني » مفتي « فلسطين » إلى بغداد بعد أن نجا من الفرنسيين حيث كان لاجئاً في « لبنان » منذ عام ١٩٣٧ . وعلى الرغم من تعهد المفتي بعدم التدخل في الشؤون الداخلية أو الحزبية في العراق ، حسب تعبيره في مذكراته ، الا أنه سرعان ما وطّد صلته مع « الكيلاني » الذي سهل اجتيازه الحدود عن طريق الرطبة » وأدخله على الوصي في البلاط فأصبح ضيفاً رسمياً على العراق ، وكذلك مع العقداء بحكم صداقته مع ثلاثة منهم عندما كانوا ضباطاً معه في الجيش العثماني [١] وعشرات من الشباب القومي المتحمس .

ولم يكتف الحاج « أمين » بذلك ، بل أظهر مشاعر الصداقة تجاه الوصي نفسه و « نوري » وغيره رغم أن الأخير كان ناقماً على وجود المفتي في « بغداد » وأراد منه أن يقيم بعيداً في « كركوك » بناء على رغبة السفارة البريطانية . وامتدت علاقة الحاج إلى سائر أعضاء كتلة « فوزي » وان كان ميله إلى العقداء ومن يرتبط بهم من مدنيين وعسكريين أقوى وأعمق ، ومع

---

(١) أخبرتنا السيدة «مديحة» قرينة الشهيد « محمود سلمان » أن زوجها أرسل شقيقه الضابط « محمد سلمان » إلى « لبنان » عام ١٩٣٨ لإقناع المفتي بالقدوم إلى « العراق » .

من المقابلة في ٧٦/١/٢٥

ذلك كان المفتي ، في احاديثه مع أخصائه ، يقول :

«ان الأمة العربية مهددة بالهلاك اذا انفرد رستم حيدر ونوري السعيد[1] في ادارة سياسة العراق فتوجه إلى رشيد عالي الكيلاني ، ووطد معه أواصر المودة . وكان يرى بالإتفاق مع رشيد عالي وجماعتـــه ضرورة الإتصال بالمحور[2] . » وان ظل هذا الرأي ، بالطبع ، سراً مطلقاً إلى أن حان أوان تطبيقه[3] .

## قضية غامضة

لم يعد أمام الوصي و « نوري » ، وأقل ما يريدانه تحويل العراق بأسره إلى ساحة للمجهود الحربي البريطاني واعلان الحرب على المحور وحتى ارسال فرقتين من الجيش العراقي للقتال إلى جانب الإنكليز كما طالب « نوري » بذلك صراحة فيما بعد ، سوى الإنتظار أو العمل من وراء ستار لإحداث تغيير لمصاحة القضية التي يعملان من أجلها .

وفي ١٨ كانون الثاني ، ١٩٤٠ ، دخل موظف شرطة صغير مفصول يدعى « حسين فوزي توفيق » مكتب « رستم » بوزارة المالية وأطلق عليه الرصاص مما أدى إلى وفاته بعد أربعة أيام . وعلى الرغم من أن القاتل حوكم أمام المجلس العرفي وحكم عليه بالإعدام ونفذ الحكم بحقه على عجل ، الا

---

(١) يقال أن المفتي الساخط على سياسة « نوري » هو الذي حرض « فوزي » على معارضة دخول « نوري » في وزارة « الكيلاني » المقترحة فيما بعد .

(٢) مذكرات عثمان كمال حداد ، حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ ، صيدا ص ٢٠ .

(٣) راجع كتابنا « أسرار عراقية » الفصل الرابع ، للحصول على النصوص الكاملة للمراسلات بين القوميين العرب والمسؤولين الإلمان وعلى رأسهم « أدولف هتلر » .

أن قضية الإغتيال هذه كانت ، وما تزال ، من أشد القضايا السياسية تعقيداً وغموضاً في تاريخ العراق .

فمن قائل انها دبرت من جانب « نوري» لغاية سياسية اتضحت خطوطها الرئيسية في وقت لاحق وسنتحدث عنها ، وذلك بدليل أن المتهم قد صاح قبل لحظات من اعدامه علناً في ساحة«باب المعظم » ولكن دون أن يسمح لأحد من الناس بالإقتراب منه . « نوري .. نوري..أنت الذي أغريتني ، أنت الذي وعدتني ، وأنت تشنقني ، آه نوري آه . »[1]

ومن معتقد أن الالمان هم الذين كانوا وراء العملية لأن « رستم » ، موال للانكليز واقوى عنصر في وزارة نوري . بينما أصر الأخير على اتهام بعض الساسة من المعارضة بالحدث ، وبالفعل فقد ألقي القبض على عدد منهم وقدموا إلى نفس المجلس العرفي فحكم على « صبيح نجيب » وزير دفاع «المدفعي » بالسجن سنة واحدة

## مناورات

نتيجة لهذه الإجراءات ، اشتدت حدة المعارضة في النطاقين العسكري والسياسي ، ضد « نوري » حتى وصلت الأمور إلى حد التجريح الشخصي وفي داخل الجيش ، حمل « العمري» راية الإنتقاد لأسبابه الخاصة وبتحريض من قريبه « مصطفى» الذي تعرض إلى هجمات متوالية من جانب جريدة « الإستقلال »[2] الموالية لرئيس الوزراء .

---

(١) الفرسان ، ص ١٢١ ، نقلا عن « الخياط » شخصياً وهو الذي أشرف على التنفيذ .

(٢) لصاحبها « عبد الغفور البدري » .

ولما أراد «نوري» من «طه» إبعاد «العمري» من الجيش رفض «فوزي» ذلك وزاد عليه بأن ابدى قلقه من «وضع الضباط المتنفذين» حسب تعبيره [١] ويقصد العقداء لا سيما «كامل» وطالب باخراجه من الجيش ، فلم يرد عليه وزير الدفاع لأن ذلك لم يكن مسألة سهلة ، وبسبب الصلة الوثيقة بينه وبين العقداء . وهكذا لم يعد أمام «نوري» سوى اللجوء إلى عمل ما لإنقاذ الموقف ، من ناحيته الشخصية والسياسية .

وبعد سلسلة من المناورات المتعددة الأطراف ، استقر الرأي على تشكيل حكومة تضم أقطاب المعارضة ممثلة «بالمدفعي» و«ناجي السويدي» و «ناجي شوكت» تعرف باسم «الوزارة القومية» [٢] برئاسة «الكيلاني» على أن يكون «نوري» وزيراً للخارجية و «طه» للدفاع وبذلك تستمر سيطرته على الجيش .

وقبل اعطاء تفاصيل ما حدث ، نرى أن من الأفضل العودة إلى «طه» :

« ١٨ شباط ١٩٤٠ ( بغداد )

قدمت الوزارة استقالتها . أتى القادة مع حسين فوزي وحادثتهم عن الأسباب ، وكنت حادثت رجال الجيش في إجتماع حضر فيه كل من حسين فوزي ، وصلاح الدين ، وكامل شبيب ، وفهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، وعبد العزيز ياملكي ، وأمين العمري ، واسماعيل نامق . وأوضحت لهم

---

(١) من مذكرات «الهاشمي» .
(٢) أي تمثل سائر القوم .

الغاية من استقالة الوزراء على ضوء الملحوظات السابقة ، لأن الوزارة تريد العمل في جو هادىء بدون شغب ولا تذمر ، أما أن تسلك طريق الشدة وتكم أفواه كل من يتكلم ، وهذا لا يصح في مثل هذه الظروف الحرجة ، وأما أن تسلك سبيل الحكمة بالتعاون مع الرجال الذين تثق بهم ، وبذلك تتألف أول وزارة بدون تأثير ولا تداخل منذ الإنقلاب المشؤوم [١] . وأشرت لهم أن النية متجهة إلى أن يتولى رشيد الرئاسة ويشترك ناجي شوكت وناجي السويدي في الحكم معنا ، وظهر من الملحوظة التي أبداها عبد العزيز ياملكي « أن يترك الأمر بعد ذلك إلى رئيس أركان الجيش ليرى الإصلح » انه يضمر شيئاً آخر فقلت « لرئيس أركان الجيش بالإتفاق مع القادة » [٢] .

## رضوخ

ومن الواضح أن الضباط لم يريدوا إبداء رأيهم لسبب مفهوم هو أن هذا الإجتماع ضم أفراد الكتلتين اللتين كانت لكل من أقطابها فكرة تختلف عن الاخرى بشكل جوهري ، ففي اللقاء الذي عقده « نوري » ببيته بتاريخ ١٤ شباط وحضره الصباغ وفهمي ومحمود وكامل ونامق والخياط والذي لوح فيه رئيس الوزراء إلى ضرورة تخلي حكومته عن السلطة لأنه يشعر بضعفها وعدم قدرتها على البقاء بعد أن خسرت « رستم » وأعلن فيه أيضاً إتفاقه مع «طه» على اسناد رئاسة الوزارة إلى « الكيلاني» على أن يدخلها هو و « طه » ، نطق « فهمي » بلسان كتلته بعد أن تساءل عما

(١) يقصد انقلاب « بكر صدقي » .

(٢) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٣٢٦ . من الجلي أن « ياملكي » بقوله هذا قد ابتعد ، أو أخذ بالإبتعاد ، عن العقداء الذين لم يدركوا ذلك الا من تطور الأحداث بسرعة كما سنرى .

اذا كان « نوري » جاداً أم لا .

قال « فهمي » بأنه يعارض هذا الرأي ولا يحيد عن عدم الموافقة على الإقتراح بتاتاً . وقد أيده زملاؤه في ذلك ، أما الحجة التي استندوا اليها فهي أن العملية الجديدة مناورة يقصد بها عزل القادة [١] عن بقية زملائهم قادة الجيش الآخرين وفي مقدمتهم رئيس الأركان و « العمري » ، وهما اللذان يريان عدم اشراك « نوري » على الأخص و « طه » في أية وزارة جديدة .

وفي ١٦ شباط ، عقد اجتماع آخر لهؤلاء في دار « نوري » أيضاً وحضره « طه » هذه المرة ، فأثار الأول الموضوع نفسه وأيده وزير دفاعه بأن الحكومة ضعيفة . ورغم الإحتجاجات الشديدة من جانب العقداء ، فإنهم وجدوا أنفسهم ، في نهاية الأمر ، وقد رضخوا أمام اصرار الرجلين . وبحلول ١٨ شباط وصلنا إلى موقفين :

١ ـ كتلة العقداء توافق على الإستقالة وترك الحرية للكيلاني للتصرف في تشكيل حكومته دون أي تدخل .

٢ ـ والكتلة الأخرى لم تعلن موافقتها على الإستقالة أو عدمها ، وان اتضح من الإجتماع الذي عقد في دار « فوزي » مساء ذلك اليوم [٢] ، وحضره أعضاء الكتلتين ، أن الإستقالة أصبحت امراً واقعاً . أما نقطة البحث فتدور حول فرض « نوري » [٣] على « الكيلاني » أو اطلاق الحرية ليختار ـ

(١) أي الستة المجتمعين وليس الأربعة فقط ، وبذلك انحاز «ناجي» و «الخياط» لهؤلاء
(٢) ١٨ شباط .
(٣) يتصور « فوزي » و « العمري » أن العقداء يريدون ذلك ، .

وزراءه كما يريد . ولفرض إنقاذ الموقف ، ولعلم العقداء أن كتلة رئيس الأركان لا تريد « نوري » فقد اقترحوا عدم التدخل والوقوف على الحياد فلا يجري التأثير على حرية « الكيلاني » في الاتفاق مع « نوري » و « طه » تم اقرار الإقتراح بعد أن جرى التصويت عليه فحاز الأكثرية وليس الإجماع ومن هذه الحقيقة بالذات اي الاكثرية سارت الامور باتجاه آخر .

## عوامل نفسية

نعود الآن إلى محاولة معرفة سر مقاومة كتلة « فوزي » لنوري وطه :
« وعارض الجناح العسكري الثاني الفكرة لإعتقاده أن نوري وراء الإجرام السياسي كله الذي حدث في البلاد بعد تصفيته إنقلاب بكر صدقي ، ان هذا الجناح اذا كان يتساهل بدخول طه الهاشمي الوزارة فانه يرفض دخول نوري السعيد فيها خاصة بعد إعلانه موقفه من أزمة الحرب العالمية بزج العرب في أتون حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل .

« وليست هذه الأسباب وحدها هي التي دفعت برئيس أركان الجيش العمري إلى اتخاذ هذا الموقف الحاسم لإبعاد نوري السعيد وطه الهاشمي من الميدان السياسي ، فهناك عوامل نفسية وشخصية تلعب دورها الرئيسي دائماً في السياسة العراقية . فرئيس أركان الجيش يشعر أنه بوجود طه الهاشمي عل رأس وزارة الدفاع ، وبنفوذ العقداء الأربعة المهيمن على الوزارة .. فان موقفه لم يختلف عما كان عليه يوم سلب صبيح نجيب منه سلطاته في الجيش .

« واللواء أمين العمري ناقم على العقداء الأربعة لسيرهم وراء سياسة نوري السعيد الذي استخدمهم في اسقاط وزارة المدفعي التي كان قريبه

مصطفى العمري يلعب دوراً فعالاً فيها . وناقم على نوري السعيد الذي حاول إخراجه من الجيش بعد أن بترت ساقه في عملية جراحية . »[1]

## مفاجأة تامة

ويبدو من تسلسل الأحداث، أنه بعد ما غادر العقداء الخمسة واللواء « نامق » دار « فوزي » بعد إجتماع ١٨ شباط ، وهو آخر لقاء بين الكتلتين ، بقي « العمري » وكذلك « ياملكي » [2] هناك . وإنهم بعد أن ناقشوا الأمر ملياً ، قرروا التراجع عما تم التوصل إليه من اتفاق على عدم التدخل ، والإصرار ليس على إبعاد « نوري » من الطبخة الوزارية المرتقبة فحسب ، بل وحتى « طه » أيضاً .

ومن الواضح أن العقداء [3] لم يعرفوا بما جرى وأنه جاء مفاجأة تامة لهم . ولعل هذا هو الذي يبرر اندفاعهم في الإجراءات العسكرية التي إتخذوها عندما دقت ساعة النزال ، وسرعة الحسم التي اتصفت بها تلك

---

(١) الحرب العراقية – البريطانية ، ص ١٠٩ .

– « كنت اعتقد أن أي وزير للدفاع ليست له أغراض سياسية سابقة في الجيش يكون أهون من الوزير الحالي ( طه ) ورئيس الوزراء ( نوري ) بالنسبة لسلامة الجيش وصيانته من الإندفاع في السياسة . »

من رسالة من « فوزي » إلى مجلة « المواطن » البغدادية في ٥٢/٤/١ ونشرت في كتاب « الدرة » .

(٢) يقول « الدرة » في ص ١١١ أن الأخير اختلف مع صحبه العقداء الأربعة تلك الأيام ولم يبين لنا سبب الخلاف .

(٣) يرجى ملاحظة وجود اللواء « نامق » بين العقداء حينما ورد اسمهم وذلك تجنباً للتكرار .

الإجراءات ، واصرارهم على الوقوف إلى جانب « طه» ، وبالتالي « نوري » بحكم التحالف السياسي بين الإثنين ، مما يوفر لنا التفسير التاريخي المنطقي الذي يرد على تساؤلات عديدة ما زالت دون اجابة إلى اليوم .

## مأزق

يقول الصباغ : « وبعد أن قدّم نوري استقالة وزارته بيوم أو يومين جاء طه الهاشمي إلى دائرته بوزارة الدفاع لمزاولة أعماله كالمعتاد ، وكان ذلك يوم ٢٠ شباط ١٩٤٠ ، فأرسلت له مع العقيد نورالدين محمود مدير شعبة الحركات جداول طلبات الأسلحة كي يوقع لترسل بنفس اليوم إلى السفارة البريطانية بصورة مستعجلة . لكن نورالدين محمود عاد بعد دقائق فقال لي :

– رأيت طه باشا منفعلاً متأثراً ، وقد رفض التوقيع على الجداول قائلاً ليوقعها وزير الدفاع الذي سيخلفني .

ثم سألني نور الدين محمود : ماذا جرى هل سقطت الوزارة ؟

فلم أجبه بل أخذت منه الجداول وذهبت بنفسي فقلت له :

– هذه الأوراق مستعجلة وقد طلبتم إنجازها ليصير ارسالها اليوم . ثم قلتم لنور الدين محمود بأنكم لا تريدون التوقيع عليها وليوقعها من يخلفكم ، فكيف يكون ذلك وهو خلاف ما كان مقرراً .

فابتسم طه بمرارة وأجاب : أنتم لا تريدون اشتراكنا في وزارة رشيد عالي الكيلاني .

قلت : من قال ذلك يا باشا ومن نقله لكم عنا ؟ لقد عقدنا بالأمس إجتماعاً في دار حسين فوزي قررنا فيه عدم التدخل والوقوف على الحياد ، بعد أن أكدتم لنا رغبتكم بالإشتراك في وزارة رشيد عالي، نحن اذن لم نغير رأينا بل أنتم غيرتم رأيكم . نرجو أن نقف على حقيقة الأمر يا باشا وأن نكتشف العوامل الخفيه التي تلعب من وراء الستار دون أن نعلم عن أمرها شيئاً. ويهمنا كثيراً الا تقفوا منا مثل هذا الموقف .

فأجاب : سأنظر في الموضوع وأخبركم .

ثم وقع على الجداول وانصرفت من لدنه ، وطلبت كامل شبيب وفهمي سعيد فأخبرتهما بالأمر ، واستولت علينا الحيرة من هذا الإنقلاب المفاجيء . فلما انتهى الدوام الرسمي وكان العصر دعاني طه الهاشمي إلى مقابلته فوراً في داره الواقعة على شارع الأعظمية . بدا على طه اضطراب وتأثر عظيم وبادرني بقوله : علمت يا صلاح الدين أن الذي يمانع في إشتراك نوري في الوزارة القادمة هو حسين فوزي ، ولا أدري اذا كان يقصدني بذلك أنا أيضاً . وأني وأن كنت قد عقدت العزم على الإنسحاب وعدم الإشتراك في الوزارة المقبلة ، فأنا لا أتوقع أن يكون حسين فوزي قد قصدني أنا أيضاً . لذلك أرجو أن تذهب إليه فتقف منه على الحقيقة بنفسك .

ما كان لطه أن يكلفني بهذه المهمة لولا ثقته بصداقتي ، لكنها مهمة شاقة وتكليف صعب فقد أصبحت بين صديقين عزيزين يهمني الإحتفاظ بهما معاً . ذهبت وأنا أدعو الله الآ أجد عند حسين فوزي ما يعارض قراراتنا التي اتخذناها قبل يوم واحد ، فاستقبلني بوجهه الباش وحميميته

التي إعتاد أن يستقبلني بها .

فلما قدمت القهوة سألني حسين فوزي : ماذا وراءك يا صلاح الدين ؟

قلت : لقد أرسلني طه باشا إلى حضرتك يا باشا . وعسى أن ما نمي إلى سمعي مخالف للحقيقة فأنتما عزيزان عندي معاً . لقد بلغ الهاشمي إنك تمانع في اشتراك نوري في الوزارة المقبلة ولكنه لا يدري اذا كنت تقصده بذلك ايضاً .

سكت حسين فوزي ملياً ، وحسين فوزي هادىء الطبع لا يدخن الا اذا كان متأثراً . ونفض رماد سيكارته ثم أجابني بكلمة موجزة ونبرة قاطعة : نعم يا صلاح الدين ، وطه أيضاً .

— لكن كيف يكون يا باشا وبالأمس إتفقنا على خلافه .

— صلاح الدين ، ان البلاد لن تستريح اذا بقيت بأيدي هؤلاء الرجال .

— ولكن طه ليس مثل نوري يا باشا ، وقد وقعت الآن في محنة لأنكما صديقان لي ... فما أقول لطه .

— قل له ما قلته لك .

ودخل السيد علي أبو الماي (أو أخوه الدكتور) وهو يمت لحسين فوزي بصلة القرابة ، فقال له : مرافق الوصي يطلبكم على الهاتف .

وبعد دقيقة عاد حسين فوزي فقال لي : — الوصي يدعوني يا صلاح الدين ، وسأذهب اليه الآن .

قلت : — وهل أنقل له[1] قولك يا باشا ؟

قال : — نعم يا صلاح .

وافترقنا وكان ذلك فراقاً بيننا إلى اليوم . وأسفي اذ خسرت صديقاً لم أر منه غير الطيب ، وفقدت قائداً إنسجمت وإياه طوال الفترة التي عملنا فيها سوية في سبيل طه وحزب طه .

عدت إلى طه وأنا أتأبط أسوأ الأخبار ، وألعن الساعة التي غدوت فيها ضابطاً في جيش هذه البلاد التي صارت بين الإستقلال والإستعمار ، وأصبحت مسؤولاً وأنا في منصبي الممتاز في دور يصعب فيه التمييز بين العدو والصديق . وفي الطريق قررت أن ألزم جانب طه بعد أن خالف حسين فوزي وأمين العمري ما توصلنا اليه من قرارات اتفقنا على التمسك بها بالأمس القريب .

نقلت له الفقرات الأخيرة من حديث حسين فوزي ، نقلتها له بشكل مقتضب بدون أن أتطرق إلى ما دار بيننا من أخذ ورد بالتفصيل . فثار ثائر طه وقال ووجهه يقطر غضباً : — « اذن لن تستقيل الوزارة بل ستبقى في الحكم .. »[2]

## تردد الوصي

كان « طه » قد علم في ١٩ شباط من « الكيلاني » أن « فوزي » إجتمع

(١) طه .

(٢) الفرسان ، ص ١٢٥-١٢٧ .

بالوصي وأخبره أن الجيش لا يرتاح لمجيئه إلى وزارة الدفاع ولا لمجيء « نوري » للخارجية ، كما أن « فوزي » نقل نفس الرغبة إلى رئيس الديوان الملكي . غير أنه تجاهل ما يتعلق به عند استدعائه « صلاحاً » ، لذا فبعد أن تأكد من صحة النبأ بعد قدوم « صلاح » توجه لمقابلة الوصي في قصر « الرحاب » ولا ندري ما الذي دار بينهما اذ إنه تجاهل اعطاء التفاصيل [١] ، ثم عاد أدراجه إلى بيته حيث زاره « نوري » الذي عاتبه على ما بدا منه من ضعف تجاه كتلة « فوزي » .

ومع إقتراب المساء ، عقد إجتماع طارىء في بيت رئيس الوزراء المستقيل حضره « طه » و « نامق » و « فهمي » و « محمود » و « كامل » و « الخياط » . ومن هناك تم استدعاء « صلاح » في حوالي الساعة الثامنه حيث بادره « نوري » بقوله :

« صلاح الدين ، لقد قابل حسين فوزي الوصي ، وألح عليه باسم الجيش الا يوافق على اشتراكي أو اشتراك طه في الوزارة ، وقد طلبنا سحب استقالة الوزارة من لدن الوصي [٢] ، لكن الوصي متردد من تدخل الجيش ، فهل لك أن تذهب إلى الوصي فتؤكد له أن الجيش لا يتدخل في المسألة وبأن مسعى حسين فوزي وأمين العمري ما هو الا مسعى شخصي ؟

وافق « صلاح » ، ويبدو أن « نوري قد إتصل بالوصي ، أو أحد مرافقيه ، هاتفياً وأخبره بدنا تم الوصول اليه ، فكان الرد أن « الوصي »

(١) يبدو من « فوزي » كما سيأتي ذكره ، أن « طه » وصل القصر أثناء وجوده هناك وأن « عبدالاله » لم يشأ أن يجمع بينهما وأن أكد له رغبة الأول اعلاه .

(٢) لا ندري من الذي نقل الطلب ؛ نوري أم طه .

سيكون بانتظار « صلاح » . وفي غضون ذلك جاءت الأنباء بأن « العمري » قد أصدر أمر الإنذار لقطعات الفرقة الأولى التي يتولى قيادتها في « الكرخ » كما أن « صلاحاً » تلقى نداء هاتفياً من المقدم « صالح زكي الطائي » آمر فوج الحراسة في وزارة الدفاع يخبره بأن « الطائي » قد أصدر له الأمر بأن يكون في حالة الإنذار وعلى استعداد لتلقي الأوامر منه ، فأبلغه « صلاح » بما يلي : « أجل كن في حالة الإنذار وعلى استعداد لتلقي الأوامر مني ، لأنك مرتبط بي مباشرة لا بقطعات أمين العمري ، وعليك أن تتصل بي فلا تنفذ أمراً الا بموافقتي » [١] . فردّ عليه بالإيجاب . ثم طلب « صلاح » من بقية القادة الموجودين في دار « نوري » أن يكونوا جميعاً على رأس قطعاتهم .

## « اختطاف »

وبعد ذلك : « استطاع معسكر أمين العمري أن ( يختطف ) كتيبة الخيالة [٢] التي هي بأمرة الرائد صبحي العمري (السوري) الموالي للعقداء ، فقادها الرائد محمود خورشيد [٣] وحركها إلى معسكر الوشاش [٤] عبر دجلة مع جنود مدرسة تدريب الخيالة ومستودعها . في حين أن

---

(١) الفرسان ، ص ١٢٨ .

(٢) أو « كتيبة الهاشمي » وكان العقيد « محمود سلمان » آمر الكتيبة هذه قد أصبح قائداً للقوة الجوية بعد أن تدرب على الطيران الليلي والنهاري والقفز بالمظلة وهو ابن الأربعين .

(٣) – « هذا الضابط كردي ، وكان جندياً من جنود الليفي ثم نقلت خدماته إلى الجيش العراقي بعد أن رفع الإنكليز رتبته إلى ملازم » . الفرسان ، ص ١٢٩

(٤) متنزه الزوراء حالياً ، وكانت توجد فيه المدفعية كلها . وقد كان رفض الطائي هذا بداية فشل الإنقلاب الأول .

معسكر الرشيد قام باحتلال رؤوس الجسور لمنع قوات معسكر الوشاش من الزحف إلى الجانب الشرقي . وحاول معسكر الوشاش أن يحصل على عتاد المدفعية في مخازن العينة التي كانت في مقر وزارة الدفاع ، الا أن آمر فوج حرس الوزارة المقدم صالح زكي الطائي الموالي للعقداء حال دون ذلك ورفض السماح لمدير العينة باخراج العتاد من المخازن . »[١]

وفي هذه الإثناء ، كان « العمري » قد انتهى من نصب المدفعية على الضفة الغربية لنهر « دجلة » تمهيداً لقصف معسكر « الرشيد » عندما تتطلب الأمور ذلك . وقبل حاول منتصف الليل ، جاءت معسكر « الوشاش » أنباء بأن « الكيلاني » قد تخلى عن فكرة تأليف الحكومة الجديدة وبذلك اعتقد « العمري » ومن معه أنه ربح الجولة الأولى في المعركة ، فاتجه إلى داره الكائنة في جانب « الرصافة » حيث : « غط في نومه »[٢] دون أن يتصور أن العقداء سيبادرون إلى خطوات مضادة خاطفة كان من نتائجها أن نجح الإنقلاب الثاني .

## لا نتدخل

نعود إلى الجانب الآخر . فبعد أن أنجز « صلاح » – استعداداته واصدر أوامره إلى الضباط والقطعات الموالية في جانب « الرصافة » واطمأن على الموقف، توجه إلى «الرحاب» حيث يقول : « سألني الوصي عبد الاله أن كان رئيس الأركان يعبتر في طلبه عن رأي الجيش أم عن رأيه الشخصي ، فأجبته : لقد قرر الجيش أن لا يتدخل ، وتوصل إلى هذا القرار باتفاق

(١) الحرب العراقية – البريطانية ، ص ١١١-١١٢ .

(٢) حسب تعبير « فوزي » في رسالته اعلاه .

الأكثرية فاسألوا القادة الموجودين في بغداد ان شئتم .

سألني : وما هو رأي القادة البعيدين عن بغداد ؟

فأجبته : ليتصل سموكم اذا شاء بأمين زكي قائد الفرقة الثانية في كركوك ، وبقاسم مقصود قائد المنطقة في الموصل ، وبابراهيم الراوي قائد الفرقة الرابعة في الديوانية .

قال : لا حاجة للإتصال بالديوانيـة والموصل ، بل سأكتفي بالإتصال بأمين زكي في كركوك .

قلت : أرجو أن تذكروا له يا سيدنا بأنني الآن عند سموكم ، وأن تشيروا إلى اسم طه وتشرحوا له الموقف باختصار .

وإنما سألت الوصي أن يشير إلى اسم طه لأني كنت أعلم أن أمين زكي لا يخرج عن رأي طه الهاشمي . ثم اتصلت بمعسكر الرشيد ودعوت إسماعيل نامق للحضور وفهمي معه .

واتصل الوصي بكركوك على مسمع مني وكان جواب أمين زكي انه يمتثل لأوامر سموه ، وان مسعى حسين فوزي وأمين العمري صادر عنهما شخصياً ، أما هو فلا يرى خيراً من طه الهاشمي لوزارة الدفاع .

ثم حضر إسماعيل نامق وفهمي سعيد وكان معهما محمود سلمان على ما أذكر ، فتأكد الوصي منهما ثم عدنا إلى دار نوري فما وصلناها حتى كان الوصي قد استدعى نوري لمقابلته . وعاد نوري بعد نصف ساعة فأعلن

---

(١) يقصد القرار المتخذ في دار « فوزي » يوم ١٨ شباط

أنه سحب استقالته .

أغلب ظني أن رشيد عالي الكيلاني كان غائباً عن القصر خلال هذه المباحثات أو جالساً في غرفة أخرى . وأغلب ظني أن الوصي استدعى حسين فوزي مرة أخرى وأخبره بالموقف لكنه بقي على اصراره »(١) .

## صراحة وبساطة

نعود إلى فوزي : « .. وذهبت لمقابلة سمو الوصي في قصر الرحاب . فعرضت رأيي على سموه بناء على طلبه . ثم حضر الكيلاني أيضاً . كان رأيي صريحاً جداً وبسيطاً جداً ، ومع ذلك فقد طال الحديث حتى منتصف الليل ، حيث أخبر سمو الوصي بقدوم نوري السعيد وفخامة الهاشمي (٢) فذهب لملاقاتهما . وبعد مدة من الزمن التحق الكيلاني أيضاً بهم ، ثم ذهب الوزيران المستقيلان (٣) وعاد سموه والكيلاني إلى القاعة التي بقيت وحدي فيها وقال لي سموه : « إنهم أخبروه بان الجيش معهم ، وإنهم مجتمعون في معسكر الرشيد » ثم سال : هل في الجيش من يؤيدني ؟ (٤)

وفي غضون ذلك ، كان « نوري » قد استطاع اقناع « طه » باحالة « فوزي » و « العمري » و « ياملكي » على التقاعد وذلك بعد أن تدخل الحاضرون ، ومنهم « صلاح » لمصلحة الإقتراح . وبعد أن وقع رئيس

(١) الفرسان ، ص ١٢٨-١٢٩ . الواقع أن رئيس الأركان كان موجوداً في القصر .

(٢) لم يشر « صلاح » إلى ذهاب « طه » مع « نوري » .

(٣) يعني رئيس الوزراء ووزير الدفاع . يتجاهل « فوزي » زيارة « طه » التي تمت في وقت سابق ذلك النهار .

(٤) من رسالة « فوزي » إلى مجلة « المواطن » .

الوزراء ووزير الدفاع على الإرادة الملكية المتعلقة بذلك ، نقلت هذه إلى « الرحاب » لتصديق الوصي عليها . وكان « فوزي » قد ترك القصر بعد منتصف الليل فصادف سيارة عسكرية متجهة إلى معسكر « الرشيد » فاستوقفها وسأل عن مهمتها ووجهتها، فعلم إنها تنقل « عفش » العقداء على حد تعبيره، إلى ذلك المعسكر . وعندئذ قرر اطلاع « العمري » على على مجريات الأمور ، فتوجه إلى منزل الأخير حيث ايقظوه من نومه ، وما أن سمع هذا بالقصة حتى إتصل حالاً بعدد من أعوانه وضباطه فاجتمعوا عنده بعد قليل حيث تراوح عددهم بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين شخصاً [1] . وعندها قر رأيهم على التوجه إلى « الوشاش » ليكونوا على راس قطعاتهم ويقول « فوزي » انه لم يشترك في النقاش الذي جرى في دار « العمري » ويبدو أنه كان يشعر بالإنهاك ، فآثر التوجه إلى بيته لأخذ قسط من الراحة والنوم .

## مباغتة

وفي هذه اللحظات بالذات ، وقع ما لم يكن بالحسبان : « لا أذكر من حمل لي الارادة الملكية باحالة حسين فوزي وأمين العمري . على التقاعد فلما تسلمتها لم أطق صبرا ولم استطع كتمان تأثري لإبعاد هذين الصديقين من الجيش ، فحدثت أمين العمري بالهاتف ، وكان في داره محاطاً بجمع الضباط الإنتهازيين .

---

(١) ومن هؤلاء العقيد « عزيز ياملكي » آمر النقليات الآلية والعميد « محمود الشهواني » آمر المدفعية والعميد « حميد رأفت » آمر المخابرة والعقيد الطيار « موسى علي » والعقيد « محمود فاضل الجنابي » آمر أحد ألوية المشاة والعميد « نور الدين خيري » والرائد الخيال « محمود خورشيد » .

قلت : — أهذا ما كنت تسعى اليه يا باشا ، لقد ناصبتنا العداء بين عشية وضحاها ونحن اخوانك ، كي تحصل على قدم سنة وبضعة دنانير على راتبك ، وها هي الإرادة الملكية قد وصلتني الآن .

أجابني : — على التقاعد ؟ ... سأريكم يا خدام عبدة الكراسي والخونة .

قلت : — نحن اخوانك قبل يوم ، ونغدو الآن خداماً لعبيد الكراسي ؟

آسف جداً يا باشا ، ولك أن تفعل ما تشاء ، ما دام هذا رأيك .

هرع أمين العمري إلى معسكر الوشاش ليقصفنا بمدافعه ، ويثير حرباً بين الأخ وأخيه وتبعه رئيس أركان الجيش ... »[1]

والآن ، وعند هذه النقطة البالغة الخطورة والتي أنذرت باصطدام وشيك بين قطعات الجيش العراقي في جانبي « الكرخ » و « الرصافة » وما قد يتبع ذلك من حرب أهلية تضرم النار في العراق بأسره ، كيف تطورت الأحداث ؟ يقول طه : « ثم رجعنا إلى الدار ( دار نوري ) وأرسلنا الارادة الملكية التي صدرت وبلغت القطعات بها بالتلفون . فذهبنا بعد ذلك إلى معسكر الرشيد لأخذ التدابير في قمع الحركة فوقفت على التلفون واتصلت بقطعات الوشاش وبقادتها ( آمر المدفعية الشهواني وآمر اللواء محمود فاضل الجنابي ) وأخبرتهم باحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد ، وطلبت اليهما أن لا يقوما بأية حركة ، وكان جوابهما جواب المتردد .

وفي الوقت نفسه أخذت التدابير لرمي النشرات من قبل الطائرات

---

(١) الفرسان ، ص ١٣٠ . وكان « صلاح » قد إنتقل إلى وزارة الدفاع بعد ارسال الإرادة إلى القصر وذلك للسيطرة على الوضع هناك .

صباحاً على معسكر الوشاش يطلب فيها إلى القطعات بأن لا تقوم بأية حركة ، وأعطيت الأوامر للقوة الآلية [1] بأن تتأهب للحركة ، والتمست من الأمير [2] بان يتصل بالقادة في معسكر الوشاش ويطلب اليهم بأن لا تقع حركة منهم ، ثم اتصلت بأمين العمري وظهر من جواب آمر المدفعية وآمر اللواء إنه ( العمري) تولى القيادة بالوشاش فقلت له أن حسين فوزي وهو قد أحيلا على التقاعد ، فكل حركة تصدر منهما تؤدي إلى نتائج غير مرضية ، وليس من المصلحة أن يتقاتل الجيش ، فلذلك طلبت اليه بشدة أن يترك القيادة ويذهب إلى داره .

وكان حسين فوزي في داره قد تبلغ بأمر حالته على التقاعد [3] ، فأتى إلى معسكر الوشاش ، وكان قد جمع به ضباط المقر ، وقال لهم إنه أحيل على التقاعد وسيعود إلى داره ، ويظهر أن البعض من الضباط شجعوا أمين العمري على المقاومة . » [4]

---

(١) بقياة «فهمي» وهي أقوى قوة ضاربة في الجيش العراقي آنذاك

(٢) وكان الوصي قد وصل إلى مقر القوة الجوية في معسكر الرشيد ثم إلى مقر اللواء الذي يقوده « كامل » حيث وجد هناك كلا من « نوري » و« طه » و « يونس السبعاوي » و جميل عبد الوهاب » و « سامي شوكت » .

(٣ ) يقول « فوزي » أنه تلقى الأمر في معسكر « الوشاش » .

(٤ ) من المناسب اعطاء رأي « الصباغ » عن فوزي : « هو الفاضل النبيل والمسلم الصادق . ولد في بغداد من أب كردي وأم عربية ونشأ نشأة اسلامية فأحب العرب شأن الأكثرية الساحقة من اخواننا الأكراد الذين وقاهم الله من دس الأجانب وكره الإستعمار ، ومقت الإنكليز واذنانهم . فطوبى له وبورك به . وهو ضابط ركن في الجيش العراقي والعثماني فلما أصبح رئيساً لأركان الجيش جمعتني به وحدة الفكر والعمل ، فوجدته مثالا للنبل والنزاهة ، وتوسع الجيش على عهده حتى بلغ الأوج تنظيماً وتدريباً وتسليحاً . أحيل على= التقاعد قسرا ففقدت صديقا على الرغم مني ، اذ كان ضحية لشراك نوري بن سعيد واحابيله المقررة في خطة الاستعداد للحرب » الفرسان ص ١٧

وكان أمين العمري متهيجاً منتقداً لطمع الوزراء بالكراسي ، فأجبته بأن ليس الوقت وقت إنتقاد فان المصلحة الوطنية تتطلب الإذعان ، وإني سوف لا أدخل في الوزارة وسوف لا يدخل فيها نوري فليذعن [١] .

فطلب إليّ مهلة ، وفي الوقت نفسه اتصلت بخورشيد الذي تولى آمرية الكتيبة وطلبت اليه أن يعيد الكتيبة إلى ثكناتها ، فظهر لي أنه خضع للأمر .

ثم إتصلت بكركوك ، والموصل ، والديوانية ، وأخبرت القادة وأمين زكي وقاسم مقصود باحالة حسين فوزي وأمين العمري على التقاعد لتدخلهما في السياسة وقيامها بحركة . وأوضحت لهم عمل حسين فوزي بطلبه للوصي عدم تولي وزارة الدفاع ودخول نوري وادعائه بأن الجيش بأجمعه يؤيده . وكان جوابهم انهم لا يؤيدونه ولم يخولوه النطق باسمهم ، وليس شأنهم التدخل في السياسة ، بل يتركون الأمر إلى الوصي .

إتصل بي بعد ذلك أمين العمري وقال لي انه بلغّ القطعات بالعودة إلى معسكراتها وأنه سوف يعود إلى داره ، ولما وصلها أخبرني بوصوله اليها . »[٢]

---

(١) في الواقع ، اعاد « نوري » تأليف الوزارة في ٢٢ شباط وابقى « طه » في منصبه .

( ٢ ) – « بقي أمين العمري يفاوض طه بالهاتف ، وطه ينصحه ويهون الأمر عليه ، وأنا أسمع ما يدور بينهما ، وكان صوت أمين يخفت وحدته تخف كلما انفض من حوله الإنتهازيون ... متسللين إلى وزارة الدفاع ليسردوا أمامي اعذاراً منتحلة بعد أن يؤدوا تحية عسكرية رشيقة التطبيق ، فمن قائل انه لا يعلم شيئاً غير إنه تلقى أمراً بالحضور إلى معسكر الوشاش . ومن منتحل عذراً من الأعذار التي يتخلق بها المرتزقة وطلبة العيش بمختلف الوسائل » . الفرسان ، ص ١٣٠ .

وكان الفجر قد انبلج ، ولما تأكدت من عودة القطعات إلى ثكناتـها رجعت إلى داري تعباً منهمكاً [1] » .

هكذا انهار انقلاب « الوشاش » وانتصر انقلاب « الرشيد »

تلك الليلة لم تدوّر رصاصة واحدة داخل العاصمة أو خارجها !

وبالنسبة لأهالي بغداد ، وسائر باقي العراق ، فلم يسمعوا أو يقرأوا غير البلاغ الرسمي التالي : « لما كان كل من الفريق حسين فوزي ، رئيس أركان الجيش ، وأمير اللواء أمين العمري، قائد الفرقة الأولى ، والعقيد عزيز ياملكي ، قد تضلدوا الى امور لا تتفق والواجبات المفروضة على امراء الجيش وضباطه ، فقد صدرت الارادة الملكية باحالة المومى اليهم على التقاعد ابتداء من اليوم الحادي والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٤٠ م » « مدير الدعاية العام »[2]

---

= ويقول « الصباغ » عن أمين : « من آل العمري في الموصل . عربي الأصل لكنه ربما قال بالعراقية اذا خلا بغير العرب . والواقع فانه موصلي النزعة ، وهو ذو خلق وفضل . لم يناهض أمين العمري بكر صدقي لعقيدة ، بل لكراهية شخصية . فلما قتل بكر صار قائداً للفرقة الأولى ، وهو ضابط ركن في الجيشين العراقي والعثماني . له في الكتابة اسلوب طلي لكن مادته قليلة . غلب به الطموح حدود قابليته حتى دفعه ذلك إلى أن ينقلب على أصدقائه ونحن منهم ، وان يكيد له نوري فيحيله على التقاعد ونحن صاغرون » . ص ١٧-١٨ .

(١) مذكرات طه الهاشمي ، ص ٣٣١-٣٣٢ .

(٢) جريدة الأخبار البغدادية ، العدد ١٣٤٠ ، ١٩٤٠/٢/٢٣ . شعر « نوري » أنه أصاب الثلاثة يالإجحاف فعرض عليهم العمل في السلك الخارجي . فلم يوافق غير « ياملكي » الذي عين بافغانستان .

# الفصل الثالث

## مهمة عراقية سرية في طهران

في ٢ مايس ، ١٩٤١ ، انفجرت ثورة مايس عندما فتح الإنكليز نيران أسلحتهم من الجو والبر على قطعات الجيش العراقي المرابطة قرب معسكر الحبانية . ومن الطبيعي ، والحالة هذه ، ان تتجه أنظار حكومة الدفاع الوطني برئاسة « الكيلاني » الى الحصول على مساعدة من دول المحور ، وبالأخص المانيا ، بناء على اتصالات سابقة [١] وهذا ما تم فعلاً . وكان من المفترض أن تكون المفوضية الإيطالية ببغداد أداة الإتصال المرجو ، بيد أن المسألة اتخذت اتجاهاً غير ذلك .

يقول « طالب مشتاق» قنصل العراق في «القدس » أنه استدعي الى « بغداد » في ١٨ نيسان بموجب مكالمة تلفونية أجراها معه « موسى الشابندر » وزير الخارجية ويضيف إلى هذا ما يلي : « وفي اليوم الأول لهذا الإعتداء الأثيم (٢ أيار ١٩٤١ ) طلبني رشيد عالي الكيلاني المرحوم وكان جالساً أمام

(١) راجع « اسرار عراقية » الفصل الرابع الذي سبق وأن أشرنا اليه .

موسى الشابندر وزير الخارجية، وسألني اذا كنت مستعداً للسفر الى طهران في مهمة خاصة ؟ أجبته اني طوع أمرك وقيد اشارتك . قال اذهب الآن واستعد للسفر الى طهران في صباح الغد على كل حال ... انك ستكون ضابط اتصال بيننا وبين السفارة الإلمانية [1] هناك وقد أملى عليّ تعليماته كما يلي :

(١) اننا نحتاج الى عدد من الطائرات المقاتلة في أسرع وقت ممكن .

(٢) أن مطاراتنا في بغداد والموصل وكركوك مستعدة لنزول هذه الطائرات .

(٣) لدينا من البنزين ما يكفي مئتي طائرة مدة ستة أشهر ...

## إنكماش

سافرت بسيارتي الى طهران في صباح ٣ أيار ١٩٤١ وبت الليلة الأولى في كرمنشاه ضيفاً على السيد عبد الله بكر [2] قنصلنا هناك . وفي صباح ٤ أيار أخذت طريقي الى طهران ووصلت اليها قبيل المغرب رأساً الى دار المفوضية العراقية واجتمعت فوراً بالمرحوم شاكر الوادي القائم بأعمال المفوضية وأبلغته المهمة التي قدمت من أجلها ... واتصلنا بالسفارة الإلمانية وطلبنا موعداً مستعجلاً لمقابلة السفير [3] وفي اليوم التالي كنت في دار السفارة الإلمانية وفي رفقتي شاكر الوادي ومنذ أول وهلة شعرت أن السفير الإلماني منكمش في الحديث معنا وكان يتكلم بغموض وحذر واقتضاب بل هو غير صريح في كلامه ويغلب عليه التردد في الحديث ...

---

(١) الصحيح « المفوضية الإلمانية » .

(٢) آخر رئيس للديوان الملكي قبل ثورة ١٤ تموز ، ١٩٥٨ .

(٣) الوزير المفوض .

لقد أبلغته المهمة التي أتيت من أجلها وعرضت عليه التعليمات التي زودني بها رشيد عالي المرحوم ورجوته الإسراع في مساعدتنا بالطائرات لنتمكن من صد الإعتداء البريطاني الأثيم ، وبعد أن وعدني خيراً شكرته وودعته وعدت الى دار المفوضية العراقية ... وفي اليوم التالي كلمني السفير الإلماني تلفونياً وقال : انني أريد أن أواجهك على انفراد ، فهل تريد أن آتي اليك بنفسي أم تفضل المجيء الي ؟

## جاسوس بريطاني

قلت : لا أنا آتيك فوراً ، وعندما استقبلني السفير في غرفته كان مرحاً بشوشاً بعكس ما كان عليه في المقابلة الأولى ... بادرني الكلام قائلاً : يظهر أنكم لا تعرفون الشيء الكثير عن القائم بأعمالكم هنا ؟ .. قلت انني أعرفه شخصياً ، انه ضابط قدير وموظف مجد .. قال : هذا صحيح ، ولكني أظن أنكم تجهلون انه جاسوس بريطاني ممتاز [1] .. وأريد أن تخبر حكومتك فوراً انني لا أستطيع ، لهذا السبب ، ان أتعاون مع سفارتكم هنا ما دام شاكر الوادي موجوداً فيها ..

والحقيقة أنني عندما فوجئت بهذا التصريح وقعت في حيص بيص ، ومأزق لا أدري كيف أخرج منه .. كان شاكر الوادي المرحوم صديقي ويصعب علي أن أصدق انه جاسوس انكليزي.. ولكني ، في نفس الوقت ،

---

(١) يقول « مشتاق » في ص ٤١٤ و٤١٥ من مذكراته أنه هو الذي توسط لدى « السعيد » شخصياً من أجل تعيين « الوادي » في السلك الدبلوماسي وأنه لولا قوة هذه الصداقة مع « نوري المرحوم » حسب تعبيره لما وافق هذا لحقده على « الوادي » الذي اشترك في انقلاب « بكر » مما أدى إلى هدر دم صهره وحليفه « جعفر العسكري » وتشريده هو خارج العراق خائفاً مذعوراً .

أعرف مدى كفاءة الإستخبارات الإلمانية ، وعندما يقول السفير عن شخص انه « جاسوس » فمعنى ذلك أنه متأكد مما يقول .. كنت تواقاً الى العودة الى بغداد بعد اداء مهمتي على الوجه الأحسن . ولكن تصريحات السفير هذه من شأنها أن تؤخر عودتي إلى بغداد .. وبعد تفكير طويل قررت أن اكتب إلى رشيد عالي بما جرى مفصلاً مع بيان رأيي في الموضوع ، وقمت بذلك فوراً . لقد أوضحت في كتابي مواجهتي مع السفير تفصيلاً ، وذكرت له رأي السفير في شاكر الوادي وأضفت إلى ذلك قائلاً : إنني لا أستطيع أن أؤيد رأي السفير أو أن أدحضه ، ولكنني أميل إلى الإعتقاد بأن في الأمر مبالغة وقد يكون ثمة خطأ أدى إلى تكوين هذا الظن عن شاكر الوادي ...

## يا عزيزي !

وبعد بضعة أيام طلب السفير الإلماني مواجهتي فذهبت إليه .. وبعد أن حياني ورحب بي إبتدرني سائلاً : أما قلت لي أن لديكم من البنزين ما يكفي مئتي طائرة ستة أشهر ؟ .. أجبت : نعم وهو كذلك .. فقال : ان عدداً من طائراتنا وصل إلى بغداد ، وقامت طائراتنا فعلاً بقصف معسكر الحبانية .. ولكنني أخبرك يا عزيزي أن طائراتنا الآن معطلة ، اذ لم نجد في بغداد قطرة واحدة من بنزين الطائرات .. واردف : انك اخبرتني ايضاً أن مطارات بغداد والموصل وكركوك جاهزة لإستقبال طائراتنا أليس كذلك ؟ أجبته : إنني قلت ذلك حقاً . قال : ان هذه المطارات غير مجهزة حتى بصفارات إنذار ، وطائراتنا الجاثمة على الأرض لا تعلم بوجود طائرات معادية في الجو الا بعد أن تقصف من قبل الطائرات المعادية . وإننا بطبيعة الحال لا نريد أن نحرق طائراتنا وهي جاثمة في أرض المطار .. قلت هذا

هو الحق والصواب .. ولكنني لم أنقل إليك الا ما زودت به من تعليمات وليس على الرسول الا البلاغ المبين ...

وبعد بضعة أيام كتبت إلى رشيد عالي الكيلاني المرحوم : إن مهمتي إنتهت واستأذنته العودة إلى بغداد ، وورد لي جوابه بالموافقة على ذلك . »[1]

وعلى أية حال ، فعند رجوعنا إلى وثائق وزارة الخارجية الإلمانية ، عثرنا على التقرير المرفوع من « إيتيل » ، وزير برلين المفوض لدى إيران، إلى وزير الخارجية « ريبنتروب » الذي أحاله ، بدوره ، إلى «أدولف هتلر» بتاريخ ٧ مايس . وهذا هو نص التقرير :

من الوزير في أيران إلى وزارة الخارجية

مستعجل للغاية طهران ، ٥ مايس ، ١٩٤١ ، ٣٢ : ٥ بعد الظهر

سري استلمت ٥ مايس ، ٣٢ : ٨ بعد الظهر

الرقم ٣٣٦ ، ٥ مايس

وصل طالب مشتاق ، الممثل الخاص للحكومة العراقية ، والذي كان لحد الآن القنصل العراقي العام في فلسطين ، وصل إلى طهران هذ اليوم

---

(١) طالب مشتاق ، أوراق أيامي ، الجزء الأول ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ص ٤٠٢-٤٠٤ .

هذا وقد ذكر « حازم طالب مشتاق » في عدد مايس ، ١٩٧٧ من مجلة « آفاق عربية » أن والده توجه إلى طهران بصفة « سفير فوق العادة » بينما يتضح لنا من أقوال الأب ذاته أن الأمر ليس كذلك !

لغرض نقل رسالة من الحكومة العراقية للوزير الإيطالي [١] ولي ، جرى تعريف الممثل الخاص بشكل مناسب من قبل القائم بالأعمال العراقي هنا ، كما أنه جلب معه رسالة توصية من الوزير الإيطالي في بغداد .

وبحضور القائم بالأعمال العراقي ، فانه نقل الرسالة التالية من الحكومة العراقية للوزير الإيطالي ولي .

١ — طلبت الحكومة العراقية من الحكومة الإلمانية استئناف العلاقات الدبلوماسية [٢] ، واذا استجيب لهذا الرجاء ، تطالب ارسال مبعوث إلى بغداد فوراً .

وبهذا الإتصال ، فان الحكومة العراقية ارادت أن تؤكد بجلاء التعليمات المتطابقة التي كانت قد بعثت بها برقياً إلى ممثلي العراق الدبلوماسيين في طهران وأنقرة قبل أيام قليلة .

٢ — تطلب الحكومة العراقية من الحكومة الإلمانية أن تبادر إلى إرسال خبراء عسكريين إلى بغداد بأسرع وقت ممكن وذلك للشروع في محادثات مع رئاسة الأركان .

٣ — يطلب العراق ، بالحاح ، إرسال طائرات مقاتلة وقاصفة في الحال . ان الجيش العراقي في أقصى حاجة ملحّة إلى مدافع ضد الدبابات ، ومدافع

---

(١) تجاهل « مشتاك » ذكر الوزير الإيطالي في « طهران » أو الرسالة التي حملها معه من زميله في « بغداد » .

(٢) كان « نوري السعيد » قد قطع العلاقات مع المانيا في ١١ أيلول ١٩٣٩ وأبعد الدكتور « غروبا » الوزير المفوض إلى خارج العراق والقي القبض على الرعايا الإلمان في العراق وسلمهم إلى الإنكليز الذين أرسلوهم كأسرى حرب إلى الهند .

ضد الطائرات ، ومدافع رشاشة ، وكذلك الذخيرة ، وكل هذه يمكن جلبها عن طريق الجو .

٤ — ان القوات العراقية تسيطر باحكام على جميع حقول ومصافي النفط ، وقد تم وضع جميع المستخدمين البريطانيين رهن الإحتجاز ، وجميع المنشآت بحالة جيدة . إتخذت كل الإجراءات الإحتياطية لحماية المنشآت بأسرها ، ونظراً إلى توقع مهاجمة حقول النفط والمنشآت من جانب القوة الجوية الملكية [١] ، فمن الضروري ارسال الطائرات المقاتلة دون تأخير .

٥ — وفي الوقت الحاضر ، فان الجيش العراقي يتحكم في الوضع في جميع ارجاء البلاد ، ولكنه بحاجة ماسة للغاية الى الاسلحة المدرجة في النقطة ٤ ، وإضافة لذلك ، فانه يعاني من شحة المدفعية الثقيلة والدبابات .

٦ — تطلب الحكومة العراقية من الحكومتين الإلمانية والإيطالية أن تعلماها عن كيفية المجابهة الفعّالة للخطوات التي اتخذها الإنكليز في عبادان وخرمشهر ؛ أي الأرض الواقعة تحت السيادة الأيرانية .

٧ — تطلب الحكومة العراقية من الحكومتين الإلمانية والإيطالية أن تضعا تحت تصرفها في الحال ٣ ملايين دينار عراقي ، نظراً إلى إن خزينة الدولة العراقية كانت في إنكلترا بحوزة الإنكليز منذ أمد طويل . ومن هذه الملايين الثلاثة ينبغي تقديم مليون على شكل نقد ذهبي ، والباقي بالفرنكات السويسرية أو أية عملة محايدة أخرى ، ولكن ليس بالدولارات الأميركية بأي حال من الأحوال ، نظراً إلى أن هذه دون قيمة في العراق . وإضافة لذلك ، فان الحكومة العراقية تطلب شراء الدنانير العراقية في الخارج وإرسالها للعراق .

---

(١) البريطانية .

٨ — وأخيراً ، فان الحكومة العراقية أشارت إلى الأهمية العظيمة للدعاية الإذاعية ، فطلبت ارسال أجهزة ارسال قوية يمكن سماعها في جميع الأقطار العربية إلى بغداد وكذلك ارسال الكادر الفني الضروري .

أشار الممثل الخاص تكراراً إلى « عامل الوقت » والذي له أهمية حاسمة في المجرى القادم للأحداث العسكرية . وكلما كان وصول المساعدة العسكرية الإلمانية أسرع ، فانها تكون أكثر أهمية . ان مجرد وصول عدد قليل من الطائرات الإلمانية إلى العراق سيكون له أعظم التأثير النفسي ليس في العراق فحسب ، بل في فلسطين ، وسوريا وشرقي الأردن والعربية السعودية ، نظراً إلى أن هذا سيثبت للعرب أن المانيا تقدم لهم المساعدة العسكرية الفعالة ضد مضطهدتهم ، إنكلترا .

سيبقى الممثل الخاص في طهران في الوقت الراهن وذلك بانتظار الرد من الحكومة الإلمانية . إيتيل [١]

### فائدة الجاسوس !

يتبين لنا من وثائق وزارة الخارجية الإلمانية أن « إيتيل » لم يكن بحاجة إلى الغموض والحذر والإنكماش كما ذكر « مشتاق » لأنه لم يكن مخولاً للتباحث مع الأخير في أي موضوع ، بل ان كل ما كان عليه هو الأستماع إلى رسالة الحكومة العراقية ونقلها إلى برلين .

وفي ذات الوقت لا يوجد ما يشير إلى أن الوزير الإلماني قد إجتمع ثانية

(١) *Documents on German Foreign Policy, Series D, Vol. XII p.*

مع المبعوث العراقي [1] مما يدفعنا إلى الإعتماد بأن «مشتاق» قد عاد إلى بغداد من طهران وهو خالي الوفاق حتى من الرد .

وهناك نقطة بالغة الخطورة يكشف النقاب عنها لأول مرة ؛ فاذا كان « الوادي » جاسوساً للإنكليز ، فلا بد وأن يكون قد نقل جميع المقترحات ، وفي نفس اليوم ، إلى اسياده لأنها قدّمت بأسرها في حضوره [2] . ومما يؤكد صحة هذه الواقعة انه في اليوم السادس من مايس، أي بعد يوم واحد فقط من المقابلة ، قام الجيش البريطاني بهجوم واسع من الجو والأرض مع حركة التفاف على جناح الجيش العراقي الأيسر قرب « الحبانية » . وكان بين القوات البريطانية قوة آلية وصلت من شرقي الأردن وهي تحمل أعلاماً عراقية فأحاطت بالمدافعين العراقيين . وقد أدى هذا الهجوم المباغث إلى رفع الحصار عن الحبانية في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم وفتح الطريق نحو « الفلوجة » ثم « بغداد » .

وبعد يومين فقط من المقابلة ، وبينما كان أهالي « البصرة » غرقى

---

(١) ذكر « حازم مشتاق » في مقاله الذي أشرنا اليه أن والده اشترك في جميع المفاوضات التي جرت مع « غروبا » في بغداد ، بينما الواقع أن والده ، كما ورد في مذكراته قد عاد إلى بغداد في ٢١ مايس ، وانها رت الثورة في ٣٠ مايس ، وبذلك يثبت أنه لم يشترك في المفاوضات . مع العلم أن الوزير الإلماني قد قدم إلى العراق لمجرد التعاون مع حكومة الدفاع الوطني ومعرفة ما تحتاجه للإستمرار في مقاومة الإنكليز .

(٢) كوفىء « الوادي » على فعلته هذه بنقله إلى منصب قنصل العراق العام في القدس ، مركز العصب البالغ الحساسية بالنسبة للمجهود الحربي البريطاني في المنطقة باسرها ومن ثم جرى تعيينه وزيرا للدفاع في حكومة « نوري » التاسعة التي تألفت في اواخر عام ١٩٤٦ شغل نفس المنصب في عدة حكومات لاحقة ، قام بالتوقيع ، بهذه الصفة ، على معاهدة « بورتسماوث » التي عقدها « جبر » مع الانكليز ومزقها الشعب العراقي في انتفاضة كانون الثاني ١٩٤٨

في نومهم ، دخلت « العشار » خمس وعشرون سيارة مصفحة تقل عدداً كبيراً من جنود « الكوركا » [١] والضباط الإنكليز وشرعوا باطلاق النار بصورة مباغتة ، ودون إنذار ، واستطاعوا بمساندة قوية من الطائرات التي قصفت المدينة دون تمييز في الأهداف احتلال « العشار » بينما تركوا « البصرة » عرضة للسلب والنهب . وقد بلغ من أهمية هـذا الحدث أن « تشرشل » رئيس وزراء بريطانيا وقف في قاعة مجلس العموم واعلن نبأ سقوط « البصرة » وسط الهتافات الصاخبة وذلك في مساء نفس اليوم كما سيرد تفصيله في الفصل التالي . والواقع ، فان ما قام به الانكليز يومي ٦ و ٧ مايس هو الذي ادى، في نهاية المطاف ، الى القضاء على الثورة وما اعقبها من فواجع شملت الشعب العراقي بأسره .

## إتفاق في باريس

صدرت الأوامر إلى الدكتور « غروبا » في ٦ مايس بأن يعود أدراجه إلى بغداد ، غير أنه لم يصل إلا في ١٠ مايس متأخراً بعض الشيء ، وهو يحمل مقداراً من المال مصحوباً بالوعود بتقديم مساعدات عسكرية ، وفي ١١ مايس حلقت التعزيزات الجوية الإلمانية الأولى المؤلفة من ثلاث طائرات في مهمة استطلاعية فوق بغداد . وعـلى أية حـال ، فقـد وضعت خطة لإقامة محطة جوية في العراق تضم قوة تمهيدية من أربع عشرة طائرة مقاتلة وسبع قاصفات على أن تكون قاعدتها الرئيسة في جزيرة « رودس » شرقي البحر الأبيض المتوسط ، وفي إجتماع عقد يوم ١٢ مايس وحضره

---

(١) جنود مرتزقة لدى ألانكليز ينتمون الى قوم في مملكة « نيبال » على جبال « الهملايا » شمالي « الهند » وهم يمتازون بقدرتهم الفائقة على القتال والاصابة بالحربة وروحهم الانتحارية .

المفتي وكبار قادة الجيش ، إقترح الوزير الإلماني المفوض أن يطلب من الإلمان ارسال مارشال الجو « فيلمي » ليقوم بمهمة المستشار العسكري للحكومة العراقية على أن تقتصر قيادته على القوات الإلمانية التي ستأتي إلى العراق ، فتم إقرار الإقتراح ونقل « غروبا » الطلب إلى وزارة الخارجية الإلمانية .

وفي إجتماع عقد في روما في ١٣ مايس بين « فون ريبنتروب » و « موسوليني » وحضره الكونت « شيانو » وزير الخارجية الإيطالية، جرى بحث الوضع في العراق بين عدة أمور أخرى حيث نقل الوزير الإلماني نص الإتفاق الذي تم التوصل إليه بين « أبيتز » سفير المانيا في باريس و « دارلان » نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في حكومة « فيشي » الموالية للإلمان بتاريخ ٣ مايس [١] والذي وعد الأخير ، بموجبه ، بتقديم كل شيء ؛ أي تجهيز العراق بما موجود في مخازن الذخيرة ، بما في ذلك الطائرات الموجودة في سوريا والمساعدة في نقل المزيد من التجهيزات عبر سوريا واعادة تزويد الطائرات الإلمانية المتجهة للعراق بالوقود واصلاح ما قد يعطب منها ووضع أحد المطارات شمال شرقي سوريا تحت تصرفها . [٢]

وأضاف ريبنتروب » إلى ذلك ما يلي : « في حالة وصول شحنات

---

(١) أي بعد يوم واحد من حدوث الإصطدام العسكري بين العراق وبريطانيا وقد جاء ذلك بمثابة رد فعل سريع من جانب الإلمان تجاه البرقية التي وجهتها حكومة الدفاع الوطني في ٢ مايس إلى المفوضية في أنقرة طالبة منها إبلاغ السفير الإلماني اعادة العلاقات بين الدولتين وتقديم مساعدة عاجلة .

(٢) *William L. Langer, our Vichy Gamble, p.* 148

واسعة النطاق من الأسلحة إلى العراق ، فسيكون بالمقدرة نقل قوات بطريق الجو إلى المنطقة ، وهي التي ستتمكن عندئذ من التقدم ضد البريطانيين باستخدام المواد الموجودة هناك ومن ثم تستطيع ، في ظروف معينة ، مهاجمة مصر من الشرق ، من العراق . »

## جبهة جديدة

أبدي « موسوليني » الذي كان يتطلع لبسط نفوذه وهيمنته على منطقة البحر الأبيض المتوسط برمنها ، إهتماماً عظيماً بما يحدث في العراق وحث على تقديم المساعدة فوراً ثم طرح وجهات نظره بقوله : —

١ — يجب على المرء مساعدة العراق بكل تأكيد نظراً إلى أن جبهة جديدة ضد البريطانيين ستخلق بهذه الطريقة وسيثار السخط ، ليس لدى العرب وحدهم ، بل ومن لدن عدد كبير من المسلمين . وبالفعل فان المفتي الأكبر قد أهاب بمسلمي العالم أن يشنوا حرباً مقدسة ضد إنكترا .

٢ — من الضروري ضمان السيطرة على كريت وقبرص ( الحجرة المؤدية إلى سوريا ) ، واذا استطاع المرء أن يحصل من الفرنسيين ، عندئذ ، على الموافقة على نزول القوات والطائرات في سوريا ، فان مساعدة المحور للعراق ستكون كبيرة جداً . ان الإيطاليين قد أعدوا ، بالفعل خمس طائرات ستتوجه إلى العراق عن طريق رودس ، لغرض نقل ٤٠٠ مدفع رشاش وكذلك ٢٠ مدفعاً مضاداً للدبابات إلى هناك . واضافة لذلك ، فان ١٢ طائرة مقاتلة على استعداد للعمل .

---

( ١ ) فشل الإيطاليون في احتلال مصر من ليبيا واعيدوا إلى الوراء .

واذا ثبت أن بالإمكان مرور الأسلحة من تركيا ، فان المرء سيزحف ضد انكلترا من سوريا . والميزة العظيمة هنا تكمن في مسافة المائة كيلومتر من الصحراء التي ينبغي قهرها في حالة الهجوم على مصر من سوريا ، بالمقارنة مع الخمسماية كيلومتر من الصحراء في حالة الهجوم على مصر من الغرب[١].

## مقايضة

وعندما وجه له سؤال من « رينتروب » عن المدة التي يستطيع العراق في غضونها أن يقاوم الإنكليز ، رد « موسوليني » بأن رئيس الحكومة العراقية قد أعلن إنه يستطيع المقاومة ضد البريطانيين بشرط أن يحصل فقط على بعض المواد الحربية. وعلى أية حال، فاذا لم يستلم مساعدة فان بريطانيا ستقضي على المقاومة في ثلاثة أو أربعة أسابيع[٢].

وصلت أول شحنة سلاح المانية بالقطار من حلب إلى الموصل في ١٣ مايس ، وفي نفس اليوم قام « غروبا » والعميد « قاسم مقصود » آمر منطقة الموصل ، بالتوقيع على إتفاقية أمدها ثلاث سنوات بشأن مقايضة الأسلحة الإلمانية بمنتجات من العراق . وبالفعل ، تم شحن قطارين بالحنطة والرز والسكر والنفط إلى سوريا وأعقبهما قطاران آخران قبل أن يتوقف النقل بالسكة الحديد نتيجة لتخريب جسر قرب محطة « تل كوجك[٣] » .

---

(١) فشل الايطاليون في احتلال مصر من ليبيا واعيدوا الى الوراء

(٢) استند « موسوليني » في أقواله هذه على تقرير ارسله وزير ايطاليا المفوض في بغداد عن مقابلة له مع « الكيلاني » .

(٣) – « لفتت الحكومة البريطانية انظار تركيا نتيجة لمرور هذه الأسلحة ، ولكن الذي يبدو أن تركيا تصرفت نتيجة للضغط الإلماني وكذلك خوفاً من أن العراق سيتقم بالحيلولة دون مرور الأسلحة من بريطانيا عن طريق الخليج ( العربي ) عبر أراضيه

*Majid Khadouri, Independent Iraq, p 233.*

ويقول « بابن » الذي اجتمع مع هتلر في « سالزبرغ » بالمانيا يوم ١٣ مايس وبحث=

## أمر من « الفوهرر »

شنت الطائرات الإلمانية أول هجوم على قاعدة الحبانية في ١٦ مايس ، ثم عاودت الهجوم في ٢٠ مايس محققة نجاحاً لا يستهان به ولكن بعد أن خسرت خمس قاذفات قنابل واحدى عشرة مقاتلة ، وقد قدر عدد الطائرات التي وصلت العراق بثلاثين طائرة بينما يرى البعض أنها تراوحت بين عشرين وثلاث وعشرين .

ومن الطبيعي ، فان هذه المساعدات لم تكن كافية ، ولم تؤثر على سير العمليات الحربية الا قليلاً فقد استطاع الطيران البريطاني تدمير القوة الجوية الإلمانية في مطارات شمالي العراق ، خاصة في الموصل ، وفي ١٨ مايس وصلت طلائع « رتل الحبانية » إلى القاعدة البريطانية قادمة من فلسطين وشرق الأردن . وفي ١٩ مايس احتل الإنكليز « الفلوجة » ولم يفلح الهجوم العراقي المضاد في ٢٢ مايس في استرداد القصبة ، وهكذا اقترب الخطر من بغداد

وفي هذه الظروف الحرجة ، بدأ « هتلر » بالأهتمام بالعراق ثانية ، ففي ٢٣ مايس أي عندما كانت قوات المشاة الإلمانية المنقولة جواً منهمكة في إقتحام جزيرة « كريت » بعد أن كان مؤملاً منها أن تساهم في مساعدة العراق ، أصدر « هتلر » الأمر التالي :

( سري ) ا ع ( سرى )

رقم ٤٤٧٧٢

توجيه رقم ٣٠ عن الشرق الأوسط

---

= معه موضوع مساعدة العراق : « كان رينتروب يمطرني بالبرقيات التي تلح علي الطلب من الترك السماح بمرور كل نوع من مواد الحرب إلى العراق . ومن الطبيعي أنهم امتنعوا عن ذلك ، رغم أنهم سمحوا بمرور النفط الذي لا يمكن اعتباره مادة حربية تماماً » .

*Von Paplu Memoirs, P. 477*

١ – إن حركة التحرر العربي هي حليف طبيعي لنا ضد بريطانيا في الشرق الأوسط ، ومن هذه الناحية تعتبر الثورة في العراق بالغة الأهمية فهي تعزز القوى المعادية لبريطانيا خارج حدود العراق ، وتعرقل رسائل المواصلات البريطانية وتشغل قوات بريطانيا وقطعاتها البحرية في عمليات حربيــة جانبيـــة .

ولذلك ، قررت أن أحرك التطورات في الشرق الأوسط عن طريــق مساندة الثورة العراقية

ان تقرير ما اذا كان ذلك ممكناً وكيفية تنفيذه ، اذا اقترن بهجوم على قناة السويس ، لضرب المركز البريطاني بين البحر الأبيض المتوسط والخليج (العربي ) ، فأمر يبت به بعد عملية باربا روسا [١] .

٢ – واختصاراً لقراراتي المفصلة ، آمر أن تتم مساندة العراق بما يلي :

– إرسال بعثة عسكرية .

– تقديم مساندة جوية .

– تسليم الأسلحه للثوار .

٣ – الشعبة العسكرية يكون اسمها المستعار « أركان حرب خاصة – ف » تكون تحت قيادة مارشال الجو فيلمي . واجباتها هي :

أ – مساندة القوات العراقية ومدها بالمشورة .

---

(١) الإسم الرمزي لخطة الهجوم على الإتحاد السوفيتي والتي نفذت في ٢٢ حزيران ١٩٤١ وكان اعدادها من أسباب التأخر في مساعدة المانيا للعراق .

ب ــ اذا أمكن ، إجراء إتصالات مع القوات المعاديةلبريطانيا خارج العراق .

ج ــ الحصول على الخبرة والمعلومات في هذه المنطقة للقوات الإلمانية، تشكيل هذه البعثة ، ينظمها ، حسب المهام الملقاة على عاتقها ، قائد القيادة العليا للقوات المسلحة

التسلسل القيادي يتم على الوجه التالي :

أ ــ جميع أفراد البعثة العسكرية المرسلة إلى العراق ، بما فيها هيئة الإتصال في سوريا ، ستكون تحت قيادة رئيس البعثة العسكرية .

ب ــ رئيس البعثة العسكرية سيكون تابعاً لقائد القيادة العليا للقوات المسلحة ، باستثناء الأوامر لقوة الطيران فانها ستصدر فقط من القائد العام للقوات الجوية .

ج ــ رئيس البعثة سيكون على علاقة فقط بالقوات العراقية . أما المفاوضات مع الحكومة العراقية في الأمور المتعلقة بالبعثه فيجريها ممثل وزارة الخارجية في العراق [١] .

وعندما يكون الأمر مختصاً بقضايا عسكرية ذات ملابسات سياسية فعلى رئيس البعثة أن ينال ، مسبقاً ، موافقة ممثل وزارة الخارجية .

د ــ يعتبر أعضاء البعثة العسكرية في الوقت الحاضر متطوعين ( كما كانت الحال في فرقة كوندور) [٢] ويرتدون الملابس الإستوائية والشارات

---

(١) الدكتور « غروبا » .

(٢) هي الفرقة الجوية التي ساعدت الجنرال فرانكو أثناء الحرب الأهلية الإسبانية .

العراقية كما أن الطائرات الألمانية يجب أن تحمل علامات الطيران العراقي .

٤ — الطيران

استخدام الطيران بكميات محدودة يقصد منه ، بالإضافة إلى تأثيره المباشر ، رفع المعنويات الحربية وتعزيز الثقة بالنفس لدى القوات العراقية والشعب العراقي .

يحدد نوع ومدى العمليات الجوية القائد العام للقوات الجوية .

٥ — التزويد بالأسلحة .

قائد القيادة العليا للقوات المسلحة يصدر الأوامر بهذا الخصوص .

يتم التسليم من سوريا انسجاماً مع الاتفاق الذي تم مع الفرنسيين (١) بهذا الخصوص ، ومن المانيا .

٦ — ادارة الدعاية في الشرق الأوسط هي من مسؤولية وزارة الخارجية التي سوف تتعاون مع القيادة العليا للقوات المسلحة . هيئة أركان العمليات . قسم الدعاية .

أما الفكرة الأساسية من الدعاية فهي كما يلي .

ان فوز دول المحور سوف يحرر بلدان الشرق الأوسط من النير البريطاني ويعطيها حق تقرير المصير ، ولذلك فان على جميع محبي الحرية

(١) اتفاق أيبيتز — دارلان الذي أشرنا اليه .

أن ينضمو إلى القتال ضد بريطانيا. ولا تجرى أية دعاية ضد الفرنسيين في سوريا [١] .

اذا كان من الواجب استخدام أفراد القوات الإيطالية في العراق ، فعلى المسؤولين الإلمان التعاون معهم بموجب الخطوط الواردة في هذه الخطة مع بذل الجهود لتأمين وضعهم تحت قيادة رئيس البعثة العسكرية الإلمانية .

التوقيع : أدولف هتلر [٢]

لقد جاء الأمر متأخراً ، كما هو معروف ، فتعذر تنفيذه وسار الزمن لمصلحة الإنكليز .

---

( ١ ) تجنباً لإثارة حكومة « فيشي » .

( ٢ ) *Documents on German Foreign Policy, Series D, Vol. XII. pp.* 862—64.

# الفصل الرابع

## عبد الاله يعود

عندما بدت نذر ثورة مايس ، ١٩٤١ ، في الأفق بارغام « الهاشمي » على الإستقالة في شهر نيسان وفرار الوصي إلى الحبانية فالبصرة ، واستلام السلطة في « بغداد » من جانب حكومة الدفاع الوطني برئاسة « الكيلاني » كان جيرالد دي غوري » يشغل مركـز السكرتير الاول فـي المفوضية البريطانية بطهران . وسرعان ما عهد له بمهمة لم تخطر له على بال ، فقد طلب منه التوجه إلى « البصرة » ممثلاً لبريطانيا لدى « عبد الاله » الذي استقر على ظهر البارجة الإنكليزية « كوك شبير » حيث نصبت له الحكومة — البريطانية اذاعة خاصة وعينت « أنور مخلص » مذيعاً فيها .

وبالفعل ، توجه « دي غوري » إلى « البصرة » ولكن ليجد أن الأحداث قد تطورت بشكل غير متوقع أيضاً ، بيد أن ذلك لم يمنعه من المضي قدما في تنفيذ مهمته التي بدأت بالدخول إلى نطاق مثير. وهنا نترك له أن يحدثنا ولأول مرة ، عن حقيقة ما جرى أمامه أو على يديه .

يقول دي غوري : ليلة الأول من نيسان استولى الجنرالات الأربعة [1]

(١) العقداء : صلاح وفهمي ومحمود وكامل .

على السلطة ، بعد أن دفعوا الجيش إلى العاصمة لحراسة النقاط الهامة والقصر [١] .

أوقف ضابط الإرتباط الجوي البريطاني بحدّ الحراب عندما كان في طريقه إلى مقر قيادة القوة الجوية الملكية في الحبانية . وبعد أن وجد هذا نفسه مرغماً على العودة ، اتجه الى السفارة حيث وجد ان القوم هناك لم يقتنعوا ، بعد ، بجدية الموقف وخطورته . شرع الضابط في الرحيل مرة أخرى ، فاجتاز النهر بواسطة جسر القوارب [٢] عند الكاظمية ، وبعد أن حصل على معونة دليل من إحدى القبائل ، وصل الحبانية في نهاية الأمر عند طريق الصحراء واجتياز الفرات عند الرمادي . وبهذا صار بمقدوره إعطاء مقر قيادة القوة الجوية الملكية تحذيراً فورياً بان إنقلاباً قد دخل طور التنفيذ في « بغداد » .

## في ملابس امرأة

قرر الوصي مغادرة العاصمة ، للمرة الثانية [٣] ، وذلك بعد أن جلب له أحد طباخي القصر نسخة من شهادة طبية عن موته بالسكتة القلبية ، موقعّة ومؤرخة في تلك الليلة . وكان الطبيب الذي وضع توقيعه عليها تحت الإكراه ، قد سعى لرؤية الطباخ وسلّمها له لنقلها إلى القصر . أما أن تكون هذه مدبرة من جهة ما حتى تصل الوصي وتدخل الخوف في قلبه

---

(١) الرحاب .

(٢) كان هذا يربط الكاظمية بالأعظمية ثم نقل إلى موقع آخر بعد انجاز الجسر الحديد الحالي عام ١٩٥٧ .

(٣) كانت الأولى في أواخر كانون الثاني ، ١٩٤١ ، إلى الديوانية ، وذلك لإرغام حكومة « رشيد عالي » على الإستقالة .

بحيث يغادر المدينة ، فأمر غير مؤكد . غير أنه [1] اعتقد إعتقاداً جازماً إنها لم تكن كذلك ، لذا إنطلق بالسيارة في الحال إلى بيت الأميرة صالحة عمته ، التي تقيم في دار قديمة على الضفة الشرقية للنهر. كانت القوات قد إتخذت مواقعها فعلاً على جانبي الطريق بين مقره ، قصر الرحاب والمطار بيد أنهم كانوا اما جلوساً هنا وهناك أو واقفين دون إكتراث ومن الواضح إنهم بانتظار الأوامر التي لم تصل بعد . ولهذا ساوره الأمل في عدم التعرض له وايقافه ، وفي غضون ذلك اتصلت إحدى نساء العائلة هاتفياً بالدكتورسندرسن [2] كما هو الحال عندما تكون هناك أية متاعب.

لم تبح هذه باسمها ، وكل ما فاه به الصوت : « أرجو أن تتوجه إلى بيت عمتي في الحال ، إنـــه أمر مستعجل . » أدرك سندرسن أن الأميرة عابدية ، شقيقة الوصي ، هي التي كانت تتكلم وبخوف . وفي دار صالحة ، تم الإتفاق على أن يرتدي الوصي زي امرأة وأن يأخذ طريقه ، بعربـــة يجرها حصان ، إلى المفوضية الأميركية بعد أن قال الطبيب بأن الذهاب إلى السفارة البريطانية [3] سيكون مسألة بعيدة عن الحكمة . فذلك هو المكان الذي يتوقع الآخرون تماماً انه موجود فيه لذا انجز الوصي عملية تنكـــره بمساعدة الأميرة صالحة ، بعد أن استعار عباءة ، وثوباً وحذاء من العائلة .

## تحت الأقدام

وعند الوصول إلى المفوضية الأمريكيـــة ، جابه(الوصي)صعوبة موقتة

---

(١) عبد الاله .

(٢) هو « سندرسن باشا » طبيب العائلة المالكة . اقرأ عنه في الفصل الخامس من كتابنا « أسرار عراقية » .

(٣) أصر الوصي في البداية على رغبته في اللجوء إلى السفارة المذكورة أي العودة الى جانب « الكرخ » مرة أخرى فحذره « سندرسن » من مغبة ذلك .

في السماح له بالدخول ، في دور امرأة غير معروفة من بغداد ، إلى مقر الوزير ، بيد أنه استطاع أن يقنع أحد الموظفين بوجوب مقابلة قرينة الوزير ، السيدة نابنشو ، وبذا استقبل ونال العناية بانتظار وصول مندوب بريطاني والدكتور سندرسن لمناقشة الخطوة التالية . كان سندرسن قد قابل أدريان هولمان ، مستشار السفارة البريطانية ، فتم ارسال سيارتين تابعتين للقوة الجوية الملكية مع بدلتين للضباط إلى محل للقاء ، وهو نادٍ [١] ، قرب المفوضية الأمريكية .

وفي النهاية ، لم تستعمل أي من هذه من قبل الوصي بل من جانب مرافقه ؛ عبيد بن عبدالله [٢] الذي حصل على بدلة ونظارة غامقة ونسخة من صحيفة التايمز ليمسك بها أمام وجهه . كان من المقرر أن يغادر نابنشو بغداد بعد وقت قصير إلى محطة القوة الجوية الملكية في الحبانية للترحيب بالسفير البريطاني الجديد ؛ السير كينهان كورنواليس فوفرت الرحلة إلى الحبانية فرصة لإيصال الوصي إلى بر السلامة . وكانت الترتيبات قد إتخذت فعلاً لنقله إلى البصرة ، وما أن يحل هناك ، فانه يتمكن عند الحاجة من ارتقاء سفينة حربية بريطانية .

تم اخفاء الوصي في سيارة الوزير ، تحت زولية بين أقدام نابنشو وقرينته ، وتقرر أن تسير سيارتا القوة الجوية الملكية في المقدمة ، وتجتازا الجسر ، وتنتظرا ومن ثم تعقبا سيارة المفوضية الأمريكية .

---

(١) نادي العلوية (بتسكين العين وكسر اللام) ،في ساحة الجندي المجهول قرب «دجلة» .

(٢) المضايفي .

وعند الجسر ، حدّق أحد الضباط العراقيين داخل السيارة ، وهنا شاهدت السيدة نابنشو أخمص مسدس الوصي الأوتوماتيكي بارزاً من الزوايا ، غير أن الضابط اعتدل في وقفته وسمح للسيارة بالمرور . لقد كانت راية الولايات المتحدة الأمريكية على مقدمة السيارة بمثابة جواز سفر كافٍ في كل مكان طوال الطريق إلى الأمان مع القوة الجوية الملكية في معسكرها بعد الجسر على الفرات عند الفلوجة . ولم يتمكن السفير الجديد من مقابلة حاكم البلاد الا في ذلك المعسكر وهو في طريقه إلى خارج العراق . أما السفير فلم يكد يصل سفارته حتى وجد نفسه سجيناً فيها من قبل الجيش الثائر .

كانت بعض المجوهرات ، وبضمنها السلسلة الذهبية للوسامين الهاشمي [١] والفكتوري [٢] مع شيء يستدعي العجب هو مسدس مطلي بالفضة هدية من هتلر إلى غازي ، ومجموعة من الوثائق قد سلمت إلى القوة الجوية الملكية لإرسالها إلى الكويت حيث توجه الوصي في سفينة حربية بريطانية . سقطت الطائرة مع المجوهرات التي كانت في عهدة كبير ضباط الإستخبارات ، قائد الجناح جوب – سليدو في مياه الخليج ؛ ذلك أن الطيار بعد أن فقد اتجاهه ، فشل في العثور على مطار الشعيبة أو الكويت مما أدى إلى نفاذ الوقود .

جرت الرحلة ليلاً وذلك من أجل ضمان سلامة أفضل عند التحليق

(١) نسبة إلى العائلة الهاشمية المالكة .

(٢) ملكة بريطانيا في القرن التاسع عشر .

نظراً لتعرض المطار إلى نيران القناصة . سبح الطيار وجوب – سليدر وقتاً طويلاً وبعد دقائق من قول الأخير ، وهو سباح متمرس ، ان عليه التخلي عن محاولته وعندما أخذت المياه بابتلاعه ، جاء قارب متجه من البصرة إلى الكويت إلى مسرح الحادث وأنقذ الطيار وحده ، وهكذاظلت المجوهرات البريطانية والعراقية وكمية كبيرة من الأوراق النقدية من خزانة الإستخبارات في العراق ، غارقة تحت مياه البحر قرب جزيرة بوبيان .

وفي هذه الإثناء ، نقل نوري باشا إلى الحبانية في إحدى سيارات القوة الجوية الملكية من جانب ضابط الإرتباط الجوي ، فائد السرب ب . دومفيل [١] . تم ايقافهما عند جسر الفلوجة على يد حرس من الجيش العراقي ، وبعد اسدال قبعتيهما المدنيتين على عيونهما ، تمكنا من اقناع الحرس بانهما ضابطان عائدان من اجازة نهاية الإسبوع في بغداد .

## ستة وزراء

كان الوصي قد نقل إلى الأردن ومن ثم إلى فلسطين بواسطة القوة الجوية ، فتألفت المجموعة التي نزلت فندق الملك داود ، من نوري السعيد ونجله ، صباح ، الذي نقل بدوره جواً ، وداود باشا الحيدري ، وعلى جودت وهو رئيس وزارء سابق ، وجميل المدفعي ، رئيس وزراء سابق كذلك ، وعبيد بن عبدالله ، من الحرس الملكي وابن صديقي الحاجب البدوي للملك فيصل الأول ، والشريف حسين ، شقيق زوجة فيصل . لقد انضمت

(١) للمزيد من المعلومات عن هذا الشخص ، وهو ضابط استخبارات كبير في الواقع ، يمكن الرجوع إلى الفصل الخامس من كتابنا « أسرار عراقية » .

إليهم ، قادماً من طهران عن طريق البصرة ، بعد أيام قليلة من وصولهم .[1]

كان الأربعة الأوائل سياسيين ، أما عبيد وهو أول عراقي يدرس في كلية الأركان البريطانية في ساندهيرست ، فانه فارس قبل أي شيء آخر. بينما لم يبد الشريف حسين أي ميل ، على الإطلاق ، الحياة السياسية لذا فانه لم يكن معروفاً جيداً خارج نطاق أوساط البلاط . وعلى هذا فان «الحكومة في المنفى » التي كانت ستعرف بهذا الإسم ، لم يتوفر لها سوى أربعة أعضاء بينما النصاب القانوني لأي مجلس وزراء عراقي هو ستة أشخاص .

وعندما أخذت البرقيات بالتدفق من لندن على الوصي ملحّة عليه من أجل تأليف حكومة ، فانه ظل ممتنعاً عن ذلك ؛ ليس لأن النصاب لن يكتمل الا بتسمية الشريف ومرافقه[2] أعضاء في مجلس الوزراء فحسب ، بل لأنه شعر أن من غير المستطاع اجتذاب المترددين في العراق إلى جانبه اذا صار نوري رئيساً للوزراء مرة أخرى .

وإضافة لذلك ، فان نوري ، وجميل المدفعي ، وعلي جودت ، كانوا ينظرون ، أحدهم إلى الآخر ، بعين الشك والريبة . فاذا ابدى الوصي ، أو بدا أنه سيبدي ، بعض الود تجاه واحد منهم ، فان الآخرين سرعان ما يصيبهما القنوط . وعندما كنت أدلف إلى صالة الفندق كل صباح ، فلا

---

(١) يقول « الحسني » في ص ١١٤ من الطبعة الثانية لكتابه : « الأسرار الخفية عن ثورة السنة ١٩٤١ التحررية » ما يلي : كما عينت (بريطانيا) سفيراً لديه هو ديكوري الذي قدم أوراق اعتماده إلى الأمير وهو على ظهر الدارعة البريطانية . » وفي هذا أكثر من ذلك أن « دي غوري » نفسه يقول بأنه لم يلحق بالوصي في البصرة لأن الأخير غادرها إ الكويت فالأردن وفلسطين بعد أن أصابه اليأس من احتمال تأييد أهلها أو أي من المسؤولين العسكريين أو المدنيين فيها له .

(٢) عبيد .

بد أن الاحظ غياب واحد منهم. فاذا توجهت بالسؤال إلى الوصي : «أين فلان الفلاني ؟ » فان الوزير السابق يكون قد انتحى زاوية بعيدة خلف إحدى الصحف . وعندما أتوجه للحديث مع ذلك الشخص في وقت لاحق، فانه يزعم أنه يشكو من الصداع أو أي نوع من أسباب انحراف الصحة . وفي كل يوم فان واحداً منهم ، بدوره ، يكون غارقاً في دوامة من الكآبة والكمد ».

## لا حكومة موقتة

وعدا عن ذلك ، وكما يعرف الوصي ، فانه سيكون من قبيل الخطأ جعل نوري السعيد رئيساً للوزراء في وقت كان ذلك فيه غير مرغوب فيه للغاية — رغم أنه [1] لم يشأ إعطاء ذلك باعتباره السبب — وقاوم جميع المحاولات لإقناعه بتشكيل « حكومة » . ومما لا ريب فيه أن الفشل في خلق حكومة أخرى « في المنفى » طبقاً للنموذج المألوف [2] قد قوبل بالإستنكار في لندن .

كان جميع العراقيين في المنفى لا يكفّون عن السؤال عن موعد رحيلهم إلى العراق . بدا عليهم إنهم يعتقدون أن الجيش البريطاني هو أبطأ حافلة

(١) لم تكن لديه أوراق اعتماد يجب أن تاتي من لندن والوقت ضيق للغاية . مع العلم أنه لم يعين «سفيراً» لدى « عبد الاله » بل ممثلا لبريطانيا عنده ، وقد قصده في فلسطين بهذه الصفة . وفي ص ٢٤٢ من الجزء الخامس ، الطبعة الرابعة ، من : « تاريخ الوزارات العراقية» وقع المؤلف في لبس جديد اذ قال بأن « السفير » لدى الوصي هو « دونفل » ولا ندري من أين جاء هذا !

(٢) عبد الا له .

عرفوها في حياتهم . والواقع ، الوحدات التي عهد إليها بمهمة الإستيلاء على قلعة الرطبة وسط الصحراء قبل أن يزحف الطابور الرئيس في أعقابها ، كانت بطيئة إلى حد ما حول هذه المسألة . ذلك أنها ، وهذا أمر مفهوم ، كانت تلتزم بجانب الحذر أزاء شن هجوم مباشر نظراً إلى أن حامية القلعة كانت تمتلك عدداً من المدافع الرشاشة .

وبعد طول إنتظار ، وبعد المساندة من الجو ، سقطت القلعة بيد سرية المدرعات الثانية التابعة للقوة الجوية الملكية ، وبدأت الخطوة التالية . كان نوري والآخرون متلهفين عندما زودوا بوسائط النقل والمال وأخبروا أنهم على وشك الرحيل . ذهبت الأمتعة ، باستثناء حقيبة صغيرة واحدة للوصي وأخرى لي ، بواسطة الطريق البري ، مع جماعة صغيرة من العراقيين الذين في الأردن أو في مكان آخر عندما بدأت الثورة فتطوعوا للقيام بذلك . وعندما وصلوا الفرات ، سيطرت عليهم حالة من الفرح والحبور فرفضوا التوقف واستمروا في طريقهم إلى الرمادي . وهكذا ، وبعد أيام قليلة ، كان السياسيون بحاجة إلى تبديل ملابسهم ، فالتمسوا مني أن أحصل لهم على الموافقة على التسوق من المخزن العسكري في الحبانية . لم يكن من الأمور المناسبة لهم أن يقوموا بذلك ، بيد أنهم حصلوا على استثناء . ولبرهة من الوقت فان السياسيين الوقورين ، والذين اتصف بعضهم بالبدانة ، ظهروا في السراويل القصيرة المصنوعة من قماش الخاكي والقمصان البيضاء ذات

---

(*) بعد أن سقطت بولندا تحت السيطرة الإلمانية ، قامت حكومة «حرة» أو «في المنفى» لها في لندن ، ثم اعقبتها هولندا وبلجيكا والنرويج واليونان، وهذا هو النموذج المقصود .

الأكمام القصيرة التي يرتديها رجال الطيران عندما يكونون بعيداً عن الواجب !

## ذكريات لورنس

جرى إعطاؤهم خياماً في أحد بساتين النخيل خارج المعسكر للمساعدة على إيجاد جو من الإستقلال [١] . وهناك تعرضوا إلى القصف بالمدافع الرشاشة من طائرة ميسرشمت [٢] ، وبينما كانوا ينهضون من الأرض ببطء بعد ذلك ، وهم أبعد ما يكونون عن الشعور بالسعادة ، قال الوصي بلا مبالاة : « من منكم يريد أن يعود أدراجه إلى فندق الملك داود — ومن منكم يريد الإستمرار معي للذهاب إلى بغداد ؟ » ولكن في صباح اليوم التالي وجدتهم قد ذهبوا ، ليس للقدس ، بل إلى بناية على ضفاف بحيرة الحبانية ، كانت تستخدم من قبل الخطوط الجوية الإمبراطورية .

وكان الوصي مشغولاً دوماً في استجواب « الأسرى » أي الرجال الذين وقعوا بأيدي الطابور البريطاني والمتطوعين [٣] ، أما أنا فقد نلت التشجيع من قبل السلطات البريطانية لإنفاق المال ونلت اعتماداً ، استخدمته في الحصول على سيارات للوصي وحاشيته ولتقديم دفعات طارئة من النقد الذي سيعيد العراق دفعه في وقت لاحق .

كان هناك أمل في أن نتمكن ، بمساعدة المال ، من « إثارة القبائل »

---

(١) أي استقلال هذا وهم في أحضان الإنكليز الغزاة ؟

(٢) طراز مشهور من الطائرات الحربية الإلمانية .

(٣) يقصد قوات « الليفي » .

تأييداً للوصي ، وكان يقال : « الدينا أساحة قليلة باستثناء واحد — المال . » ولقد شعرت بأنني استحق اللوم لعدم الإنفاف بسخاء ؛ بيد أن إثارة القبائل في ذلك الحين كانت مسألة تدخل في نطاق المستحيل . ويجب أن يكون هذا سبباً في خيبة أمل أولئك الذين رسموا في أذهانهم صورة لتكرار حملة لورنس أثناء الثورة العربية [1] : — كتلة متحركة بعنف من جنود الهجّانة على ظهور الإبل تزحف عبر الصحراء ، والوصي في وسطهم ، وكذلك أنا ، مع حقائب رنانة من الجنيهات الذهبية عند مقدمة سرجي ، محاطاً بحرس يرتدون الملابس الزاهية ، هذا هو الشكل الذي يمكن أن يكون قد بدا أمام عيونهم !

بيد أن الحقيقة التي تخيب الآمال ، أن ذلك الوقت من السنة كان غير مناسب للتعبئة في الصحراء ؛ فاثارة رجال القبائل تتطلب عدة أسابيع ، وهم لا يرغبون في الإحتفاظ دون أسلحة من أحدث طراز . فقد جربوا المعدن ؛ من المدافع الرشاشة إلى الطائرات ، وهم يعرفون أنه لا يوجد أمل في كسب معركة أمام قوات مجهزة جيداً . صحيح أنه من الممكن تجنيد البدوي وتدريبه كما حصل في الفيلق العربي الأردني، لكن ذلك يتطلب وقتاً بينما كنا ، نحن ، نسابق الزمن .

والبدوي ، بحكم الظروف أو الحاجة ، يستقر إلى جانب ماء دائم في الصيف ، وبخلاف ذلك فان حيواناته تهلك عطشاً ، والصيف العربي

---

(١) التي اندلعت في « الحجاز » في حزيران ، ١٩١٦ ، بقيادة « حسين » — شريف « مكة » كما هو معروف . وقد امتدت هذه شمالا إلى « الشام» ولعبت فيها قبائل البدو مثل « الحويطات » دوراً بارزاً خاصة في الغارات السريعة على مواقع الترك واقتلاع سكة حديد « الحجاز » في عدة مواقع .

قد حلّ بيننا فعلاً . أما أولئك الذين يغادرون خيامهم فيجب أن يكون لديهم طعامهم وماؤهم الخاص علماً بأن مقادير الطعام في خيام البدو منخفضة في شهر مايس . وهم يتسوقون من « موانئهم » أي المدن على حافة الصحراء في مطلع الخريف واذا وجد رعي في الصيف فانه قليل . ولا ننسى أنهم يحبون مناقشة الأفكار الجديدة على مهل ؛ لذا فان إيصال الرسائل إلى الشيوخ الذين لا يسافرون كثيراً أيام الحر الشديد سيستغرق عدة أيام ، كما أن وصولهم الينا سيتطلب وقتاً أطول .

## كنا نعرف

اختفت هذه الخطط ، وبدلاً منها اشترينا ، في فلسطين ، سيارات وباصات واكترينا حراساً لمرافقتنا وسواقاً .

أما استغلال القبائل المقيمة على النهر [1] فقد كان مسألة مختلفة ، فتطلعنا إلى ضمان ولائها ودفعنا المال وبعثنا الرسل لها ، وهكذا لم ينهض أي منها لمساعدة رشيد عالي .

وفي غضون ذلك ، ساد لندن قلق يمكن تبريره ، وألقى تشرشل خطاباً في مجلس العموم عن وضع الحرب في ٧ مايس قال فيه : أشار البعض إلى أن ما حدث في العراق هو مثل آخر على فشل استخباراتنا ودبلوماسيتنا . ان صديقي المحترم والشجاع العضونوكس قد تساءل عن ذلك ، رغم أنه تصرف بطريقة ودية تماماً .

---

(١) الفرات .

لقد جرى أخبارنا أن وزارة الخارجية لم تعرف أي شيء على الإطلاق عما يدور في العالم ، وان منظمتنا [١] لم تكن مستعدة كلية لمجابهة الوضع الحالي . بيد أننا عرفنا ، وبصورة جيدة للغاية ، ماكان يجري في العراق ، ومنذ وقت طويل يعود إلى مايس الماضي، قبل سنة ، بدأت وزارة الخارجية بطلب قوات لإرسالها إلى هناك لحماية خط المواصلات .

لم تكن لدينا القوات ، وكل ما استطعنا ارساله كان ملزماً بالتوجه إلى وادي النيل [٢] . ونتيجة لفقدان القوات صار من الصعب للغاية إيجاد مخرج ضد الدسائس البيّنه الموالية للمحور من جانب رشيد عالي الذي قام ، بعد إبعاده عن السلطة بناء على الحاحنا ، بتدبير إنقلاب ضد الوصي والحكومة الشرعية للبلاد . ومن الواضح أن هدفه جعل كل شيء جاهزاً أمام الالمان حال وصولهم إلى العراق طبقاً للبرنامج .

وعلى أية حال ، ففي هذه الحالة ، فان الحكومة البريطانية السيئة المعلومات ، الكسولة والمتسمة باللين والوداعة ، كما أصبحت بعد حرمانها من مواهب بعض الأعضاء الثمينين، قد أحبطت هذه المؤامرة في الحقيقة. فقبل ثلاثة أسابيع نزلت قوات بريطانية قوية ، يجري تعزيزها باستمرار من الهند ، في البصرة وتولت السيطرة على رأس الجسر البالغ الأهمية في الشرق ، والذي سنقاتل من أجله وبشدة ولوقت طويل دون شك » [٣]

---

( ١) يقصد الحكومة .

(٢ ) عندما كانت معارك شمال افريقيا محتدمة بين الإنكليز والإيطاليين .

(٣ ) السجلات الرسمية المطبوعة لمناقشات مجلس العموم البريطاني بالإنكليزية — والمعروفة باسم « *Hansard* » المجلد ٣٧١ ، ص ٩٤٢-٩٤٣

والواقع ، فان السفارة البريطانية لم تكن على ادراك تام للأحداث القادمة كما كان ينبغي أن يكون وأن رشيد عالي لم « يبعد من السلطة بناء على الحاحنا » [١] . إنه بذل أقصى ما في وسعه لأن يؤخر ، أو يحول ، الى اللحظة الأخيرة دون وصول ومرور قواتنا إلى العراق ، رغم أن ذلك كان منسجماً كلية مع معاهدة ١٩٣٠ [٢]

ولقد بدا أن قائد القوات البريطانية من الهند ، عند وصولها إلى البصرة في أعقاب لإنقلاب ، كان يمعن النظر في أن « يقاتل بشدة ولوقت طويل » كما أشار المستر تشرشل في مجلس العموم وربما يعود السبب إلى أن الجيش البريطاني والهندي تطلب ثلاث سنوات للوصول من البصرة إلى بغداد ، خلال المناطق القبلية الريفية ، في الحرب العالمية الأولى .

وعندما اقترحت عليه ، في البصرة ، أن يقوم قسم من قواته بالزحف سريعاً على بغداد ، خلال الصحارى وبخاصة البعيدة عن الأنهار إلى الغرب ، مستولية على كل مركز صحراوي للشرطة وبئره الصحراوي بدوره ، فان الفكرة قوبلت بالرفض في التو واللحظة ، مضيت في طريقي إلى فلسطين بطائرة مدنية هولندية ، وأنا مسرور لقيامي بذلك . فالزحف من فلسطين عبر الصحراء وصل بغداد في شهر ، وقد أنجز باصابات قليلة ، وخلال ذلك الوقت باسره لم تتحرك القوات في البصرة الا بالكاد .

(١) لعل الكاتب قد نسي أن « الكيلاني » قد أرغم على الإستقالة من رئاسة الحكومة في ٣١ كانون الثاني ، ١٩٤١ بعد هرب الوصي إلى الديوانية بناء على تحريض الإنكليز . راجع كتابنا « أسرار عراقية » الفصل الخامس .

(٢) اننا نود أن نشير إلى خطاب « تشرشل » في مجلس العموم ، أعلاه ، والذي بين فيه أن الإنكليز كانوا ينوون احتلال البصرة منذ مايس ، ١٩٤٠ .

كانت حامية الحبانية ، كما علمنا ، قد قاتلت بشجاعة ، ففي البداية إتخذ الثوار لهم موقعاً على التلال المطلة على المعسكر ، وقامت طائراتهم بقصفه . كانت هناك جبهة محيطها سبعة أميال تتطلب الدفاع عنها ، ولو لم تبادر الحامية إلى مهاجمة العدو وابعاده عن بواباتها لكانت قد ذوت من الوجود . أعيد استخدام مدفعين قديمين من طراز هاوتزر ٥ - ٤ ، منصوبين للزينة عند المدخل ، باعتبارهما المدفعية الوحيدة لدى المدافعين الذين كانت طائراتهم لا تعدو أن تكون مجرد مكائن قليلة وقديمة - للتدريب . كانت الروح المعنوية والمبادرة من جانب الحامية الصغيرة هي التي ادت لى انقاذها . فقد شنت غارة جوية ، واستولت مرة آخرى على الموقع المرتفع المتحكم في المعسكر ، ومن ثم ، وبقيادة الميجر اليستير عزاهام من سلاح الفرسان الملكي وسريته من الأثوريين ، شنت هجوماً على الجسر الوحيد عبر الفرات واستولت عليه ودخلت قرية الفلوجة على الضفة الشرقية . لقد تمسكوا بها ، ومعهم الكتيبة التابعة للملك ، وردوا الهجمات المضادة . وعندما وصلت القوة من فلسطين إلى الحبانية ، فان الوصي ونوري طرحا أفكارهما ، مستندين على معلوماتهم المحلية [١] . وسرعان ما نصب جسر متحرك على الفرات مما ساعد احد الطوابير على الإلتفاف من حول الفلوجه والفيلق العربي [٢] ، وذلك لحرمان الثوار

---

(١) ويقول « دي غوري » في ص ١٤١ من كتابه « *Arabian Journey* » مايلي : « استقبل نائب مارشال الجو في الحبانية الطائرة ، واصطحبنا مباشرة إلى منزله حيث التقينا بالميجر - جنرال كلارك ، قائد قوات الإنقاذ ، وهيئة ضباط ركنه . وبعد دقيقة من - تقديمهم لنوري باشا جثا معهم على الأرض محدقاً في الخرائط وأوامر العمليات . كان نوري مليئاً بالأفكار مرة ثانية ، وقدم للجنرال معلومات مفيدة عن البلاد . »

(٢) يقصد الجنود البدو من الأردن بقيادة الجنرال « جون باغوت كلوب » أو « أبو حنيك » وقد رفض كثير منهم دخول العراق وهددوا باستخدام السلاح ثم ارغموا على ذلك .

من استخدام الطريق المؤدي من بغداد شمالاً أثناء ائها .

## أرض تاريخية

كان الجنود الإنكليز ، الذين اجتازوا الفرات ، يسيرون في أعقاب جيوش الماضي الشهيرة ، فهنا زحف جنوباً ، على ضفة الفرات اليسرى نحو بابل ، كورش وجنوده ، والعشرة الاف إغريقي وقد يزيدونا . وعلى مقربة من هنا ، بين الفلوجه والمسيب ، على مسافة « ست مسيرات » من المضايق فوق الرمادي ، كان موقع معركة سوناسا ، التي استدار الأغريق منها نحو البحر الأسود ووطنهم . لقد كنا فوق أرض تاريخية . وسيكون استعادة النظام في العرق [1] حادثة مهمة وتاريخية كذلك في الحرب في الشرق.

قام الالمان ، فعلاً ، بنقل الطائرات إلى العراق عن طريق حلب — وارسلوا المستشارين العسكريين للثوار . وكان من المقرر أن يقف كبار الثوار في استقبال أحدهم ، وهو اكسل فون بلومبرغ الطيار البارز ونجل الفيلد مارشال [2] ، ببغداد يوم ١٢ مايس . وعندما أوشكت طائرته على الهبوط ، فان شخصاً ما غير معروف من جانب الطيار أو لجنة الإستقبال أطلق رصاصة نحوها بحيث أصاب الراكب في الحنجرة . ولما هرع العراقيون الى أمام للترحيب لم يجدوا غير الجثة المغطاة بالدماء

---

(١) الواقع ، لم يعرف العراق طوال تاريخه من النظام والأمن ما عرفه أيام الثورة . ويكفي القول أن تقارير الشرطة لم تسجل واقعة نشل أو سرقة واحدة في شهري نيسان ومايس .

(٢) مشير الميدان . احد اخلص أتباع هتار ، شغل منصب القائد العام للقوات الإلمانية المسلحة ثم صار وزيراً للحربية حتى استقالته في كانون الثاني ، ١٩٣٨ ، لأسباب شخصية .

كانت الروح المعنوية لقادة الثوار منخفضة فعلاً ، ويبدو أن هذا الحادث قد سجل نقطة التحول ، وبعد ذلك بأيام قليلة ، بينما أخذ الطابور البريطاني بالإقتراب من بغداد ، شرع قادة الثوار بالإنسحاب بعيداً ، إلى طهران ، وبالتالي ، مثل رشيد عالي نفسه ، إلى المانيا [1] .

## مهمة في الرياض

وفي الإيام الأولى للثورة ، دمرت القوة الجوية الملكية احتياطي بنزين الطائرات العائد للثوار ؛ ومنذ ذلك الحين لم تعرف التعب في رمي الرسائل لشيوخ العشائر . وفي احدى المناسبات ، أسقطت رسالة على القصر بأمل استلامها من جانب الملكة [2] . والواقع فان الملك وسيدات الأسرة المالكة كانوا قد نقلوا فعلاً إلى أربيل من جانب الثوار حيث أقاموا لدى أحد الوجهاء . وقامت القوة الجوية الملكية أيضاً برمي رسائل من الوصي إلى أمين العاصمة [3] ومدير الشرطة [4] وأهالي بغداد [5] .

---

(١) لم يتوجه إلى المانيا ، بعد رشيد ، غير الحاج « أمين » أما باقي قادة الثورة والمشاوكين فيها فقد وقعوا جميعاً في طهران وغيرها بأيدي الإنكليز ونكل بهم شر تنكيل .

(٢) عالية ، قرينة غازي ووالدة فيصل الثاني .

(٣) أرشد العمري .

(٤) حسام الدين جمعة .

(٥) وهذا نموذج من الوسائل : أيها الشعب العراقي النبيل تعلمون أن فئة من المتمردين العسكريين ، يرأسهم رشيد عالي ، ومن معه من المحرضين الذين باعوا ضمائرهم ومصلحة بلادهم بالمال الأجنبي ، قد أخرجوني بالقوة عن واجباتي المقدسة كوصي على ابن اخيّ ملككم الصغير المحبوب . لقد حاول أولئك الأشرار بخداعهم ودسائسهم أن يسمموا الأفكار بالعراق فيحولوه عن نعمة السلام إلى اهوال القتال الخاسر . ان واجبي واضح ، فأنا راجع كي استعيد شرف وطننا المثلوم ، وأقوده ثانية نحو الرفاه المأمون تحت ظل حكومة شرعية ، دستورية ، وها أنا أدعو كل أبناء=

لم يحصل الثوار على جميع المساعدات المسلحة التي توهموا أن تأتي اليهم من المانيا [1] ، لذا فان رشيد عالي بعث وزير خارجيته ناجي السويدي لمقابلة الملك ابن سعود بأمل أن يعينه . غير أن ابن سعود لم يخدع اذ قال لناجي : لو انني رأيت منفعة للعرب من تصرف رشيد عالي ، لكنت إلى جانبه ودون أن تأتي أنت طالباً مساعدتي » .

وتساءل « هل يريد مني رشيد عالي ، وأنا الذي تقدم في السن ، أن أكون خائناً لأولئك الذين مدوا لي يد العودة عندما كنت شاباً ؟ »

« عد وقل لسيدك : هل من الأفضل الإمساك بمخلب نسر جائع أو مرافقة أسد شبعان ؟ » ثم التفت إلى حاجبه وقال : أعطه واحدة من سيارات البيوك هذه هدية ثم اشرف على إنصرافه عنا بسرعة . » [2]

## اشارة لاسلكية

ومع اقتراب نهاية مايس ، كان الشك ما زال يساور الجنرال البريطا بشأن تحقيق نجاح مبكر . كان يقول بأن العدو « متحصن » وتسانده المدفعية

---

— العراق المخلصين أن ينبذوا تلك العصابة ، حقناً للدماء الزكية ويعملوا معي على اعادة الحرية والإستقلال لبلادنا المحبوبة .

أيها العراقيون ! امنعوا أبناءكم واخوانكم عن خوض هذه الحرب التي جرها على رؤوسكم مال الأجانب ودسائسهم فهم يفكرون فقط بمطامعهم ومصالحهم الأنانية .

أيها الضباط والجند ! ارجعوا إلى أماكنكم بسلام وانتظام ، وانتظروا اعادتي للعراق استقلاله وحكمه الدستوري ، وليعش جلالة الملك فيصل الثاني .

الوصي على عرش العراق — عبد الاله »

(١) الواقع ، شغل الإلمان عن مساعدة العراق بسبب غزوهم جزيرة «كريت»

(٢) لا بد وان يكون الكاتب قد استقى هذه الأقوال من مصدر سعودي مطلع .

في الكاظمين ، وكان الطابور البريطاني على بعد ثمانية أميال غربي بغداد منهمكاً في اصلاح الجسور على القنوات والمجاري ، وان البلاد أعدت نفسها « لدفاع بالأسلحة الرشاشة ، التي يمتلك العدو الكثير منها . »

وعلى أية حال ، فان اذاعات الثوار أظهرت انخفاضاً سريعاً في الروح المعنوية . ووسط الحماس المتدفق ، انهمك نوري وداود الحيدري في اعداد نص منشور رمته القوة الجوية الملكية وهو يدعو الناس إلى الإنتفاض على الثوار ودعم الوصي (١) . وفي ٣٠ مايس أخبرتنا برقية من إيران أن رشيد عالي قد إجتاز الحدود . وبعد وقت قصير استلمت اشارة لاسلكيـة من السفارة البريطانية ، هي الأولى بعد صمت طويل ، تعلن انه في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، فان مبعوثين عراقيين سوف يأتون إلى الجسر الحديد على قناة الحر ، على بعد ميل واحد غربي بغداد . . .

---

(١) وهذا هو المنشور :

« إلى الشعب العراقي النبيل :

كنت وعدتكم في بيان سابق بأنني عازم على العودة إلى العراق وتخليص البلاد وانقاذها من ويلات الحرب التي أودت بكثير من أرواح شباب العراق البريئة ويتمت اطفالهم ، ناهيك عن الخسائر الفادحة في أموالهم وها أنا أعود للعراق للتعاون مع الرجال المخلصين، وممثلي الأمة الحقيقيين ، لإعادة الحياة الهادئة، التي كان يتمتع بها، والتي كان يحسد عليها ولتضميد الجروح العميقة الداميةالتي سببتها تلك الفئه الطاغية، تنفيذاً لرغبات دول المحور مقابل الأمر التي قبضوها ولطرد أولئك الذين حاكوا الدسائس عن عمد وتصميم لجعل بلادنا مسرحاً للحرب . فآمل أن يساعدني كل فرد من العراقيين. على تحقيق هذه المهمة الشاقة في سبيل حكومة جديدة أصلح ، لا للموظفين ، وضباط الجيش ، والشرطة فقط، بل السادة الأشراف والعلماء، وشيوخ العشائر أيضاً . هذه والله ولي التوفيق . « مطبعة المستقبل — القدس » ٢٤ أيار ١٩٤١ الوصي على عرش العراق — عبد الاله » .

وعند مقارنة هذا المنشور مع زميله السابق ، يسودنا اعتقاد بأن الأول موضوع بالإنكليزية أصلا .

وهكذا ، وفي ساعة متأخرة من الليل ، توجه الميجر سبينسر ، وهو ضابط ، القاء معهم وجاء معنا على جودت وصباح السعيد [1] . في العراء ، وعلى مسافة من موقع متقدم للخيالة الملكية ، كانت أصوات المدافع الرشاشة ما زالت تسمع بكثرة ، بيد أننا شققنا طريقنا إلى أمام حتى وصلنا بعض كمائن الدبابات إلى الغرب قليلاً من الجسر الحديد [2] خفت صوت اطلاق النار المتقطع حالما وصلنا إلى هناك وساد الصمت ، باستثناء نقيق عدد لا يحصى من الضفادع وحفحفة راية السلام التي جلبناها معنا ، وهي شرشف سرير للنوم مشدود على صارية حملها سائقي .

انتظرنا وانتظرنا ، وفي بعض الأحيان كنت أهتف : « السلام عليكم » لإدخال الطمأنينية في نفس أي مبعوث ربما كان توارى هناك . لم نسمع أي رد من الظلام بينما ازداد صوت الضفادع شدة وقوة ، وفي النهاية ، جاء ضابط استخبارات من مقر اللواء [3] حاملاً رسالة تقول بأن المبعوثين سيصلون في الساعة الرابعة وليس الثانية . كان الوقت بالفعل الرابعة إلا خمس دقائق

## لقاء « الأصدقاء »

وبغتة . اشتعلت المصابيح الأمامية لسيارة وبدا كما لو أنها تبتعد

---

(١) من الغريب أن « ديغوري » يتجاهل كلية ، وجود « سومرسيت دي تشير » عضو مجلس العموم العامل مع القوات البريطانية في عضوية الوفد ربما لأسباب شخصية ، وسنروي حديث الأخير عما حصل .

(٢) جسر الخر .

(٣) من الواضح أنه يقصد اللواء العراقي الموجود في منطقة الحارثية وما يجاورها .

عنا ، ثم اتجهت نحوها و ى مسافة قريبة للغاية . كانت السيارة تتحرك بصعوبة بالغة عبر الحقول بين مصائد الدبابات . توقفت ، وحلت المصابيح اليدوية التي تعمل بالبطارية محل المصابيح الأمامية ، وهنا قلت لأيان سبينس : « ينبغي أن نتمسك بالدماثة ولكن علينا عدم إبداء دلائل ودية . إننا قد نكون ملزمين بالتفاوض حول بعض النقاط الصعبة معهم في وقت لاحق . » وما أن انتهيت من قولي حتى ظهر المبعوثون .

جاؤوا يتعثرون من قاع مصيدة الدبابات وفي مقدمتهم الرائد غازي الداغستاني . رحب بي غازي بحرارة فقابلته بنفس الشعور لأنني أعرفه جيداً اذ كثيراً ما خرجنا في رحلات للصيد باستخدام الصقور [١] ، لا بد أن سبينس قد اعترته الدهشة لما رآه بيننا ، غير أنني التقيت بواحد من أصدقائي بدلاً من ضابط غير معروف ؛ كما كنت أتصور .

إن غازي هو نجل محمد فاضل باشا الداغستاني ، وهو مشير ميدان عثماني كان في السابق قائداً للحرس الشركسي للسلطان عبد الحميد ، كما أصبح والياً وقائداً عاماً في الولايات العراقية [٢] ، واستقر هناك في نهاية خدمته حين تطوع في الحرب العالمية الأولى وقتل في المعركة أمام الكوت [٣] .

ومن بين أجداد غازي ، البعيدين نسبياً ، الشيخ شامل ، بطل وحامي شرقي القفقاس ضد الروس والذي قدمه تولستوي في أحد قصصه باسم

(١) كان « دي غوري » قد عمل في العراق من قبل .

(٢) يقصد ولايات « بغداد » و « البصرة » و « الموصل » .

(٣) تطوع في صفوف الجيش العثماني وقتل في « الصويرة » أثناء معركة مع الإنكليز عام ١٩١٥ قبل حصار « الكوت » من جانب الترك بأيام.

« حاجي مراد » . كانت العائلة تحكم داغستان وهي البلاد الواقعة إلى الشمال من شرقي القفقاس ، في الجبال المحاذية لبحر الخزر . ومثل جميع أفراد عائلته ، كان غازي فاتح البشرة طويل القامة ، وبرز أمامنا هيكلاً مؤثراً في النفس بينما كانت عيناه تومضان كالبرق على ضوء مشاعلنا . وبينما كنا نتبادل الحديث ، اطفئت الأضواء ، ذلك أن الفجر بدأ بالطلوع ،وفوق المنطقة الريفية المغمورة بالمياه ، كما أن العزف الخشن للضفادع ذوى وانتهى .

## أين الجيش ؟

طلبت ، أولاً ، الذهاب إلى السفارة لمقابلة السفير ، السير كينهان كورنواليس ، اذ اننا لا نستطيع وضع الشروط دونه ، وعندما جاء الجنرال كلارك ماشياً في هذه اللحظة على الطريق ، وحيداً ، وفي أعقابه نائب مارشال الجو ، وافق على ذلك . توجهنا بالسيارة الى السفارة عبر الأزقة والشوارع المهجورة فوجدنا البريطانيين في الداخل وهم ما زالوا يغطون في النوم ، فشققنا طريقنا إلى غرفة منام السفير . اجتزنا جسد حارسه وخادمه الذي كان ممدداً أمام الباب ، فقفز ليعرف جلية الأمر قبل أن يفتحه لنا . ومن ثم وبينما أخذ السفير بارتداء ملابسه ، نزلنا للتحدث إلى الرجال والنساء الذين نهضوا من فراشهم وهم الذين كانوا سجناء هذا الوقت الطويل . عرضوا علينا قدحاً بعد آخر من الشاي وترددت عبارة : « تناولوا قدحاً من الشاي » خمسين مرة في غضون عشرين دقيقة و « أين الجيش ؟ » بما لا يقل عن ذلك .

خرج السفير لملاقاة الجنرال كلارك . وهناك وعلى قارعة الطريق ، تم التوصل إلى الشروط بسهولة وسرعة ووقع عليها العميد ( الزعيم آنذاك ) اسماعيل نامق والعميد حميد نصرت ، ونور الدين محمود وهو مقدم ركن والجنرال جورج كلارك ونائب مارشال الجو جي . ا . ج . ـ دالبياك [١] . »

## بانتظار التعليمات

ننتقل إلى شاهد آخر :

« صاحب الفخامة ، السفير ، السفارة البريطانية ، بغداد .

يا صاحب الفخامة :

اجتمع قائد الطيران وأنا مع المبعوثين أصدرت أوامري إلى الطليعة بالتوقف عن الزحف اعتباراً من الساعة الرابعة صباحاً . انني أمتلك في حوزتي هنا تعليمات قائدي العام الجنرال ويفل فيما يتعلق بالشروط . سيكون قائد الطيران وأنا ممتنين لو استطعتم تدبير أمركم والقدوم إلى هنا للمناقشة . إننا سننتظر تعليماتكم . »

« جي . كلارك أم . جي . »

قادنا الداغستاني الى سيارته فدخلنا فيها نحن الثلاثة الذين امضينـا الليل كله ساهرين سوية . انطلقت السيارة بمحاذاة الحفرة المضادة للدبابات ،

---

(١) والواقع فان «نامق» كان بزتبة لواء و« نور الدين » عقيد ركن .

*De Caury; Gerald, Three Kings in Baghdad, Hutchinson of London,* 1961, *pp.* 118—127

في نفس الطريق الذي جاءت منه . وعلى أية حال ، فلم نقطع سوى ياردات قليلة عندما رأينا غلوب بكوفيته الصفراء يتمشى في الجانب البريطاني من الحفرة الكبيرة . أمر الداغستاني سائقه بايقاف السيارة وقفز منها وهو ينادي غلوب بصوت عالٍ طالباً منه التوجه إلى أي مكان آخر .

وعندما دخل السيارة ثانية ، أوضح الأمر بقوله : « إنه في مكان غير امن يتجوله على طرف الحفرة، فلو أن بعض جنودنا تعرفوا عليه لأردوه قتيلاً بالرصاص . »

من الصواب القول أن غلوب كان مكروهاً من جانب الجيش العراقي ، وبالنسبة لأفراده فانه اسم معروف ومألوف ، وقد تحدثوا عن الطابور الشمالي الذي يقوده اندرو[1] على انه « جيش غلوب » رغم أن ذلك الطابور لم يضم عدداً كبيراً جداً من رجاله . وكانت اذاعات المحور قد أعلنت ، قبل يومين فقط ، عن موت غلوب وذلك لأغراض دعائية . وبعد إبتعاده عن الحفرة إستأنفنا مسيرتنا .

وفي هذه اللحظات سبب لنا الداغستاني الذهول بقوله : « إننا سنجتاز خطوطنا الدفاعية بعد وقت قصير ، لذا أرى من واجبي أن أطلب منكم أن تعصبوا عيونكم . » وفي البداية ساورنا الإعتقاد بان قوله كان من قبيل المزاح ، بيد أنه كان جدياً للغاية . ولهذا أخرجنا مناديلنا فظل يراقبنا إلى أن عصبنا عيوننا بشكل محكم .

---

(١) هو نفس الطابور الذي دخل « بغداد » عن طريق «الكاظمية» قادماً من محطة «المشاهدة» للقطار. وكان « غلوب » قد قاتل مع جنوده من البدو ضمن هذا الطابور حتى المحطة المذكورة ثم عاد أدراجه إلى مقر قيادة الحملة حيث ساهم في مفاوضات الهدنة .

كان شعوراً غريباً ، أن نجلس هنا في سيارة غير قادرين على رؤية ما يجري، واشتد ذلك الشعور عندما تم إيقافنا من جانب الحرس عند نوع من الحواجز في منتصف أحد المنحنيات . تساءلت مع نفسي عما اذا كان على المرء ، في هذه الظروف ، أن يحاول رؤية ما يستطيع من المنشآت الدفاعية ، لمصلحة تقدمنا العسكري في حالة انهيار المفاوضات. غير أنني قررت أن أظل معصوب العينين بأمانة . كان الداغستاني يتحدث ، عند الحاجز ، من خلال النافذة بالعربية ، وبعد قدر من الشجار أزيل العائق ومضت السيارة في حال سبيلها . وما أن مرت عشر دقائق أو ما يقارب ذلك ، حتى قال الداغستاني ان بمقدورنا إزالة العصبات من فوق عيوننا . وعندما فعلنا وجدنا أنفسنا في ضواحي بغداد .

أسرعت السيارة خلال الشوارع التي تحف بها من الجوانب مباني بلون الخردل ذات سطوح منبسطة ونوافذ مزودة بمصاريع ، حيث وقعت أنظارنا على عدد قليل من الناس . بينما كان الجنود العراقيون، هنا وهناك ، بغطاء الرأس الخاكي الغامق السروال القصير والوجه والركبتين بلون الفستق والبندقية تتدلى من الكتف ، يحدّقون وقد غمرتهم الدهشة لمنظر ضابطين بريطانيين يمران أمامهم في سيارة !

وطوال شهر ، ظلت الجالية البريطانية معزولة خلف جدران السفارة أو في معسكر الإحتجاز [1] ، وكان بعض أفرادها قد لجأوا إلى القنصلية

(١) لم يكن هناك أي معسكر للإحتجاز وهذا محض افتراء .

الأمريكية [١] . وخلال كل هذه المدة ، أحاط طوق من الشرطة العراقية ؛ وبين وقت وآخر كان رشيد عالي يوجه التهديدات للسفير حول بتر حناجر الإنكليز اذا اسقطت أية قنابل على بغداد . كان موقفاً لا يحسد عليه ؛ أن تكون تحت رحمة العراقيين [٢] ، وعادت بي الذاكرة إلى ناتانيا [٣] عندما أطلعت على الأوامر الصادرة الينا والرامية إلى : « إنقاذ صاحب الفخامة السفير والجالية البريطانية المحاصرة في السفارة وتثبيت أنفسنا إلى الضفة الغربية لدجلة ، حتى تتمكن التعزيزات من الوصول » . لكم تجاوزنـــا تعليماتنا ! ان بغداد نفسها أصبحت الآن ضمن قبضتنا ، والجيش [٤] يطلب الهدنة ، وهنا أيان وأنا نسوق السيارة عند الفجر في مدينة الخلفاء !

## يأملون

توقفنا أمام بوابة خشبية في جدار ، وانتظرنا بعض الوقت قبل أن يتم فتحها من الداخل ، وبدت الدهشة واضحة على وجوه المحتجزين بينما ظهر فيفيان هولت ، المستشار الشرقي النحيل الجرم ، برداء النوم . كان دي غوري على اطلاع بخبايا الأمور فطلب مرافقتنا إلى غرفة السفير مباشرة .

---

(١) المفوضية .

(٢) لم يتعرض اي بريطاني إلى الأذى رغم أن بغداد ، والعديد من المدن العراقية ، قصفت من الجو حتى بعد ارسال السفير الإنكليزي الإشارة اللاسلكية إلى القوات الزاحفة عن الهدنة في ٣٠ مايس ، وقد بلغ من شدة الهجوم الجوي على بغداد ذلك اليوم وكثرة ضحاياه أن الوزير الأمريكي بعث برقية احتجاج إلى حكومته وصفه فيها بأنه : « عمل ارهابي لا يستند على أي حق انساني » .

(٣) مستعمرة يهودية في « فلسطين » انطلق منها الطابور الإنكليزي .

(٤) العراقي .

دخلنا البناية فوجدنا أنفسنا في قاعة دائرية تعمل فيها نافورة مزينة بالكاشي . غير اننا مضينا في طريقنا الى بعض السلالم الانكليزية المألوفة ثم الى ممر يمكن ان نشاهده في اي بيت ريفي في الوطن حتى وصلنا غرفة السفير .

كان السير كنهان كورنواليس متمدداً على السرير ، وما أن وقعت عيناه علينا حتى جلس وكأنه شخص إعتاد على تركيز تفكيره على شؤون مهمة وغير متوقعة طوال الليل . إتخذ أيان وضع الإستعداد ، وأدى التحية ، ثم سلمه الرسالة « مع تحيات الجنرال كلارك » .

قال السفير : « أرجو منحي نصف ساعة لأرتدي ثيابي ، فانني سأكون معكم ، وفي غضون ذلك اتوقع إنهم سيجدون لكم بعض الشاي في المطعم الموقت ، الذي نعدّه هنا للأشخاص الذين يقومون بالحراسة ليلاً . »

وهكذا غادرنا غرفة السفير ، ومضينا في طريق مختلف ، على السطوح المستوية للسفارة حيث كان الرجال والنساء نياماً في كل مكان . كانوا قد بدأوا بالإستيقاظ وعندما رأوا قبعتين من الجيش تمران من بينهم ، بدأ التصفيق من حولنا . جلست أمرأة في سرير وأخذت بالتلويح . نزلنا من بعض السلالم إلى الباحة ومن ثم إلى الحديقة . هنا كان المزيد من الناس النيام — على المروج الخضراء ، وتحت سقف المبنى — في كل مكان .

إنتقلنا خلف سياج من الشجيرات إلى مطعم موقت صغير ، فتحشد القوم بشوق من حولنا وهم لا يكادون أن يصدقوا أعينهم ، رغم أنهم كانوا يأملون مع أنفسهم كل يوم أن شيئاً من هذا النوع سيقع ؛ نظراً إلى أن أصوات إطلاق النار أخذت بالإقتراب من المدينة أكثر فأكثر .

## نفسس الحاجز

خرج السيد كينهان كورنواليس من الدار وقد اعتمر قبعة هندية من الفلين واتدى بدلة بيضاء من النسيج القطني ، فجاس في المقعد الأمامي للسيارة ، إلى جانب السائق ، وهو نفس المكان الذي شغلته في طريقنا إلى بغداد .

كان هناك المزيد من الناس في أماكن عدة هذه المرة وكل الألوان البهيجة الزاهية لمدينة شرقية ؛ طرابيش ، وكوفيات ، وعمائم ، واردية وسراويل من شتى الألوان ؛ حمير وبغال والعديد من المزيد من الجنود . كانوا ينظرون الينا بعيونهم الرمادية الغامقة ونحن نسير في طريقنا ويبصقون . ومرة أخرى عصبت عيوننا ، على الرغم من أن الحصانة الدبلوماسية استثنت السفير من هذه .

وفي نهاية الأمر ، وصلنا إلى نفس الحاجز الذي كان قد سد طريقنا ، وعند هذه النقطة حدث جدل عنيف بين الداغستاني وشخص ما في الخارج ، ومن الجلي أن فكرة الهدنة لم تكن مقبولة عند الحاجز ، فخرج الداغستاني من السيارة . لقد تركنا لوحدنا ، غير قادرين على الرؤية ، ولكن باستطاعتنا سماع الأصوات الصاخبة التي نفقه معناها وصلصلة أخامص البنادق .

بدأت بالتساؤل عما اذا كان الوقت قد حان لإعادة النظر في سياستي بالبقاء أعمى في وضع تتزايد خطورته باستمرار . لنفترض أن الداغستاني لم يملك سلطة حقيقية ، وأن مهمته مجرد محاولة من حزب القصر (١)

---

(١) يقصد انصار الوصي في « بغداد » .

للإسراع في عقد هدنة في الساعات الأولى وإنه ، مع تقدم النهار ، جاءت أوامر جديدة إلى الحرس ملغية السماح لنا بالمرور

لم تطل مخاوفي ، ذلك أن الداغستاني عاد ادراجه موضحاً أن الضابط لم يفهم الموقف غير ان كل شيء أصبح ، الآن ، على ما يرام . طرقت سمعنا صداء صرير الحاجز وهو يرفع ، فشعرنا ببعض الإرتياح ، وعندما أزلنا عصباتنا ، كانت السيارة تسير إلى جانب حفرة مقاومة الدبابات مرة أخرى .

غادرنا السيارة ، تاركين الداغستاني ومعه عقيد عراقي كان الجنرال كلارك قد أبقاه رهينة لضمان سلامتنا ، على الجانب العراقي من الحفرة . وأصطحبنا السفير البريطاني إلى حيث ينتظره الجنرال كلارك وقائد الطيران في سيارة مدنية زرقاء ، فقفز السيد كينهان وانضم اليهما .

## العمري المندفع

وبعد أن تدارس الثلاثة الموضوع ، أعطيت نسخة من الشروط إلى غلوب الذي أشار إلى إنها لا تنص على وقف العمليات العدائية . ولهذا سارع إلى سيارة الجنرال كلارك ، ومن ثم سلمت نسخة إلى السفير الذي أخبرنا أنه كان يشار اليه ، في غضون الثورة ، وباستمرار في إذاعات المحور الموجهه للعرب ، على أنه كورنواليس الماكر وكورنواليس الكلب وهي أفضل تزكية حصل عليها .

والآن ، فقد ارتؤي أن من الأسلم له أن يعود مع الداغستاني والعقيد

لوضع الشروط امام الحكومة الموقتة [١] وهكذا ، وبعد توديعنا جميعاً ، اجتاز الحفرة الى الجانب العراقي ، وفي تلك الليلة علمنا ان الشروط قالت موافقة الجانبين » [٢] .

نعود إلى دي غوري : « بعث أمير شرقي الأردن برقية تهنئه إلى الحكومة البريطانية يثني فيها على روح الصداقة القائمة بين العـــرب والبريطانيين والتعاون الذي استمر بين صاحب السمو الملكي الوصي وأتباعه ؛ شخصيات العراق الكبيرة ، والسلطات البريطانية المسؤولة التي كانت إلى جانبه ، والسياسة التي اتسمت بالروية من قبل القادة البريطانيين في البر والجو .

قوبل الوصي بترحيب حماسي من جانب وجهاء بغداد ، الذين خرجوا لملاقاته وفي طليعتهم رئيس مجلس الأعيان ، سيد محمد الصدر ، بعمامته السوداء الكبيرة وردائه الغامق ، وأمين العاصمة الصغير الجرم المندفع .

أصر الوصي على تجنب الإستقبال الإحتفالي الذي إقترحه أمين العاصمة ، وبعد عدة ساعات توجه إلى بغداد فالقصر مباشرة ؛ حيث كان اهتمامـه الأول منصباً على الإتصال بالملك هاتفياً . أمسك السماعة بحيث استطيع ، أنا أيضاً، ان أسمع صوت الصبي الذي كان يصرخ من الإنفعال لتحدثه مع خاله .

**إنعام و إنتقام**

وعلى أية حال ، فان الوصي أظهر امتنانه لأولئك الذين كانوا موالين

---

(١) في الحقيقة ، لم تكن هناك حكومة مؤقتة في « بغداد » بل أن « لجنة الأمن الداخلي » التي استلمت زمام المسؤولية برئاسة أمين العاصمة «أرشد العمري » هي التي اقرتها .

(٢) فرضت الشروط من الجانب البريطاني حتى أن السفير رفض النظر في أمر تعديل بعض بذريعة ضيق الوقت .

*Somerset de chair*, *The Golden Carpet*, *New York* 1945, *pp.* 108—116.

وساعدوه بشكل جلي عام ١٩٤١ . وعندما مات المستر نابنشو ، الوزير الأمريكي ، من تسمم الدم بعد احداث ١٩٤١ بوقت قصير ، أعطى الوصي لزوجته منزلاً ومساعدة للعيش في بغداد ، إلى ما بعد الحرب ، وبذلك لن تكون مضطرة إلى مجابهة رحلة طويلة خلال البحار الخطرة إلى وطنها .

وبالنسبة للآخرين ، فقد منحهم أوسمة عراقية أو مناصب في العراق . وفي تشرين الثاني ١٩٤٣ نشرت إحدى صحف لندن المسائية أن « حدثاً غير مألوف قد شهده فندق في الليلة الفائتة ؛ تقليد أوسمة . فقد أقيم احتفال لهذا الغرض في الجناح الذي يقيم فيه الوصي في كلارج[١] ، وكان ذلك تعبيراً عن امتنان الأمير الشاب لأولئك الأفراد من القوات البريطانية الذين ساعدوه ، في الإيام العاصفة عام ١٩٤١ ، على الفرار من البلاد ، ومن ثم العودة لتوجيهها إلى جانب الأمم المتحدة . »

وعلى الجانب الثاني للصورة ، فانه كان مصمماً على أن الرجال الذين قادوا الثورة يجب أن ينالوا العقاب الصارم . فاؤلئك الذين حكم عليهم بالموت شنقاً في حينه أو بعد وقت قصير من القاء القبض عليهم . »[٢]

---

(١) فندق كبير ومشهور في « لندن » .

(٢) *Three Kings in Baghdad, pp.* 128—9.

ويقول الكاتب في مكان آخر أنه رافق الوصي في رحلة العودة من « لندن» إلى « بغداد » بعد أن قام الأخير بزيارة الولايات المتحدة عام ١٩٤٥ ، وانهما ، مع نوري والحيدري ، عرجا على تركيا . وفي « أنقرة » باغته الوصي عندما أخبره انه سيطلب من الرئيس التركي «عصمت اينونو» تسليمه أحد الجنرالات الأربعة ، ويعني العقيد الصباغ ، الذي لعب دوراً بارزاً في ثورة ١٩٤١ .

ويضيف : « وتحدث الوصي بحقد وضغينة عن الثوار وكان مصمماً تماماً على الحصول على الرجل لإعدامه بعد أن جرت محاكمة ، بالفعل ، غيابياً . ولقد تنبأت بأن الرئيس سيرى أن من الشذوذ=

تسليم شخص كان يعيش في المنفى بتركيا ، كما لو كان خاضعاً لإتفاقية تبادل غير موجودة بين العراق وتركيا » .

ويعبر «دي غوري » عن دهشته «لحصول عبد الاله على ما اراد » . اذ تم تسليم الصباغ إلى الإنكليز في سوريا ونقل إلى العراق واعدم شنقاً ، رغم انه عسكري ، بباب وزارة الدفاع في ١٦-١٠-١٩٤٥ حيث ظل معلقاً إلى الساعة التاسعة صباحاً عندما مر الوصي في طريقه للدوام في البلاط ونظر اليه مرضياً بعض حقده ولؤمه .

ولقد دفع « عبد الاله » و « نوري » وغيرهما الثمن كاملا غير منقوص جزاء التنكيل بقادة ثورة مايس ، حيث تلاحمت قوى الشعب والجيش في ثورة ١٤ تموز ، ١٩٥٨ ، ودكت نظامهم من الأساس وبطشت بهم ومسحت الأرض باجسادهم .

# الفصل الخامس

## المفتي والدوتشي[1] والفوهرر[2]

في أعقاب فشل ثورة مايس ، ١٩٤١ ، توجه الحاج أمين الحسيني ، الذي كان مقيداً ببغداد منذ أواخر عام ١٩٣٩ إلى العاصمة الإيرانية «طهران» تخلصاً من الإنتقام المحتم على أيدي المحتلين الإنكليز وأعوانهم . وقد رافقه في رحلته ، التي استهدفت الحصول على حق اللجوء السياسي كل من « الكيلاني » وبعض وزرائه والفريق « أمين زكي » وكيل رئيس أركان الجيش والعقداء الأربعة وغيرهم من الضباط ذوي الرتب الصغيرة .

ولم تلبث الأمور أن تتابعت بشكل سريع ؛ فبعد هجوم المانيا على الإتحاد السوفيتي في ٢٢ حزيران ذلك العام ، استقر الرأي على قيام الإنكليز باقتحام ايران من الجنوب والغرب ، والسوفيت من الشمال وذلك للقضاء على ما قيل من وجود للمحور هناك ولإقامة إتصال مباشر بين الحلفاء الجدد ، وهذا ما تم فعلاً في أواخر آب . كان « الكيلاني » قد غادر « طهران » الى العاصمة التركية «انقرة» ومنها الى المانيا» «فيما بعد . اما المفتي فقد إضطر

---

(١) الزعيم « بالإيطالية وهو لقب « موسوليني » الرسمي والشعبي .

(٢) نفس المعنى بالإلمانية وقد أطلق على « هتلر» .

إلى المفوضية اليابانية ، ومنها تمكن من الانضمام إلى الرعايا الإيطاليين المسافرين إلى بلادهم بطريق الجو حيث وصل « روما » في ٢٧ تشرين الأول فاستقبله « موسوليني » وجرى الحديث بينهما على الشكل التالي :

من القائم في إيطاليا إلى وزارة الخارجية

برقية

سرّي روما ٢٨ تشرين الأول ١٩٤١ — ٤٠ : ٧ بعد الظهر

الرقم ٢٧٢٣

التاريخ ٢٨ تشرين الأول استلمت ٢٨ تشرين الثاني — ٣٠ — ٨ بعد الظهر

اشارة إلى برقيتي رقم ٢٦٩٥ بتاريخ ٢٥ تشرين الأول [1] .

ظهر التقرير الذي أعلن في أعقاب برقيتي أعلاه فيما يتعلق بوصول المفتي الأكبر إلى إيطاليا في صحف يوم أمس الصباحية . لقد نجم التأخير يوماً واحداً [2] من حقيقة أن الدوتشي ، الغائب عن روما ، لم يكن قادراً على استقبال المفتي يوم أمس الأول ، غير أنه استقبله صباح أمس بحضور أنفوسو [3] .

أخبرني أنفوسو أن شخصية المفتي قد تركت إنطباعاً مناسباً جداً لدى

(١) وهي التي ذكر فيها لوزارة الخارجية الإلمانية ان الإيطاليين أخبروه بوصول المفتي إلى روما .

(٢) عن النشر في الصحف .

(٣) فيليبو ، رئيس الديوان لدى وزير الخارجية « شيانو » .

الدوتشي . كان رجلاً في أواسط أربعينياته ، وبدأ انه ذكي ويعرف ما يريد بالضبط . دارت المناقشة التي استغرقت وقتاً وطويلاً وجرت بالفرنسية، حول المشكلة العربية بصورة خاصة . أخبر المفتي الأكبر الدو تشي بأن غايته السياسية استقلال فلسطين وسوريا والعراق . وزاد على ذلك بأن أشار إلى أنه سيطلب من الحكومتين الإيطالية والإلمانية ، في وقت مناسب ، اصدار بيان يربطان به نفسيهما مع جهوده السياسية ، الأمر الذي نال اقرار الدوتشي .

اضاف أنفوسو أن المفتي الأكبر يود ، أولاً ، الإنتظار ، إلى حين قدوم الكيلاني ،[1] ومن ثم قد يقوم بزيارة برلين [2] .

بسمارك . [3]

ويبدو أن « المفتي » لم يتوقف عن التحرك كما يتضح من الوثيقة التالية :

٧١ — ٥٠٩٠٠ — ١

من السفير في ايطاليا إلى وزارة الخارجية

برقية

في منتهى الإستعجال روما ، ٥ تشرين الثاني ، ١٩٤١ — ٣٠ : ١٠ بعد الظهر

سرّي للغاية استلمت ٥ تشرين الثاني — ٠٠ : ١١ بعد الظهر

---

(١) كان ما يزال في تركيا

(٢) *Documents on German Foreign Policy, Series D. Vol. XIII pp.* 704—5.

(٣) الامير فون اوتوكريستان ، الوزير في الالمانية بايطاليا وحفيد المستشار الحديدي بسماك، موحد المانيا .

رقم ٢٨٠٢ بتاريخ ٥ تشرين الثاني

اشارة إلى برقيتي رقم ٢٧٧٩ بتاريخ ٤ تشرين الثاني [١] .

قام انفوسو بتسليم بسمارك النص الذي تم الإتفاق عليه موقتاً هنا ، بين الدوتشي والكونت شيانو ، من جهة ، والمفتي الأكبر ، من الجهة الأخرى ، لبيان يود المفتي الأكبر نشره بعد الحصول على موافقة المانيا .

وفي الترجمة الإلمانية فان البيان يقول ما يلي :

« أجرى أمين الحسيني ، المفتي الأكبر لفلسطين وأحد الممثلين البارزين لحركة الإستقلال للشعب العربي ، تبادلاً صريحاً وودياً لوجهات النظر مع الدوتشي والفوهرر [٢] .

وفي هذه المحادثة ، جرى أخباره بما يأتي :

١ — إن دولتي المحور ستقدمان كل مساندة ممكنة للأقطار العربية التي تعاني حالياً من السيطرة والإضطهاد البريطاني ، في كفاحها من أجل حريتها .

٢ — إن دول المحور ، بدعمها لمطامح العرب ، مستعدة للإعتراف بالسيادة المطلقة والإستقلال التام للأقطار العربية في الشرق الادنى التي هي الآن تحت احتلال الإنكليز أو سيطرتهم . [٣] وبناء على ذلك فان دول

(١) ذكرت هذه البرقية ان بسمارك زار المفتي الذي اشار ، بعد ان عبر عن الرغبة في ان يستقبله وزير خارجية الرايخ « والفوهور اذا كان ذلك ممكناً » انه بحث مع موسوليني وشيانو بيانا يود نشره « ولكن بعد محادثات برلين فقط » .

(٢) لم تكن المقابلة مع هتلر قد جرت بعد .

(٣) بادرت بريطانيا إلى احتلال سوريا ولبنان صيف ١٩٤١ .

المحور مستعدة لإعطاء موافقتها على استئصال الوطن القومي اليهودي من فلسطين.

إن الإستعداد لعمل مثل هذا سوف يصاغ ، في المستقبل القريب في إتفاقية رسمية توطد بصورة نهائية الصداقة المخلصة والتعاون الوثيق بين دول المحور والعرب ، وان المفاوضات لعقد هذه الإتفاقية ستبدأ بأسرع وقت ممكن .

وفي غضون المحادثات ، فان نية ايطاليا والمانيا أن تحترما ، فيما يتعلق بما ورد أعلاه وإلى أقصى حد ، سيادة واستقلال جميع الأقطار العربية التي هي الآن ذات سيادة ومستقلة .

نهاية البيان . (١)

ماكينزين

في ٦ تشرين الثاني ، ١٩٤١ ، وصل المفتي إلى برلين حيث استقبل من قبل عدد من مسؤولي وزارة الخارجية الإلمانية بينهم « غروبا » الذي أشعره بأ وزير الخارجية « ريبنتروب » سيكون سعيداً لإستقباله . وبالفعل تم ذلك حيث وعد الوزير الإلماني بدعم القضية وعبّر عن الشك ، رغم الحاج المفتي ، في أن بيان المحور بالإعتراف باستقلال العرب سيصدر فوراً . ثم أوصاه ببحث جميع الأمور التي تثير اهتمامه مع هتلر الذي سيستقبله بعد قليل . وفيما يلي مقتطفات من الحديث بين المفتي ووزير الخارجية :

« وعلى وجه الإجمال ، أشار المفتي مرة أخرى إلى أهمية البيان (٢)

---

(١) *Documents on German Foreign Policy, Series D, Vol. XIII. pp. 742—3.*

(٢) الإلماني – الإيطالي المقترح .

وضرورة نشره دون تأخير . ومن ثم عبر عن شكره للدعم الذي قدم من جانب دول المحور لمغامرة رشيد عالي [١] .

لاحظ وزير الخارجية أن هذه المغامرة جاءت مبتسرة قبل الأوان وان الدوائر السياسية الإلمانية تعلمت شيئاً مهماً من الإنكليز هو « التوقيت. » [٢]

أراد أن يؤكد ما كان المفتي قد ذكره بشأن الأعداء الثلاثة، المشتركين للعرب والشعب الإلماني . أن روسيا تعتبر الآن في حكم المقهورة ، كما أن القوة السياسية للباشفية على وشك التحطم ، والفوهرر مصمم على عدم السماح مطلقاً لبقعة الخطر هذه أن تكون فعالة مرة أخرى . وباعتبار المانيا العدو اللدود لليهودية، فانها تدرك متاعب العرب في هذا المضمار.وأخيراً ، فان الحرب ضد إنكلترا هي رابطة أخرى توحد المحور والعرب .

وبقدر تعلق الأمر بالعراق ، فان وزير الخارجية أبدى خشيته من أنهم بدأوا هناك في وقت مبكر [٣] ، كما لم تكن المانيا في وضع يساعدها على المساهمة بأي شيء؛ فالبحرتحت سيطرة الأسطول الإنكليزي، والعمليات الجوية مستحيلة لأنها كانت خارج مدى الطائرات المقاتلة . أما فيما يتعلق بالبر ، فينبغي التأكيد على أن كل شيء قد بذل مع تركيا لكن هذه المحاولات أخفقت بسبب الرفض التركي . ومن غير ريب ، فان الهر فون بابن [٤] قد نال وعداً بأنه سيسمح بنقل المواد ، لكن تركيا ، في نهاية الأمر ،

---

(١) هكذا بالنص .

(٢) لعل « ريبنتروب » يعني اسراع الإنكليز إلى مهاجمة العواق في الوقت الذي حددوه هم .

(٣) ثورة مايس .

(٤) سفير المانيا لدى تركيا وكان حلقة الوصل بين القوميين العرب والمسؤولين الإلمان وعلى رأسهم هتلر . راجع كتابنا « أسرار العراق » .

رفضت الموافقة وذلك تحت الضغط الإنكليزي كما يبدو .

وعند هذه النقطة اكد المفتي حقيقة ان للانكليز معاهدة سرية مع الاتراك تشمل بصورة خاصة بعض الخطط لما بعد الحرب .

ومن ثم تساءل وزير الخارجية عما اذا كن البيان الموجه من دول المحور للعراق في مطلع الصيف [١] هو الذي دفع الكيلاني إلى أن يوجه ضربته . قوبل هذا السؤال بالإنكار من جانب المفتي الذي أضاف أن العراقيين لم يكن لديهم أي موقف سوى الدفاع . ان سؤال وزير الخارجية عما اذا كان الدفاع ( من جانب العراق ) قد وجه ضد عمليات الإنزال الكثيرة والخطرة للقوات الإنكليزية قد أجيب بالإيجاب من قبل المفتي الذي قال بأن الخطة لاستخدام العراق كقاعدة تعود إلى ويفل [٢] وإنها وضعت في عام ١٩٤٠ ، عندما كان ويغان [٣] قائداً لجيش الشرق . [٤]

ومن ثم صرح وزير الخارجية بأنه عندما إندلعت الحرب [٥] وأرسل الوزير غروبا إلى الشرق الأدنى ، فان الفوهرر أبدى إهتماماً بالغاً وعميقاً بهذه المشكلة ، ولكن كان من المستحيل بالنسبة له أن يفعل أي شيء . وقد سبق لوزير الخارجية نفسه أن سأل الفوهرر في بيرختسغادن [٦] بعد احتلال

---

(١) الرد من هتلر بتاريخ ٨ نيسان على رسالة المفتي له في ٢٠ كانون الثاني ذلك العام . يمكن العودة للموجع السابق .

(٢) السير أرشيبالد ويفل ، القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الإوسط ، شباط ١٩٤٠ – حزيران ١٩٤١ .

(٣) ضابط فرنسي كبير .

(٤) الإسم الذي أطلق على القوات الفرنسية في سوريا ولبنان .

(٥) العراقية – الإنكليزية

(٦) المقر الجبلي لهتلر في ولاية « بافاريا » .

كريت عما اذا كان بالمستطاع بذل جهد أكبر هناك [١] وان الفوهرر استشار ، في نفس ذلك اليوم ، مارشال الرايخ [٢] باعتباره قائدعملية كريت عن الموضوع . جاء الرد سلبياً لان عملية سوريا كانت مستحيلة بسبب عدم كفاية مدى الطائرت المقاتلة لهذه المسافة الطويلة . ولو كان بالمقدور ، في حينه ، ارسال اثني عشر قطاراً خلال تركيا ، واذا كانت المواد الضرورية وكذلك كتيبة مختاطة من الدبابات اللازمة قد وضعا في حالة استعداد ، لكان من الممكن بالتأكيد طرد الإنكليز من العراق» . [٣]

## أصدقاء شجعان

أما الحاج «أمين» فانه يورد ما يلي في جزءمن روايته لما حصل في الإجتماع :

« ثم تناول الحديث حركة العراق ، فأبدى الوزير الإلماني إعجابه الكبير وتقديره العظيملهذه الحركة العربية الباسلة . ثم قال : « كنا نتمنى لو أن هذه الحركة تأخرت إلى ظرف أكثر ملاءمة ، اذن لامكننا أن نساعدها مساعدة عسكرية فعالة : لان بعد المسافة كان عائقاً كبيراً دون الامداد ، ورغم ذلك ورغم انشغالنا بتوطيد احتلالنا لجزيرة كريت ، وغيرها من بلاد شرق اوروبا ، فان الفوهرر امر بارسال اقصى ما يمكن من الطائرات الحربية والمساعدات العسكرية وقد كنا اعددنا كمية من ألأسلحة الفرنسية الخفيفة من رشاشات وبنادق وذخائر لإرسالها إلى العراق ،

---

(١) في العراق ، عن طريق سوريا .

(٢) هيرمان غورنغ ، وزير الطيران .

(٣) *Documents on Germln Foreign policy; Series D. Vol XIII, pp. 876—881.*

وكنا نعلم ان كل ذلك لايكفي بالنسبة لقوات الاعداء ومعداتهم في الشرق . وقد تألمنا كثيراً لما وقع لأولئك الأصدقاء الشجعان في العراق ، الذين كنا نود ادخار قواهم إلى أن يأزف الوقت الملائم .

وقد فهمت من حديثه ، ثم أيد لي ذلك بعدئذ أحد المطلعين ، انه كان حانقا على الدكتور غروبا وبعض مساعديه ، لما بلغه من انهم حرضوا القائمين بحركه العراق على الإستعجال بها . فأكدت للوزير أن الإستعجال بالحركه لم يكن من العراقيين ، وعلى العكس فان الوزارة العراقيه الكيلانيه وقادة الجيش كانوا راغبين في الإبتعاد عن كل احتكاك بالإنجليز إلى أن يأزف الوقت الملائم ، وبعد أن يتم مع دول المحور اعتراف باستقلال البلاد العربيه ، واتفاق كامل على الأسس السياسيه والعسكريه ، ولكن الإنجليز كانوا يرون في هذه الوزارة وفي قادة الجيش عقبات ، تحول دون تنفيذ رغباتهم في تسخير العراق وجيشه وكل ما فيه من ثروة ووسائل مواصلات ، لمصالحهم الإستعماريه ، واتخاذ البلاد العراقيه قواعد لحشد الجيوش البريطانيه ، خلافا لنصوص المعاهدة العراقيه — البريطانية وهم الذين دبروا هذه الفتنه وقاموا بالعدوان الغادر على العراق . وقد استرعيت نظره إلى التصريح الذي أدلى به مستر تشرشل عقب العدوان على العراق (١) وقوله : « ان بريطانيا كانت عازمه على إرسال قوات بريطانيه إلى العراق في يونيو ١٩٤٠ م ، ولكن حاجتها إلى تلك القوات ، لنجدة جيوشها في الصحراء الغربية هي التي حالت دون تحقيق تلك الرغبه حينئذ (٢) . »

---

(١) في الفصل السابق .

(٢) مجلة فلسطين الصادرة عن الهيئة العربية العليا، بيروت ، العدد ٨٤ ، آذار ١٩٦٨ ص ٣١ .

وفي نفس اليوم، وجد الحاج «أمين» نفسه وجهاً لوجه مع «أدولف هتلر» حيث جرى له، عند قصر المستشاريه، استقبال رسمي كامل. وفيما يلي نورد النص الإلماني الرسمي الكامل للحديث الذي دار بينهما، على أن يعقبه تقرير الحاج «أمين» الشخصي، والكامل أيضاً، عن الموضوع [1] :

أف . أي — ١٨.. — ٢٤

مذكرة من أحد موظفي سكرتاريه وزير الخارجية

برلين ، ٣٠ تشرين الثاني ، ١٩٤١

تسجيل محادثة بين الفوهرر ومفتي القدس الأكبر في ٢٨ تشرين الثاني ، ١٩٤١ ، بحضور وزير خارجية الرايخ — والوزير غروبا في برلين .

بدأ المفتي الأكبر بالتعبير عن شكره للفوهرر جراء الشرف العظيم الذي منحه إياه باستقباله له . تمنى أن ينتهز الفرصة لينقل إلى فوهرر الرايخ الثالث الأعظم ، الذي ينال اعجاب العالم العربي بأسره ، تشكراته للعطف الذي أظهره دوماً تجاه العرب وخاصة القضية الفلسطينية والذي عبّر عنه بجلاء في خطبه العامة . أن العرب أصدقاء المانيا الطبيعيون لأن لديهم نفس الأعداء الذين لإلمانيا أي الإنكليز واليهود والشيوعيين ، لذلك

(١) وهذه هي المرة الإولى التي ينشر فيها النص الإلماني بالعربية .

فهم على استعداد للتعاون مع المانيا من كل قلوبهم ويقفون على استعداد للمساهمة في الحرب ، ليس سلبياً فقط عن طريق اجراء عمليات تخريب واشعال نار الثورات ، بل وايجابياً بتشكيل فيلق عربي . وبمقدور العرب أن يكونوا أكثر فائدة لألمانيا كحلفاء مما قد يبدو للوهلة الأولى ، سواء لأسباب جغرافية أو للمعاناة التي اقترفها بحقهم الإنكليز واليهود . واضافة لذلك ، فان لديهم روابط وثيقة مع جميع الأمم الإسلامية التي يستطيعون الاستفادة منها نيابة عن القضية المشتركة ، ومن الأمور السهلة للغاية تشكيل الفيلق العربي ؛ فان نداء من المفتي إلى الأسرى من التبعية العربية ، والجزائرية ، والتونسية والمغربية في المانيا، سيتمخض عن عدد كبير من المتطوعين المتلهفين للقتال ، والشعب العربي مقتنع بثبات بانتصار المانيا ، ليس فقط لأن الرايخ يمتلك جيشاً كبيراً ، وجنوداً شجعاناً ، وقادة عسكريين ذوي عبقرية ، بل لأن الله لا يمكن أن يهب النصر لقضية غير عادلة .

وفي هذا الكفاح ، فان العرب يجاهدون من أجل استقلال ووحدة فلسطين وسوريا والعراق . ولديهم أقصى الثقة في الفوهرر ويتطلعون إلى يده من أجل البلسم لجراحهم التي أثخنهم بها اعداء المانيا .

ومن ثم أشار المفتي إلى الرسالة التي كان قد استلمها من المانيا [1] والتي ذكرت بان المانيا لا تسيطر على أراض عربية وتتفهم وتعترف بمطامح

---

(١) يقصد رد هتلر بتاريخ ٨ نيسان١٩٤١ على رسالة المفتي في ٢٠ كانون الثاني ذلك العام . راجع « أسرار عراقية » .

العرب في الاستقلال والحرية ، تماماً مثل تأييدها استئصال الوطن القومي اليهودي .

ان بياناً علنيا بهذا المفهوم سيكون نافعاً للغاية لتأثيره الدعائي على الشعب العربي في هذه اللحظة ، وسيوقظ العرب من سباتهم الموقت ويلهمهم شجاعة جديدة . وسوف يؤدي أيضاً إلى تسهيل مهمة المفتي في تنظيم العرب سراً، بانتظار اللحظة التي يستطيعون فيها توجيه ضربتهم . وفي ذات الوقت، فانه (المفتي) قادر على أعطاء التأكيد بأن العرب سينتظرون بصبر وبنظام دقيق إلى أن تحل الفرصة المناسبة ولا يوجهون ضربتهم الا بأمر من برلين .

وفيما يتعلق بالحوادث في العراق ، فقد لاحظ المفتي أن العرب في ذلك البلد لم يكونوا بالتأكيد وبأي شكل كان قد حرضوا من جانب المانيا لمهاجمة انكلترا ، بل تصرفوا ، فقط ، كرد فعل للهجوم الإنكليزي المباشر على شرفهم .

عبر عن اعتقاده بأن الأتراك سيرحبون باقامة حكومة عربية في الأراضي المجاورة، لأنهم يفضلون حكومات عربية أضعف على أوربية أقوى في الأقطار المجاورة ، ولما كانوا هم أنفسهم أمة من ٧ ملايين [١] ، فلا يوجد لديهم ما يدعو للخوف من ١،٧٠٠،٠٠٠ [٢] عربي يقطنون سوريا وشرق الاردن وفلسطين .

وفوق ذلك ، لا توجد لدى فرنسا اعتراضات على خطة التوحيد

---

(١) الرقم خطأ ، ولا ندري من وقع فيه ، والصحيح ١٧ مليوناً .

(٢) كذلك ، اذ ان سكان الأقطار العربية الأربعة كانوا يزيدون على هذا الرقم كثيراً .

نظراً إلى أنها تنازلت عن الاستقلال لسوريا منذ ١٩٣٦ [١] وأعطت موافقتها على توحيد العراق وسوريا تحت حكم الملك فيصل منذ ١٩٣٣ .

وفي هذه الظروف ، فانه يجدد رجاءه بأن يصدر الفوهرر بياناً علنياً وبذلك فان العرب لن يفقدوا الأمل ، الذي هو قوة جبارة في حياة الأمم. وبمثل هذا الأمل في قلوبهم ، فان العرب ، كما قال من قبل ، راغبون في الانتظار . إنهم لا يضغطون من أجل التحقيق الفوري لمطامحهم ؛ فهم يستطيعون الانتظار بسهولة لمدة نصف عام أو عام بأسره . بيد أنهم اذا لم يحصلوا على مثل هذا الأمل بواسطة بيان من هذا النوع ، فمن الممكن توقع أن الإنكليز هم الذين سيكونون الرابحين من ذلك .

رد الفوهرر بأن موقف المانيا بشأن هذه المسائل ، كما ذكر المفتي بالفعل ، معروف . ان المانيا تقف إلى جانب حرب لا مساومة فيها ضد اليهود ، وهذا ، بالطبع ، يشمل معارضة فعالة للوطن القومي اليهودي في فلسطين ، الذي لا يعدو وأن يكون مركزا ، في شكل دولة ، لممارسة النفوذ المدمر من قبل المصالح اليهودية . والمانيا على ادراك أيضاً بأن الزعم أن اليهود يمارسون مهمه الطلائع الاقتصاديين في فلسطين إنما هو كذبة . ان العمل هناك قد جرى من قبل العرب وحدهم وليس من جانب اليهود . ان المانيا مصممة ، خطوة بعد خطوة ، على أن تطلب من أمة أوربية بعد أخرى أن تحل مشكلتها اليهودية ، وفي الوقت المناسب ، فانها توجه نداء مماثلاً إلى الدول غير الأوربية كذلك .

---

(١) اشارة إلى المعاهدة السورية - الفرنسية الموقع عليها في ٢٢ كانون الأول ذلك العام والتي لم تحصل مطلقاً على موافقة مجلس النواب الفرنسي فظلت دون إقرار .

ان المانيا منهمكة ، في الوقت الحاضر ، في صراع حياة أو موت مع قلعتين للقوة اليهودية ؛ بريطانيا العظمى وروسيا السوفيتية . ومن الناحية النظرية ، هناك اختلاف بين رأسمالية انكلترا وشيوعية روسيا السوفيتيـة ، والواقع على أية حال ، فان اليهود في البلدين يسعون من أجـل هـدف مشترك .. وهذا هو الصراع الحاسم : من الناحية السياسية يقدم نفسه ، بصورة عامة ، على انه صدام بين المانيا وانكلترا ، غير أنه من الناحيـة العقائدية معركة بين الاشتراكية الوطنية [1] واليهود . ومن البديهـي ان المانيا ستقدم مساعدة إيجابية وعملية للعرب المشتركين في نفس الصراع ؛ لأن الوعود الأفلاطونية [2] عديمة النفع في حرب البقاء أو الدمار هذه والتي تمكن اليهود فيها من تعبئة كل قوة انكلترا [3] من أجل أهدافهم .

ان مساعدة العرب يجب أن تكون مساعدة مادية . أما مدى قلة ما تفعله العواطف في مثل هذه المعركة فقد تجسد بجلاء في العملية في العراق [4] ؛ حيث لم تسمح الظروف بتقديم المساعدات الفعالة والعملية حقاً . وعلى الرغم من جميع العواطف ، فان مساعدة المانيا لم تكن كافية ، وقهر العراق بقوة بريطانيا ؛ حارسة اليهود .

وعلى أية حال ، فان المفتي لا بد وأن يكون على ادراك بأن حصيلة

---

(١) فلسفة الحزب النازي المعروف رسمياً باسم : حزب العمال الوطني الاشتراكي الالماني.

(٢) نسبة إلى الفيلسوف الإغريقي «أفلاطون» أي الخيالية أو المجردة .

(٣) لم تكن الولايات المتحدة قد دخلت الحرب بعد بصورة رسمية وان تم ذلك بسرعة في ٧ كانون الأول ١٩٤١ بعد أن هاجم اليابانيون قاعدة «بيرل هاربور» أو «ميناء اللؤلؤ» في جزيرة «هاواي» دون سابق انذار .

(٤) ثورة مايس .

الصراع القائم في الوقت الحاضر سوف تؤثر أيضاً على مصير العالم العربي . وعلى ذلك ، كان على الفوهرر أن يفكر ويتحدث ببرود وترو ، باعتباره رجلاً رصيناً ، وبالدرجة الأولى كجندي ، وقائد الجيوش الألمانية والحليفة . (١) ويجب عمل كل شيء من طبيعته أن يساعد في هذه المعركة الهائلة من أجل القضية المشتركة ، هكذا أيضاً للعرب . وعلى أية حال ، فان كل شيء قد يؤدي إلى اضعاف الموقف العسكري الذي يجب أن يترك جانباً ، بغض النظر عن مدى عدم الرغبة في هذه الخطوة .

ان المانيا مشتبكة الآن في معارك قاسية للغاية لاختراق البوابة إلى اقليم شمالي القفقاس . والمصاعب ، بالدرجة الأولى ، تتعلق بضمان التموين ، الذي هو في منتهى الصعوبة نتيجة لتدمير السكك الحديدية والطرق وكذلك الشتاء الوشيك . فاذا أثار الفوهرر ، في مثل هذه اللحظة ، مسألة سوريا في بيان ، فان تلك العناصر في فرنسا والتي هي تحت تأثير ديغول ستحصل على قوة جديدة . انها ستفسر بيان الفوهرر بأنه نية لتحطيم امبراطورية فرنسا الاستعمارية ، وستوجه نداء إلى مواطنيها ومن ثم يخلقون قضية مشتركة مع الإنكليز لمحاولة انقاذ ما يمكن إنقاذه . أن بياناً المانياً بشأن سوريا سوف يفهم في فرنسا بأنه اشارة إلى المستعمرات الفرنسية بصورة عامة ، وسيؤدي في الوقت الحاضر إلى خلق متاعب جديدة في أوربا

---

(١) جيوش الدول المتحالفة مع المانيا مثل ايطاليا وفنلندا ورومانيا وبلغاريا . ومن الغريب أن هتلر لم يتطرق ، طوال المقابلة ، إلى ايطاليا ولو بكلمة واحدة ، وتفسير ذلك يعود إلى التنافس بين الدولتين على الوطن العربي عموماً والعراق بصورة خاصة. وكذلك إلى شعور المانيا بقوتهابالنسبة إلى ايطاليا التي عانت من هزائم ماحقة في شمال افريقيا. مما أدى إلى انتقال زمام المبادرة إلى الألمان الذين سلموا القيادة إلى الجنرال « روميل » المعروف باسم « ثعلب الصحراء » .

الغربية ، وهذا يعني ان قسماً من القوات المسلحة الالمانية سوف يعبأ في الغرب ولن يكون متوفراً للحملة في الشرق .

ومن ثم أدلى الفوهرر بالتصريح التالي للمفتي ، موصياً إياه بأن يختم عليه في أعماق قلبه :

١ — إنه (الفوهرر) سيواصل المعركة حتى التدمير الشامل للامبراطورية اليهودية — الشيوعية في أوربا .

٢ — وفي نفس اللحظة التي يستحيل تحديدها بالضبط الآن وان كانت بأي حال من الأحوال غير بعيدة ، فان الجيوش الالمانية ستصل في مجرى صراعها إلى المخرج الجنوبي من القفقاس .

٣ — وما أن يحدث هذا ، فان الفوهرر من جانبه سيعطي العالم العربي التأكيد بأن ساعة التحرير قد حلت . وسيكون هدف المانيا الأوحد آنذاك تدمير العنصر اليهودي المقيم في المنطقة العربية تحت حماية القوة الإنكليزية . وفي تلك الساعة فان المفتي سيكون الناطق المخول كلية باسم العالم العربي ، وحينئذ ستكون مهمته تفجير العمليات الحربية التي أعدها سراً . وعندما يحل ذلك الوقت أيضاً ، فان المانيا ستكون غير مبالية برد الفعل الفرنسي تجاه هذا البيان .

وما أن تشق المانيا بالقوة الطريق إلى ايران والعراق خلال روستوف [1] ، فانها ستكون أيضاً بداية النهاية للأمبراطورية العالمية البريطانية . انه

---

(١) ميناء روسي كبير على نهر « الدون » في منطقة « القفقاس » على بعد ٤٠ كيلومتراً عن مصبه في البحر الأسود . استولى عليه الالمان بعد أيام من المقابلة ولم يلبث الروس أن استعادوه منهم في هجومهم الشتائي قبل نهاية ١٩٤١ .

(الفوهرر) يأمل في أن العام القادم سيجعل بإمكان المانيا أن تفتح بالقوة البوابة القفقاسية إلى الشرق الأوسط . ولمصلحة قضيتهم المشتركة ، فسيكون من الأفضل إذا تأجل الإعلان العربي بضعة شهور أخرى بدلاً من أن تخلق المانيا المتاعب لنفسها دون أن تكون قادرة ، بالتالي ، على مساعدة العرب .

إنه (الفوهرر) يدرك تماماً مدى تشوّق العرب إلى بيان علني من النوع الذي التمسه المفتي الأكبر ، ولكنه يرجوه أن يأخذ بنظر الاعتبار إنه (الفوهرر) ذاته ظل رئيساً لدولة الرايخ الالماني مدة ٥ سنوات طويلة لم يكن قادراً ، خلالها ، على أن يصدر لوطنه بالذات اعلاناً عن تحرره . ولذلك كان عليه أن ينتظر حتى يمكن اصدار البلاغ ؛ على أساس الوضع الذي تحقق بقوة السلاح ، بأنه قد جرى تنفيذ الأنشلوس[1] .

وفي اللحظة التي تحقق فيها فرق الدبابات وتشكيلات الجو الالمانية ظهورها جنوبي القفقاس ، فان النداء العلني الذي التمسه المفتي الاكبر يمكن أن يوجه إلى العالم العربي .

أجاب المفتي الأكبر بأن من رأيه أن كل شيء سيتحقق كما أشار الفوهرر ، وانه مطمئن وراضٍ كلية عن الكلمات التي سمعها من رئيس الدولة الالمانية . وعلى أية حال ، فانه تساءل عما اذا كان بالإمكان التوصل ، سراً على الأقل ، الى اتفاقية مع المانيا من النوع الذي لخصه الفوهرر تواً .

---

(١) تعبير الماني يعني توحيد المانيا والنمسا، الناطقتين بالالمانية . وهذا ما حققه هتلر في آذار ١٩٣٨ واضعاً العالم بأسره أمام الأمر الواقع .

رد الفوهرر بأنه قد قدم الآن ، وتواً ، إلى المفتي الأكبر ذلك البيان السرّي بالضبط :

توجـه المفتي الأكبر له بالشكر ، وذكر في الختام أنه يستأذن في الانصراف من حضرة الفوهرر في ثقة تامة مع التشكرات على الاهتمام الذي أبدي [١] بالقضية العربية [٢] . شمت [٣]

ننتقل الآن إلى « المفتي » الذي يقول :

« كانت مقابلتي لادولف هتلر ، فوهرر المانيا ، وزعيم الرايخ الثالث ، في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة ٢١ نوفمبر [٤] ١٩٤١ م ، ولم أتوقع أن يكون استقبالي في دار المستشارية الشهيرة ، استقبالاً رسمياً ، بل كنت أتوقع مقابلة خاصة مع الفوهرر . ولكنني لم أكد أصل الساحة الواسعة أمام دار المستشارية ، وانرجل من السيارة أمام مدخل الدار الفخم ، حتى فوجئت بعزف الموسيقى العسكرية ، وبحرس شرف مؤلف من نحو مائتي جندي الماني ، مصطفين في الساحة ، وطلب مرافقي من رجال وزارة الخارجية [٥] أن استعرض الحرس ، ففعلت ، ثم دخلنا دار المستشارية ، وسرنا في أروقتها الطويلة وابهائها

---

(١) هكذا بصيغة المجهول وان كان ذلك من جانب هتلر بالطبع .

(٢) *Documents on German Foreign policy, Vol XIII, pp. 881—888*

(٣) بول كارل ، مدير قسم الأنباء والصحافة ، وزارة الخارجية الالمانية .

(٤) يقول الالمان ، كما سبق أن ذكرنا ، أن المقابلة جرت في ٢٨ تشرين الثاني والذي يبدو لنا أن هذا هو التاريخ الصحيح .

(٥) قد يكون الدكتور « غروبا » على الأغلب .

الفخمـة ، إلى أن انتهينا إلى قاعة الاستقبال الكبرى . كان هناك رئيس تشريفات رئاسة الدولة ، فاستقبلني ، وبعد نحو دقيقة أدخلني الى غرفة الفوهرر الخاصة . استقبلني هتلر استقبالا حاراً ، بوجه طلق وعينـين معبرتين ، وبسرور ظاهـر ، ودعاني إلى الجلوس تجاهه . وكان يحيط به عدد من كبار رجال حاشيته ، وفي مقدمتهم ترجمانه الدكتور شميت . كان هتلر يتكلم بالالمانية ، وكان الدكتور شميت يترجم لي كلامه إلى اللغة الفرنسية .

## هتلر يقول : انني اقدر كفاحك وكفاح عرب فلسطين .

استهل هتلر حديثه مرحباً وقائلاً : إني سعيد لسلامتكم ولوجودكم في بلاد المحور ، ولقد تلقيت بسرور عظيم خبر نجاتك من أيدي عدونا المشترك ، بعد تلك الرحلة الطويلة الخطيرة من طهران إلى برلين ، ولقد كنت في قلق عليك ، واعتبرت نجاتك نصراً وبشرى ، وإني مطلع على تاريخ حياتك ، ومقدر لكفاحك في سبيل وطنك وأمتك ، ولقدومك لإبداء رغبة الأمة العربية ، في التعاون معنا ، في الكفاح ضد الأعداء المشتركين ، كما أنني مقدر كل التقدير ، لكفاح عرب فلسطين ، ذلك الكفاح الشعبي العظيم ، الذي قاموا به ضد الأمبراطورية البريطانية واليهودية العالمية ، دون نصير ، إلا إيمانهم بحقهم ودفاعاً عن وطنهم !

## العرب يطلبون الاستقلال والسيادة والحرية

ثم سكت هتلر ، ليفسح لي مجال الحديث ، فشكرته على ترحيبه

وشعوره الطيب وكلماته اللطيفة ، وعلى الحفاوة البالغة التي لقيتها منذ وصولي إلى برلين ، ثم تطرقت إلى ذكر أواصر الود القديمة بين المانيا والأقطار الإسلامية والعربية ، منذ عهد السلطان عبد الحميد ، وان المانيا في ماضي تاريخها ، لم يسبق لها أن اعتدت على أي قطر من الأقطار العربية أو الإسلامية ، كما أنها اليوم تكافح اعداءنا المشتركين : اليهودية العالمية . والدول الاستعمارية ، التي تضطهد العرب ، وهذه أوثق رابطة تربطنا بكم . وهنا ذكرت له الآمال التي تعلقها الأقطار العربية على المانيا ، وإنها تتمنى لها النصر لتحقيق تلك الآمال . وشرحت له جهود الأمة العربية للخلاص من الاستعمار والصهيونية ، وما تتطلبه وتسعى إليه من تحقيق مثلها العليا ، وما عاناه العرب من بغي الدول الاستعمارية ، وفي مقدمتها انكلترا التي خدعتهم في الحرب الماضية ، ونكثت عهودها لهم ، ثم احتلت بلادهم . ولم تكتف بذلك ، بل منحت اليهود وعداً بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ، ليجعلوا منها مركزاً لمطامعهم ، ورأس جسر لزحفهم وتوسعهم ، ومحطة وثوب لهم على الأقطار العربية المجاورة . ثم بسطت له قضية فلسطين ، وجهاد شعبها العربي ، وتصميمه على الغاء الوطن القومي اليهودي ومحو آثاره ، ثم تطرقت إلى الأمة العربية ، من استقلال وسيادة ووحدة ، وطلبت عقد معاهدة رسمية وصريحة ، بين العرب والمانيا ودول المحور ، تشتمل على هذه المطالب الأساسية ، واعلان تصريح رسمي بذلك في الإذاعة ، لتطمئن الأمة العربية إلى مستقبلها ، وتقبل بهذه الطمأنينة على التعاون معكم ، في مكافحة الأعداء المشتركين .

### هتلر والمشكلة اليهودية :

كان الفوهرر حسن الاستماع ، شديد الإنتباه لحديثي . فلما انتهيت منه ، أجاب عليه بهذه العبارات ، التي أوردها نقلاً عن مذكراتي التي سجلتها في ذلك الحين فور خروجي من المقابلة ، قال :

« ان خطط كفاحي واضحة ، وهي أولاً اني أكافح اليهود بدون هوادة ، ويدخل في هذا الكفاح ما يقال له «الوطن القومي اليهودي بفلسطين » لأن اليهود إنما يريدون أن يؤسسوا دولة مركزية ، لأجل مقاصدهم التدميرية ، ونشاطهم الهدام ازاء دول العالم وشعوبه .

« وإنه من الواضح أن اليهود لم يقوموا بعمل إنشائي في فلسطين ، فان ادعاءهم هذا كذب. ان كل الأعمال الإنشائية التي أقيمت في فلسطين ، يرجع فضلها إلى العرب لا إلى اليهود. إنني مصمم على أن أجد حلاً للمشكلة اليهودية ، خطوة فخطوة ، وبدون انقطاع. . وإنني سأوجه الدعوة اللازمة إلى جميع البلاد الأوروبية ، ثم الى البلاد التي هي خارج أوربا ، في هذا الشأن .

« ان مهمتي الأساسية ، ورسالتي الأولى في الحياة ، هي تصفية قضية اليهودية العالمية ، فان اليهودية العالمية، بمنظماتها الواسعة ، ونياتها السيئة نحو العالم تشكل خطراً هائلاً يهدد الإنسانية جمعاء » . وكانت الولايات المتحدة الأميركية قد دخلت الحرب حينئذٍ ضد المانيا (١)

---

(١) هذا غير صحيح ، فالولايات المتحدة ، كما ذكرنا، لم تدخل الحرب رسمياً الا في ٧ كانون الأول ، ١٩٤١ ، ولا ندري غاية المفتي من هذا القول . وكما رأينا من الوثيقة الالمانية السابقة فان حديث هتلر اقتصر على بريطانيا .

فقال : « أليس من الغريب أن يتعاون الخصمان المتناقضان في المبادىء والأهداف ، أقصى اليمين ( أميركا ) مع أقصى اليسار (روسيا) ! إنه تناقض مبين ، ولكن اليهودية العالمية استطاعت بوسائلها الشيطانية أن تجمع بين النقيضين ، الرأسمالية والاشتراكية المتطرفة ، وتقرنهما بحبل واحد وتسوقهما معاً لخدمة أهدافها ، وتحقيق أغراضها في مقاومتنا ، لكن هذا لا يمكن أن يستمر طويلاً ، لأنه غير طبيعي » .

## صراع الحياة او الموت :

واستطرد هتلر قائلاً : « إننا الآن في صراع الحياة أو الموت ، وان هذا الصراع سوف لا يفصل بين الوطنية الاشتراكية واليهودية فحسب ، بل ان قيادة هذا الكفاح الناجحة ، ستأتي بالمساعدة الإيجابية الصحيحة للعرب ، الذين هم واقفون فقط ، لأن التطمين العاطفي لا فائدة فيه مطلقاً ، ولكن الضمانات التي تدعمها قوة ظافرة ، فقط هي التي يكون لها قيمة حقيقية . ففي الحرب العراقية ، مثلاً ، كان عطف الشعب الألماني بأجمعه نحو العراق ، وكان من قصدنا أن نقدم المساعدة للعراق ، ولكن الظروف منعتنا من امداده بالمساعدة الحقيقية . ان الشعب الألماني رأى في القائمين بحركة العراق زملاء لآلامه لأن الشعب الألماني عانى كما عانوا . وان كل المساعدات التي قدمناها للعراق لم تكن كافية لمساعدتـه ضد القوة البريطانية . إنني في هذا الصراع ، الذي سيفصل في مصير العرب ، لا أستطيع الا أن أتكلم كرجل ذي عقيدة ، وكزعيم عسكري وكجندي ، وكل من وجد نفسه منسجماً في هذا الكفاح العظيم ، وساهم في مساعدته ونجاحه ، فانه يخدم القضية العربية ، وكل تأويل خلاف ذلك الآن ،

يعني إضعاف الوضعية العسكرية ، ولا يمكن أن يفيد القضية العربية . ولذلك يجب أن نحسن تمييز الخطوات التي تفيدنا ، إزاء اليهودية العالمية وانكلترا وسائر خصومنا ، من الخطوات التي تضرنا ، فاذا انتصرنا في هذه الحرب فان ساعة تحقيق أماني العرب تكون قد حانت أيضاً .

**الموقف العسكري ورد الفعل :**

« ان الموقف العسكري الآن هو كما يأتي : اننا نقوم بكفاح جبار في سبيل افتتاح الطرق إلى شمالي القوقاز ، والصعوبات في هذا ناشئة عن وسائل النقل ، بسبب الخطوط الحديدية المدمرة والطرق ، وكذلك بسبب الشتاء والثلوج ، فاذا استعجل في هذا الظرف باعطاء تصريح يتضمن سوريا ، فان العناصر الموالية لديغول في فرنسا ستقوى ، وهذا سيكون سبباً لانحلال فرنسا . وهؤلاء الناس ( أي الفرنسيون ) سيعتقدون أن موقفهم مع بريطانيا سيكون أكثر ملاءمة لهم ، والفصل في قضيه سوريا سيتخذونه مثلاً يطبق على الامبراطوريه الفرنسية ، وسيقوى موقف ديغول في المستعمرات ، فاذا اعطي تصريح الآن فستنشأ متاعب في غرب أوربا ، وستكون سبباً في مشاغلة بعض قوى الدفاع ، وسبباً لمنعنا من دفع جميع القوى إلى الشرق .

« سأقول لكم الآن شيئاً أرجو أن يبقى مكتوماً لديكم .

أولاً : سأستمر في كفاحي إلى ان تدمر اليهودية الدولية تماماً .

ثانياً : وفي أثناء هذا الكفاح ، وعندما تصبح فرق الدبابات الألمانيه ، وأسراب الجو ، واقفة في منحدرات جنوبي القوقاز ، يكون قد حان

الوقت الملائم لإذاعة التصريح الرسمي ، لأن ساعه تحرير العرب تكون قد دقت . ان المانيا ليس لها في البلاد العربيه أية مطامع ، إلا القضاء على القوى التي تحمي اليهودية العالمية .

ثالثاً : إنني سعيد لنجاتكم ، ولأنكم الآن عند دول المحور ، وستأتي الساعة الملائمة التي توجهون بها القوى العربية ، لتحرير العرب ، وحينئذ لا أبالي برد الفعل الذي يحدثه التصريح الرسمي في الشعوب الأخرى .
رابعاً : في رأيي أنه في تقدمنا هذا ، يكون قد بدأ انهيار عالم الدولة البريطانية . ان الطريق من « روستوف » إلى ايران فالعراق ، هو أقصر من الطريق من برلين إلى روستوف ، وانا نأمل ن نقتحم هذا الباب في السنة القادمة . إنني أقدر تشوق العرب إلى هذا التصريح ، ولكن أحب أن تحيطوا علماً ، بأني لم أعطِ قط أي تصريح رسمي ، منذ تسلمي مقاليد الحكم في المانيا ، إلى ما بعد خمس سنوات ، عندما اصبحنا من القوة بدرجة نستطيع معها أن ندعم تصريحاتنا بقوة السلاح » .

## معاهدة سريـة

فلما ادركت ان هتلر لا يرغب الآن في اعلان التصريح الرسمي الذي طلبته منه ، بالاعتراف باستقلال الأمة العربية وسيادتها ووحدتها ، وانه يرى أرجاء ذلك إلى ما بعد انتهائه من فتح القوفاز ، واطمئنانه إلى موقف المانيا العسكري ، اقترحت عليه عقد اتفاق أو معاهدة سرية بين المانيا والعرب ، بدلاً من التصريح العلني ، فقال : « ان اتفاقاً أو معاهدة سرية يعرف بها اشخاص عديدون ، لا تبقى سراً مكتوماً ، ولا تلبث أن تعرف . لقد أصدرت في حياتي قليلاً من التصريحات .. وعلى عكس

الإنجليز الذين أصدروا تصريحات وقطعوا عهوداً كثيرة ولم يفوا بها . ولكني اذا أصدرت تصريحاً أو عهداً ما ، فاني أفي به . لقد قلت مرة لمارشال فنلندا ، بأني سأساعد وطنه اذا هاجمه العدو ، وهذه الكلمة كانت أكثر تأثيراً من أي تصريح خطي » .

« والخلاصة ، انني أريد أن أصرح لكم بما يأتي : عندما نصبح في جنوبي القفقاس ، يكون قد حان وقت تحرير العرب ، وفي امكانكم أن تعتمدوا على كلمتي هذه »[١] .

* * *

ما الذي جرى بعد المقابلة ؟ يقول الالمان :

٥٦٩٧٩ / ٧١

مذكرة من مدير القسم السياسي

برلين ، ٢٨ تشرين الثاني ، ١٩٤١ .

أخبرني الوزير فون ريبنتروب هاتفياً انه بعد استقبال المفتي الأكبر من جانب الفوهرر ، تم التوصل إلى القرار التالي :

١ – تأجيل اصدار البيان بشأن حرية العرب .

٢ – يتحرى الوزير غروبا من المفتي الأكبر عما اذا كان يوافق على ان

(١) مجلة فلسطين ، بيروت ، العدد ٨٥ ، نيسان ١٩٦٨ ، ص ١٢ – ١٦ .

بياناً صحفياً يقول ما فحواه أن الفوهرر قد استقبل المفتي الأكبر وأجرى محادثة معه سيكون هاماً بالنسبة لمستقبل الشعب العربي .

٣ — وبعد أن يعطي المفتي الأكبر موافقته ، ينبغي قبل اصدار هذا البيان ، إجراء تحرٍ في روما أولاً . ونظراً إلى أنه ، بقدر ما نعرف لحد الآن هنا ، لم يصدر أي شيء فيما يتعلق باستقبال المفتي الأكبر من جانب الدوتشي ، فان الاقتراح الذي سيطرح على الإيطاليين هو أنه ينبغي ، أولاً وقبل كل شيء اصدار بيان يقول بأن الدوتشي قد أجرى قبل بعض الوقت محادثة معه ، على أن يصدر في وقت لاحق بيان مماثل يخص محادثة الفوهرر مع المفتي الأكبر (١) .

٤ — وبعد الاتصال بروما ، فان وزير الخارجية يرغب أولاً وقبل كل شيء، في رفع المسألة أمامه مرة أخرى » (٢) .

فورمان

وعلى أية حال ، فقد اتضح من تطور الأحداث فيما بعد ، ومن مذكرات الحاج « أمين » أنه لم يكتف بما حصل عليه :

---

(١) في البرقية رقم ٣٢٤٤ في ٢٩ تشرين الثاني أصدر فورمان التعليمات إلى السفارة في روما بموجب هذه الخطوط .

وفي البرقية رقم ٣٢٥٤ بتاريخ ٢ كانون الأول ذكر ماكينزين ان الحكومة الإيطالية وافقت على الاقتراح ، ثم نقل مسودة بيان ايطالي عن استقبال موسوليني للمفتي الأكبر .

وفي برقية فورمان رقم ٣٢٩٣ بتاريخ ٤ كانون الأول جرى أخبار ماكينزين عن موافقة المفتي الأكبر على البيانين الألماني والإيطالي المقترحين، فرد السفير في ٦ كانون الأول أن البيان الإيطالي سيصدر في اليوم التالي .

(٢) *Documents on German Foreign policy Vol. XIII p 885*

« ما كان اصرار هتلر على ارجائه اعطاء تصريح رسمي للأمة العربية ، أو عقد معاهدة ، ليثني عزمنا عن مواصلة السعي للحصول على ذلك ، والعمل على تذليل العقبات القائمة في هذا السبيل ، ولم نكتف بمراجعة الهر ايبتز ، مندوب المانيا السامي في فرنسا ،[1] والهر فون وايزيكر نائب وزير خارجية المانيا ، والهر فورمن مدير السياسة الخارجية ، وغيرهم من كبار رجال السياسة الخارجية في المانيا وايطاليا ، بل اضفنا اليهم سفير اليابان في المانيا الجنرال «أوشيما» الذي عرفناه ليلة احتفال المانيا في الرايخشتاغ (مجلس الأمة الآلماني) احتفالاً رائعاً بدخول اليابان الحرب إلى جانب دولتي المحور ، الذي استهلته بهجومها الخاطف على « بيرل هاربور » في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، وقضائها على هذه القاعدة العسكرية المهمة وما فيها من بوراج وسفن حربية وغيرها من قوات أميركية .

وقد شهد هذا الاحتفال هتلر وجميع وزرائه ، وكبار قادة المانيا العسكريين ، وجميع السفراء ، ورجال السلك الدبلوماسي ، وقد دعينا لشهود هذه الحفلة التي كان ضيف الشرف فيها ، سفير اليابان الجنرال أوشيما ، فتعارفنا تلك الليلة .

ثم تبادلت والجنرال أوشيما الزيارات ، وطلبت منه بذل جهوده في سبيل حصولنا على ما طلبناه من تصريح وعهد من دول المحور ، وكان الجنرال أوشيما من أعظم الذين يعنون بالشؤون الشرقية والعربية من رجال اليابان ، فلبي طلبنا في هذا الأمر كما ساعدنا في كثير من المواقف التي سيرد تفصيلها في هذه المذكرات .

---

(١) سقطت فرنسا تحت الاحتلال الألماني في حزيران ١٩٤٠ .

وفي تلك الفترة وصل برلين السيد رشيد عالي الكيلاني [١]، فتعاونا على العمل في هذا الشأن، وبذلنا قصارى جهودنا في سبيله، فقدمنا إلى حكومات المحور مشروعات عديدة للتصريح والمعاهدة بين دول المحور والعرب، منها مشروع مؤرخ في ٥ رمضان سنة ١٣٦٠ (٢٨ سبتمبر ١٩٤١) ثم شفعناه بمشروع آخر أدخلنا عليه بعض التعديلات، بعد بحث طويل مع المختصين من رجال وزارة الخارجية. وفيما يلي نص هذا المشروع المقترح:

المشروع المقترح على دول المحور

**لاصدار تصريح رسمي او معاهدة**

تعلن دولتا المانيا وايطاليا، بصفة رسمية، عن سياستهما تجاه الاقطار العربية على النحو التالي:

١ — تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الدول العربية التي ظفرت باستقلالها فعلاً، وهي: مصر، العراق، العربية السعودية، اليمن.

٢ — تعترف المانيا وايطاليا باستقلال الأقطار العربية الموضوعة في الوقت الحاضر تحت الانتداب البريطاني كفلسطين والأردن، أو هي رازحة تحت الحكم البريطاني كالسودان والكويت والبحرين وقطر ودبي

(١) اتجه المفتي إلى روما، أولا، ثم برلين، بينما فعل الكيلاني العكس، ويقول وزير الخارجية الإيطالية ما يلي بهذا الصدد: «١٠ شباط، ١٩٤٢. استقبلت الكيلاني، رئيس وزراء العراق، الذي أثار الحركة المناهضة للإنكليز والذي يعمل الآن، بكل جهده، في روما وبرلين من أجل خلق نية حسنة تجاه مستقبل العرب. ان الألمان متبصرون بعواقب الأمور ولا يريدون التوقيع على أي ميثاق معه في الوقت الحاضر.»

*Ciano's Diary*, 1939—1943 *p.* 432

والشارقة وأبو ظبي وغيرها من امارات الخليج ومسقط [1] وحضرموت والمحميات في جنوب اليمن .

٣ – تعلن المانيا وايطاليا بطلان جميع التحفظات البريطانية فيما يتعلق باستقلال مصر والسودان .

٤ – تعلن المانيا وايطاليا انهما لا تعارضان أي عمل تقوم به سوريا ولبنان في سبيل الحصول على استقلالهما الكامل .

٥ – لا تثير المانيا وايطاليا أية اعتراضات في سبيل استقلال الدول العربية استقلالاً تاماً ، كالإعتراضات التي يهيئها نظام الوصاية الذي ابتدعته عصبة الأمم والدول الاستعمارية لإخفاء مطامعها الاستعمارية .

٦ – تعترف المانيا وايطاليا بحق الدول العربية في تحقيق وحدتها القومية وفقاً لمصالحها ورغباتها . وتتعهد دول المحور الا تثير أية اعتراضات في سبيل الدول العربية في جهودها لتنفيذ أية خطة تستهدف تحقيق الوحدة العربية .

٧ – تعترف المانيا وإيطاليا بعدم شرعية الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وبأن لفلسطين وغيرها من الأقطار العربية الحق في حل المشكلة اليهودية في فلسطين وفي البلاد العربية الأخرى بما يتفق ومصلحة العرب .

٨ – ليس لألمانيا وايطاليا في الأقطار العربية أي مأرب أكثر من أن ترى الامة العربية جمعاء تتمتع بالحرية والأستقرار والرفاهية، وتؤدي دورها التاريخي في هذا العالم ، وأن يكون تعاونها الاقتصادي مع دولتي المحور

(١) المقصود سلطنة « عمان » حالياً .

على أساس مصالح الفريقين ، وعلى قدم المساواة ، وهما تطالبان الدول العربية باحترام الحالة الراهنة ( استاتوكو ) في فلسطين وغيرها، فيما يتعلق بالشؤون الروحية ، وضمان الحرية في ممارسة الشعائر الدينية .

## تعهد رسمي من المانيا

وكان يسبق هذه المشروعات محادثات ومناقشات طويلة ، وأخيراً استطعنا بعد نحو ستة أشهر ، وفي ٢٨ أبريل ١٩٤٢ أن نحصل ، بعد موافقة هتلر ، على تعهد رسمي من كل من المانيا وايطاليا موقعاً عليه من فون ريبنتروب وزير الخارجية الألمانية والكونت شيانو ، وزير الخارجية الإيطالية [١] .

وهذه هي الترجمة الحرفية لكتاب فون ريبنتروب من اللغة الألمانية إلى اللغة العربية :

التصريح الرسمي من وزير الخارجية الألمانية باستقلال البلاد العربية والغاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

برلين ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٢ :

وزارة الخارجية — إلى صاحب السماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر .

صاحب السماحة :

---

(١) لم يشر الأخير إلى الموضوع بحرف واحد في مذكراته .

جواباً على كتابكم الذي ارسلتموه اليّ هذا اليوم ، بالإشتراك مع سيادة رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني، وتأكيداً لمحادثاتكم معي ، فانني أتشرف بابلاغكم ما يأتي :

ان الحكومة الألمانية ، تقدر كل التقدير ، ثقة الأمة العربية في دول المحور واهدافها ، واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك ، حتى يتحقق النصر النهائي . كما أنها تدرك تماماً ما أوضحتموه من الأهداف القومية للأقطار العربية في الشرق الأدنى ، التي تقاسي الآلام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر .

ولذلك فاني أتشرف بأن أؤكد لكم ، باتفاق تام مع الحكومة الإيطالية ، أن استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني [1] ، هما هدف من أهداف الحكومة الالمانية .

وبناء على ذلك فان المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدة للأقطار العربية في الشرق الأدنى الرازحة الآن تحت نير الاضطهاد البريطاني. وأن تعترف بسيادتها واستقلالها ، وتوافق على وحدتها ، اذا كان مرغوباً فيها ممن يعنيهم الأمر ، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

وعلى أية حال ، فمن المتفق عليه أن يظل نص هذا الكتاب ومحتوياته سراً مكتوماً ، إلى أن يتقرر خلاف ذلك ، بتفاهم من الجانبين .

---

(١) من الواضح أن هذا الوعد قد أهمل ليبيا ارضاء للإيطاليين المسيطرين عليها ،وكذلك باقي أرجاء المغرب العربي خشية اثارة «ديغول» واعوانه اعضاء حركة « فرنسا الحرة» التي كانت تقاتل الالمان .

وتفضلوا سماحتكم بقبول ابلغ احترامي الاكيد [1]

« رينتروب »

(١) مجلة فلسطين ، بيروت ، العدد ٨٦، أيار ١٩٦٨، ص ١٠ و ١١ .

# الفصل السادس

## رحلة سياسية حافلة الى بغداد

في أحد أيام شهر أيلول ، ١٩٤٢ ، ظهر الخبر التالي في جميع صحف بغداد : « وصل العاصمة ظهر أمس على متن احدى القاصفات الأمريكية الضخمة من نوع «كونسوليديت» واسمها «كلفر» عبر الصحراء من فلسطين: ضيف العراق العظيم المستر ويندل ويلكي المندوب الخاص للرئيس روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية لزيارة العراق والشرق الأوسط .

### المستقبلون

وكان في استقباله بالميناء الجوي في جانب الكرخ [1] معالي السيد عباس مهدي رئيس الديوان الملكي موفداً من قبل حضرة صاحب السمو الملكي الوصي المعظم وفخامة السيد نوري السعيد ومعالي السيد أرشد العمري أمين العاصمة ومعالي السيد جعفر حمندي متصرف لواء بغداد وسعادة

---

(١) مطار « المثنى » الحالي .

السيد أحمد الرواي مدير الشرطة العام، ومن رجال السلك الدبلوماسي فخامة السفير البريطاني ورجال السفارة والقائم بأعمال المفوضية الأمريكية وموظفيها .

ثم فتش حضرته حرس الشرف الذي أدى له التحية العسكرية.

## في البلاط الملكي

ومر موكب الضيف العظيم من شارع الملك فيصل الأول [1] فشارع الرشيدفشارع الإمام الأعظم تتقدمه وتصاحبه الدراجات البخارية وقد جلس حضرته في سيارة السفارة الأمريكية [2] وقد جلس إلى يساره فخامة رئيس الوزراء، إلى البلاط الملكي العامر للتشرف بمقابلة حضرة صاحب السمو الملكي الوصي المعظم .

## عواطف الشعب

ووقفت الجماهير الغفيرة على جانبي الشوارع تترقب مرور الضيف العظيم ولما مر استقبلته بالتصفيق المتواصل فكان يرد على هذه العواطف الكريمة بالتحية. وقد لاحظنا ان المستر ويلكي كان يفيض حيوية ونشاطاً . وكان يرتدي بدلة شتائية ولم تبد عليه أثار التعب لهذه السفرات المتواصلة التي قام بها في الشرق الأوسط .

وقد خل المستر ويلكي ضيف شرف على الحكومة العراقية، ونحن نكرر

(١) شارع « جمال عبد الناصر » في الصالحية .

(٢) المفوضية الامريكية

ترحيبنا بمندوب الرئيس روزفلت ونرجو له طيب الإقامة بين ظهرانينا.» (١)

والآن ، من هو المستر ويلكي ، ولماذا قدم إلى العراق ؟

## يبيع الجرائد

ولد ويندل ويلكي في مدينة « ليلوود » في ولاية « أنديانا » عام ١٨٩٢ من سلالة ألمانية الجنس قدمت من ألمانيا في القرن الرابع عشر تحت اسم « ويلكي » . وفي العاشرة من عمره صار يبيع الجرائد ، ثم تخرج في كلية الحقوق في « أنديانا » وشرع بممارسة المحاماة وتدريس التاريخ في بعض المدارس العالية . ومنذ ذلك الحين تعلق بمطالعة كتب التاريخ .

ساهم ويلكي في الحرب العالمية الأولى برتبة ضابط مدفعي ، وقبل أن يغادر إلى ما وراء البحار تزوج من زميلته القديمة في الكلية وأنجبت له ولداً واحداً ، وبعد انتهاء الحرب المذكورة ، عاد ويلكي إلى أمريكا حيث زاول مهنة المحاماة ، وفي سنة ١٩٢٩ أصبح مساهماً أساسياً في شركة علم الحقوق في نيويورك ، وبعد أربع سنوات أصبح رئيساً للشركة المذكورة واكتسب سمعة في مجال السياسة .

وبعد أن اندمج ويلكي في الحياة العامة ازدادت شهرته وامتدت إلى الولايات الأخرى . ومن ثم انضم إلى الحزب الجمهوري الذي انتخبه رئيساً له في إجتماعه السنوي في « شيكاغو » في حزيران ١٩٤٠ ورشحه لرئاسة الجمهورية ، منافساً للرئيس « روزفلت » الديمقراطي والذي تقدم للانتخابات

---

(١) جريدة الزمان ، العدد ١٥٢٠ ، ١٣ أيلول ١٩٤٢ .

للمرة الثالثة ، وهي سابقة غير معهودة في تاريخ الولايات المتحدة اذ لا يجوز الترشيح لأكثر من مرتين .

والواقع ، فقد كانت لكل من « روزفلت » و « ويلكي » نفس الآراء حول الأمور الدولية ، خاصة فيما يتعلق بموقف الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية التي كانت قد اندلعت في العام السابق ، واقتصرت الخلافات على القضايا الداخلية. وعلى الرغم من أن الفوز كان حليف «روزفلت» فان ذلك لم يقلل من سمعة منافسه ولم يدفع به إلى الظل ، بل على العكس من ذلك اذ شارك بنشاط في وضع الخطوط العامة للسياسةالخارجية لأمريكا (١) .

## مهمة وراء البحار

وعندما دخلت امريكا الحرب بعد أن شنت «اليابان» هجوماً مباغتاً على قاعدة « بيرل هاربور » في جزيرة « هاواي » في ٧ كانون الأول، والحقت الدمار بالقاعدة ومعظم السفن والبوارج الحربية الراسية فيها وحطمت الكثير من المطارات العسكرية والطائرات التي كانت جاثمة فيها ، ازدادت أهمية الدور الذي يلعبه « ويلكي » في الحياة السياسية الأمريكية بحكم اختفاء الخلافات بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري طبقاً لمتطلبات الحرب .

وفي منتصف عام ١٩٤٢ ، قرر الرئيس « روزفلت » ايفاد خصمه الانتخابي السابق بطائرة عسكرية خاصة في رحلة حول الكرة الأرضية، لاستطلاع أوضاع حلفاء بلاده في تلك المرحلة من الحرب التي أصبحت

(١) هذه المعلومات مستقاة ، بايجاز ، عن الصحف العراقية الصادرة آنذاك .

حاسمة ، وحرجه في ذات الوقت ، بالنسبة إلى هؤلاء . وقد قدم « ويلكي » إلى مصر عن طريق السودان ووسط أفريقيا والسودان أثناء اندلاع معركة « العلمين » المعروفة في الصحراء الغربية بين مصر وليبيا والتي انتهت بانتصار الجيش الثامن البريطاني بقيادة الجنرال « مونتغمري » على الألمان والإيطاليين الذي قادهم الجنرال « روميل » المعروف باسم « ثعلب الصحراء » .

## ملايين النسخ

وبعد أن أجرى المبعوث الأمريكي مقابلة مع « مونتغمري » في عربته الحربية الخاصة على ساحل البحر الأبيض المتوسط قرب « مرسى مطروح » واتصل بالملك « فاروق » وغيره من كبار المسؤولين المصريين، توجه إلى فلسطين وسوريا التي كان الإنكليز قد احتلوها من حكومة « فيشي » وسلموها ، مع لبنان ، إلى قوات « الفرنسيين الأحرار » الذين يتزعمهم الجنرال « ديغول » ومن ثم طار إلى العراق وايران في طريقه إلى الاتحاد السوفييتي والصين في خضم معركة « ستالينغراد » المشهورة،حيث كان القتال يدور بين الروس والألمان من منزل إلى منزل .

وعلى أية حال ، فالذي يهمنا ما تركته زيارة « ويلكي » للعراق من انطباعات سياسية وشخصية لديه ذلك الحين ، اذ يقول في كتابه « عالـم واحد » (١) الذي طبعت منه ملايين النسخ واعيد طبعه عشرات المـرات مايلي :

---

(١) *One world*

« ان العراق هو أحد الأقطار القليلة جداً في العالم التي انتقلت من الوضع الاستعماري إلى الانتداب ثم الاستقلال ، من الناحية الفنية على الأقل . لقد سنحت لي الفرصة لأن أرى أن ذلك الاستقلال ما زال مطوقاً بالاحتياجات البريطانية و لكن هذه كانت ، على ما أظن ، احتياجات عسكرية مرتبطة بكسب الحرب [1] .

## اوراق لعب

لقد أحببت الرجال الذين التقيت بهم في العراق ؛ فالأمير عبد الاله ، الوصي ، أقام لي مأدبة عشاء رسمية تحت النجوم في بغداد وهي التي ستظل ذكراها في مخيلتي ما دمت باقياً على قيد الحياة [2] . وقف الأمير فوق زولية بديعة مبسوطة في ايوان شاسع لاستقبال ضيوفه . وعلى بسط أخرى قريبة منه اصطف رجال حكومته الذين تلفع بعضهم بالجلابيب وارتدوا العمائم والعقل [3] (بضم العين والقاف ) وبضمنهم وزير الاقتصاد [4] ، مما يثير الاستغراب ، ورئيس مجلس الأعيان [5] . كان الآخرون يرتدون الملابس الغربية ولقد علمت أن كل وزير تقريباً قد شغل يوماً ما كل منصب وزاري في الحكومة ؛ وعلى هذا برر لي صديق عراقي الأمر بقوله : « عندما يكون لديك عدد محدود من أوراق اللعب ، فانك ملزم بالتغيير

---

(١) العالمية الثانية .

(٢) توفي « ويلكي » عام ١٩٤٤ بالسرطان وذلك بعد أسابيع من فشله في الحصول على ترشيح الحزب الجمهوري له لدخول انتخابات رئاسة الجمهورية ضد «روزفلت» أيضاً ، الذي فاز بالمنصب للمرة الرابعة مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الولايات المتحدة .

(٣) جمع كلمة « عقال » الذي يرتديه بعض الناس عندنا على الرأس .

(٤) السيد « عبد المهدي » المعروف بلقب « المنتفكي » .

(٥) السيد « محمد الصدر » .

في كثير من الأحيان . »

وبعد يومين أقيمت مادبة أخرى ، هذه المرة من قبل « نوري باشا السعيد » رئيس وزراء العراق . انه رجل صغير الجرم يتصف بنظرات حادة تنم عن التساؤل وهو أحد أذكى الأدمغة التي التقيت بها في أي وقت من حياتي . ولم يعد « نوري » إلى السلطة الا عام ١٩٤١ بعد أن اضطر البريطانيون إلى أستخدام الجيش للإطاحة برشيد عالي الكيلاني ، سلفه . كان يدير أمور العراق باعتباره حليفاً غير محارب لبريطانيا العظمى مع رغبة شديدة في خوض غمار القتال وهذا ما فعله منذ ذلك الحين » [١] .

نترك « ويلكي » بعض الوقت ، لنقول أن « نوري » القى في مأدبة العشاء التي أقيمت في بهو « أمانة العاصمة » الخطاب التالي :

سيدي :

إنني لأشعر بالفخر والامتنان اذ أرحب بمقدمكم الميمون إلى بلاد العريقة في القدم نيابة عن الأمة العراقية .

لقد قطعتم مسافات شاسعة حاملين رسالة عظيمة . فمنذ اللحظة التي قرر فيها زعيمكم الهمام الرئيس روزفلت محيي الآمال في قلوب الناس بايفادكم انتم زعيم المعارضة لتمثيله في بعثة في آسيا وأوربا تحققنا نحن العراقيين — وتحقق معنا على ما أتوقع العالم بأسره — ان الأحزاب الأمريكية جميعاً قد تظافرت عاقدة صادق العزيمة ليس على خوض غمار

---

(٤) وقع « ويلكي » في لبس فان العراق لم يشترك في القتال ضد المانيا أو دول المحور بأي شكل كان ، وان أعلن الحرب على المانيا رسمياً عام ١٩٤٣ .

هذه الحرب حتى النهاية فحسب ، بل على الاشتراك بعد نيل الظفر في توطيد دعائم السلام الدائم ، تلك المهمة التي هي أصعب من مهمة الحرب . ان الوحدة الأميركية نفسها تجعل الأمم الصغرى كالأمة العراقية والأمم العربية الأخرى المشتت شملها، مطمئنة إلى انتصار الأمم المتحدة في هذه الحرب الضروس ، وواثقة بمراعاة مبادىء الحرية والعدالة في التسوية التي ستعقب ذلك النصر [١]

إن الرسالة التي جئتم بها يا مستر ويلكي على غاية الخطورة لأنها ستنشىء فينا ثقة جديدة وتبعث في نفوسنا عزيمة أكيدة لا تثنينا عن زج كل ما لدينا من الموارد في هذا الكفاح .

لقد أثبتم – ياسيدي – بالخطب التي القيتموها في خلال بعثتكم الحاضرة وبمحادثاتكم معنا أيضاً انكم مدركون حقيقة المصاعب والمعضلات التي نلقاها في الشرق الأوسط ادراكاً تاماً مقروناً بالعطف ولا شك في أن مصاعبنا ومعضلاتنا تختلف عما لديكم من المصاعب والمعضلات، واعتقد أنني لست شاطاً عن الصدد اذا هنأت رئيسكم بما أبداه من أصالة الرأي في اختياره اياكم مندوبه الخاص وذلك ليس لكونكم زعيم حزب عظيم فحسب ، بل لأنكم المستر ( ويلكي ) . فكل إنسان في العراق بل كل إنسان في العالم الحر على ما أعتقد قد أصغى إلى الخطب التي القاها رئيسكم من حين إلى آخر معجباً بأقواله السامية وكلماته الطيبة. تلك الخطب التي

---

(١) لقد رأينا كيف طبقت المبادىء المذكورة بعد الحرب ، ولعل اغتصاب فلسطين ، بمعونة الأمم المتحدة ، أبشع مثال على ذلك .

كانت مصدر الهام لنا جميعاً . وليس دونها شأناً ما صرح به المستر روزفلت وذلك الزعيم العظيم الآخر المستر تشرشل في ميثاق الأطلنطي اذ أعلنا على العالم المبادىء التي تسير عليها الأمم المتحدة في الحرب وفي السلم . وليست زيارتكم ايانا سوى تأييد للسياسة المبنية على تلك المبادىء التي نثق بأنها ستحل جميع قضايانا في الشرق الأوسط وتؤدي إلى اتحاد الأمة العربية بأجمعها مرة أخرى (١) .

أما نحن العراقيين فاننا مدينون لبريطانيا العظمى بانشاء دولة العراق وحراسة هذه الدولة وارشادها في السنين الأولى من حياتها وعدم ضياع أمل حليفتنا في مستقبلنا حتى في أظلم أوقات سوء التفاهم . وان ننسى لا ننسى أبداً ديننا للولايات المتحدة الأمريكية التي قد بذلت المساعي الكثيرة بواسطة معاهدها الثقافية في هذا القطر وفي الأقطار المجاورة، في ترويج النهضة الفكرية التي لولاها لما تسنى لنا الحصول على الاستقلال الذي نتمتع به الآن ، كما اني اؤمل وأنا — نحن أبناء الجيل الحاضر — لن ننسى جميع ما عمله المرحوم المستر نابنشو (٢) من أجل هذه البلاد .

لقد حللتم — سيدي — اهلاً في هذه البلاد في اليوم الأول من شهر رمضان وهو الشهر المخصص للصلاة والصوم والتفكير في الخالق . ومن البديهي ان زيارتكم في هذه الآونة، مدعاة للتفكير في السلام الدائم — في السلام الحقيقي الذي نحن عالمون بان أمتكم العظيمة ستبذل قصارها في الحصول عليه .

---

(١) فيما يتعلق بهذه النقطة فالذي حدث بعد ذلك كان العكس تماماً

(٢) سبقت الإشارة اليه وهو وزير امريكا المفوض في بغداد الذي توفي قبل وقت قصير .

أما الآن فلا سلام في العالم ولا يحل السلم مادام أولئك الأشرار الذين اتخذوا الكره والقسوة والظلم والحرب آلهة لهم في دست القوة، فلا بد من عقد عزيمة شديدة لا تنثني على مكافحة الطغيان بسلاحيه وهما القوة والتدمير لأن الطغاة لا يفهمون غير هذين السلاحين.

إننا نشعر بقوة نستمدها من وجودكم بيننا وهذه القوة تمكننا من الصبر على كل تضحية ومشقة يتطلبهما تدمير قوات المحور بعزم لا ينثني ومع أننا في العراق لسنا مثل غيرنا في العدد والثروة، الا اننا نستطيع أن نكرس قوانا ومواردنا لمساعدة تلك الأمم القوية التي قد انبرت للكفاح من أجل الحرية والحق [1] ».

رد المبعوث الأمريكي بالكلمة التالية :

« منذ وصولي إلى الشرق الأوسط أخذ كل إنسان يسألني عما تنوي الولايات المتحدة عمله الآن وبعد أن تضع الحرب أوزارها، فأجبت سائلي بحقائق ملموسة وأرقام ناطقة قائلاً ان الولايات المتحدة تبذل كل ما لديها من القوى البشرية والموارد المادية بلا قيد في سبيل نيل الظفر في هذه الحرب وقلت لهم أيضاً انها توزع على الأمم المتحدة والشعوب الأخرى التي تختار الانحياز إلى جانبنا في هذا الكفاح من أجل الحرية بمقتضى قانون الإعارة والتأجير تجهيزات يبلغ ثمنها الوف الملايين من الدولارات . وأكدت لهم أن الأمم المتحدة ستخرج منتصرة من هذه الحرب . وكان آخر قولي لهم ان الولايات المتحدة تنوي بعد الحرب بذل قصاراها لإنشاء عالم جديد

---

(١) جريدة الزمان ، العدد ١٥٢١ ، ١٤ أيلول ، ١٩٤٢ .

يعيش فيه جميع الناس بقطع النظر عن انتمائهم إلى أمم قوية أو صغيرة عيشاً حراً طيباً على النحو الذي يختاورنه هم أنفسهم .

وفضلاً عن هذا الذي قلته لشعوب الشرق الأوسط سألت زعماءهم وعامتهم عما ينوون القيام به في هذه الحرب . وسألتهم عن العالم الذي يرغبون العيش فيه وعن المستقبل الذي يتوقعونه لبلادهم فكان جوابهم واحداً أجمعوا الكلمة عليه وهو جواب الأمم المتحدة بما عرضته على العالم لا ما عرضه هتلر بنظامه الجديد . .

واني لشديد الامتنان من الأحاديث الخاصة التي جرت لي مع رئيس الوزراء العراقي . لقد أثلج صدري ما سمعته من فخامته وأرحب ترحيباً منطوياً على الإخلاص التام بالعهد الذي قطعه لي الليلة البارحة من ان موارد العراق وقواه ستكرس لعضد قضية الأمم المتحدة . وأرحب أيضاً بتأكيده لي ان الشعب العراقي يناضل الآن بأساليبه الخاصة وسيواصل هذا النضال في سبيل الوصول إلى العالم الذي نحارب من أجل خلقه بعد أن نربح الحرب » [1] .

## ليلة من ألف ليلة

نعود إلى « عالم واحد » حيث يستمر « ويلكي في الحديث » : « ومما لا شك فيه أن السير كينهان كورنواليس الوزير البريطاني [2] في بغداد ، احد بناة الامبراطورية الذين يتصفون بطول القامة ، والتمسك بتدخين الغليون ،

(١) جريدة الزمان ، العدد ١٥٢٢ ، ١٥ أيلول ١٩٤٢ .

(٢) كان لقبه الرسمي « سفير حكومة صاحب الجلالة البريطانية في العراق » وقد ظل يحكم بأمره طيلة مدة الحرب .

والمقدرة والهدوء وكل صفات المسؤولين الاستعماريين الإنكليز ، كان كورنواليس ، دون شك ، رجلاً يصغي له نوري بانتباه ممزوج بالاحترام اذا أردنا الحديث بلهجة مخففة ، ولهذا ساورني الظن بأن نوري كان واقعياً وانه لمن غير المتوقع أن يتورط في نزاع يدور ، من الناحية النظرية ، حول التحرر التام من السيطرة البريطانية ، وأنه يعرف أن الزمن إلى جانبه في مسألة بناء أول دولة عربية حديثة ومستقلة بشكل حقيقي [١] .

كانت مأدبة العشاء التي أقامها نوري صورة من ألف ليلة وليلة عن الشرق الأوسط . وكنا قد أمضينا سحابة النهار ، في التفرج على معالم بغداد والمنائر الذهبية المذهلة المتسامقة في الفضاء لمسجد الشيعة العظيم [٢] ، وجدرانها المتربة المشيدة من الطابوق ، ومنازلها ، وأحد الأسواق حيث كان حرفيو النحاس والفضة يصنعون القدور والأباريق ، بيد أن المخازن لم تكن تحوي وتبيع سوى الحلي وأدوات الزينة المصنوعة في نيويورك وليفربول [٣] : زرنا كذلك أحد أبدع المتاحف [٤] حيث توجد آثار أور والكلدانيين التي تعود إلى بداية تاريخ البشرية بالذات ، ومقهى احتسينا فيه البن العربي الغامق مع حشود الناس وهم يتبادلون الأحاديث ، ويقرأون

---

(١) طبقاً لمفهوم «نوري» بالطبع وقد عرف العراقيون جيداً الطعم المر لهذا «الاستقلال» مما أدى ، في خاتمة المطاف ، إلى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أنهت النظام الملكي وبطشت بأركانه أشد البطش .

(٢) يقصد جامع « الكاظمين » .

(٣) مدينة انكليزية معروفة .

(٤) المتحف العراقي وكان آنذاك في « الرصافة » قرب سوق « السراي» في شارع « الأمين ».

الصحف أو يمارسون لعبة النرد ( الطاولي ) من حولنا [١] .

## الشرق والغرب

وحتى بالمقارنة مع الخلفية السابقة ، فان مأدبة العشاء تدخل في باب الخيال . فبعد بعض الخطب الرسمية ، تحولت المأدبة إلى حفلة موسيقية

---

(١) تنقلات المستر ويلكي في العاصمة وضواحيها : كان سكان العاصمة طيلة امس واليوم الذي قبله ، يترقبون بلهفة وشوق واهتمام ، مرور المستر ويندل ويلكي في الشوارع ليحيوه ويبرهنوا له على وفاء العراق لحلفائه وتعلقه بعهوده ومواثيقه واندفاعه في سبيل القضية العامة المشتركة وما آن تاوح سيارة الزعيم الاميركي ترّف عليها الراية الاميركية ، حتى ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة ، والأكف تصفق له .

والظاهر ان المستر ويلكي وهو في اول زيارة له لبلاد ألف ليلة وليلة ، لم يشأ ان يكتفي بالمظاهر الرسمية التي يلقاها في كل مكان ، بل اراد ان يتجول في داخل العاصمة وضواحيها ، ليقف بنفسه على مختلف نواحي العمل والحياة في العاصمة العراقية ، ومع اننا لم تصلنا التفاصيل الكافية عن تطوافه مساء اول أمس ويوم أمس ؟ إلا ان ذلك لا يمنعنا عن تقديم بعض ما وصلنا عنه .

قصد المستر ويلكي ناحية الأعظمية ثم ذهب إلى مدينة الكاظمية ، وكان استقبال الأهلين له في هاتين المدينتين بالغاً منتهى الروعة . وقد ترك ذلك في نفس الزعيم الأمريكي أثراً طيباً . اكبر في العراقيين المحافظة على تراثهم الخالد وتقديسهم لأمتهم واحاطتهم بهالة من الحب والتقديس . ثم طاف في الأسواق فمر بسوق الصفارين وتفرج على هذه الصناعة « اليدوية » المتقنة ، ثم مر بسوق البزازين وهو سوق الأقمشة ، ومنه نفذ إلى شارع السموأل . =

وأصبحت الأخيرة معرضاً لفتيات الرقص العربيات [1] . ومن ثم صارت حفلة رقص غربية اشتركت فيها الممرضات الإنكليزيات والجنود الأمريكان من البصرة والضباط العراقيون تحت السماء العربية . إنه ما من أحد شاهد تلك الأمسية ويظل متمسكاً برأيه أن الشرق والغرب لن يلتقيا، أو ان الله مصمم على إبقاء العرب شعباً صحراوياً يحكمه الأجانب القادمون من وراء البحار. »

والآن إلى حديث الصحف العراقية : « استقبل المستر ويندل ويلكي مندوبي الجرائد البغدادية صباح امس استقبالاً خاصاً في الجناح المفرز له من البلاط الملكي وذلك قبيل طيرانه إلى طهران فخطب فيهم قائلاً :

« لم أقل قط قولاً أصدق مما افضيت به إلى رئيس الوزراء شاكياً إلى فخامته أن لصوص بغداد في العصر الحديث قد سلبوني فؤادي، وقلت له أيضاً الليلة البارحة إنني قد طرت إلى هذه العاصمة على بساط ريح حديث الاختراع وعلي أن احذو حذو سندباد البحري فأقصد موانىء جديدة حيث أؤمل ان استفز همم غيرنا من أولئك الذين يتعشقون الحرية ليناضلوا من أجلها . وأريد أيضاً أن أثني ثناء عاطراً على رئيس وزرائكم فقد وجدته يدرك ما يجب عمله بعد هذه الحرب ، لكي يستطيع الناس من شعوب الأمم الصغيرة والكبيرة على السواء أن يحيوا حياة طيبة في ظل حكومات يختارونها هم أنفسهم ، هذا فضلاً عن ادراك فخامته معضلات الكفاح الحالي .

---

= وفي مساء أول أمس بينما كـان يسير في البتاويين لفت نظره إنتشار الملاهي ( الواقع المقاهي ) في شارع السعدون وهي ملأى بالجالسين ، فأعرب عن رغبته في أن يجلس في واحدة منها وكانت مفاجأة طريفة عندما وقفت سيارة ويلكي ومعه بعض الموظفين الذين انتدبوا لمرافقته أمام احدى المقاهي ونزوله منها ثم جلوسه مع الأهلين في المقهى . » الزمان ، ١٤ أيلول ١٩٤٢

(١) أي الراقصات من « الغجر » أو « الكاولية » ،

« وكان لما بدا لي من ادراك رئيس الوزراء وباقي موظفي هذه البلاد قضية العراق برمتها، وأيضاً قضية الشعوب العربية الأخرى في الشرق الأدنى وقع شديد في نفسي . . وقد وجدت فضلاً عن ذلك كلاً من رئيس الوزراء والموظفين الآخرين وأهل البلد الذين اجتمعت بهم هنا، أناساً طيبين من أولئك النساء والرجال الذين أرتاح إلى معرفتهم ومعاشرتهم ، وقولي هذا يصدق على جميع موظفي الحكومة وغير الموظفين من أهل البلد الذين لقيتهم . وأعيد ما قلته الليلة البارحة انني إؤمل أن اعود إلى العراق بعد أن يخيم السلام على العالم وأتمتع تمتعاً حقيقياً لا يشوبه هم بلياليي بغداد الملاح.

« وكذلك كان من دواعي الغبطة لي ولرفاقي زيارة المدينة في انحائها التاريخية والتجارية والذي سرني كل السرور زيارتي المقاهي مرتين، حيث سنحت لي الفرصة لمشاهدة سكان بغداد من غير موظفي الحكومة ولا من ذوي الشأن بل كانوا من عامة الناس . وهذا المشهد هو أجمل مشهد تقع عليه عين المرء في العالم أينما حل . والذي شاهدته من بعض العاب النرد (الطاولة ) يجعلني لا أقدم على لعب النرد مع هؤلاء الناس خشية أن يغلبوني في اللعب لأنهم على ما خيل إلي كانوا جد بارعين في اللعب .

« ولم يبق لدي شيء أقوله غير شكري لكل انسان في بغداد . »

* * *

وتكلم السيد سلمان الشيخ داود [1] باسم رجال الصحافة فقال :

(١) ابن الشيخ « أحمد الداود » وزير الأوقاف أيام « فيصل الأول » وشقيق « صبيحة الشيخ داود » أول حقوقية عراقية . شغل عضوية مجلس النواب أكثر من مرة وكان معروفاً جيداً بموالاته المطلقة للانكليز ونوري. صار مديراً لفرع وكالة الأنباء العربية التي يمتلكها الإنكليز وهو الفرع الذي حطم كلية من قبل المتظاهرين أثناء انتفاضة تشرين الثاني ، ١٩٥٢

« إنهم ليرغبون في أن يشكروا المستر ويلكي بالنيابة عن الشعب العراقي وليؤكدوا له أن للعرب قاطبة من البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الهندي ثقة تامة بانكلترا وأميركا » . واستطرد السيد سلمان قائلاً : لم يحدث قبل الآن أن قوبل أجنبي بمثل هذا الترحاب الذي قوبلتم به بصفتكم الشخصية وكممثل للولايات المتحدة الأميركية . ولو كان في وسعكم المكوث هنا لأريناكم حياة هؤلاء الناس العوام الذين تكلمتم عنهم، وأن نريكم أنهم أناس كسواد الشعب الأميركي المتعشق للحرية والديمقراطية » . وهنا قال المستر ويلكي أنه قد تأثر جداً « وأن العوام في العالم هم الذين يجعلون العالم خليقاً بالعيش فيه ». واستأنف السيد سلمان كلامه فقال : «اننا لشاكرون لكم مجيئكم إلى هنا وشاكرون لأميركا أيضاً ما أظهرته من اهتمام بضمان تحقيق أماني العرب وآمالهم في المستقبل ». فأجاب المستر ويلكي عن ذلك بقوله: «أن اعظم رجل عاش في أميركا وهو ابراهام لنكولن كان يقول دائماً : « ان الله عز وجل يحب العوام لأنه يخلق كثيراً منهم » [1] ».

والآن ، ماهي الانطباعات الأخيرة للمبعوث الأميركي عن زيارته ؟

إنه يرد بقوله : « وفي اليوم التالي، وأنا أشق طريقي من بغداد إلى طهران ، كنت أمعن التفكير في أحداث الليلة السابقة . وسرعان ما أصبحت على ادراك لبعض التيارات الخفية الخطيرة خلف جو المرح والحبور هذا ؛ وهي نفس التيارات التي لاحظتها من قبل عند التحدث إلى الطلبة ، ورجال الصحافة ، والعسكريين في شتى أرجاء الشرق الأوسط . وكل هذا زاد من اقتناعي بأن ذلك الشعب الذي استيقظ من سباته من جديد سيكون أفراده

---

(١) جريدة الأخبار ، ١٥ أيلول ، ١٩٤٢ .

أتباعاً لقائد متطرف من نوع ما خلال هذا الجيل اذا لم يتم سد جوعهم الجديد إلى التعليم والتخلص من الأساليب الحكومية البالية .

« ان الحجاب ، والطربوش ، والمرض ، والأوساخ ، وشحة التعليم ونقص التنمية الصناعية ، ان كل هذه ممتزجة في أدمغتهم على أنها تمثل ماضياً مفروضاً عليهم من جانب خليط من القوى داخل مجتمعهم الخاص ومن قبل المسيطرين الأجانب الذين لا يهمهم سوى ارضاء مصالحهم الذاتية » [١] .

---

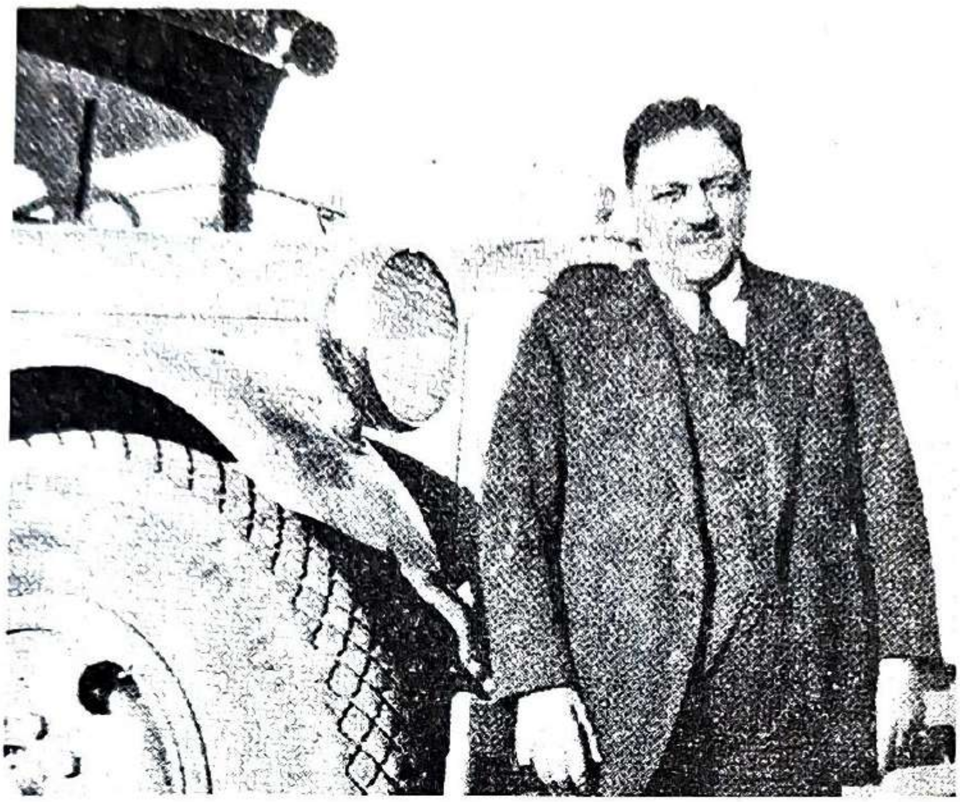
(١) ومن المهم الإشارة إلى أن لهجة « ويلكي » هذه لا تخفي أن جولته كانت ذروة اهتمام الولايات المتحدة بالمنطقة العربية حتى ذلك الحين ، والذي جسد نفسه في التغلغل السياسي والاقتصادي والعسكري بعد الحرب العالمية الثانية .

# الفهرست



ياسين الهاشمي اثناء ادلائه بصوته في انتخابات رئاسة مجلس النواب عام ١٩٣٦ .

جعفر العسكري





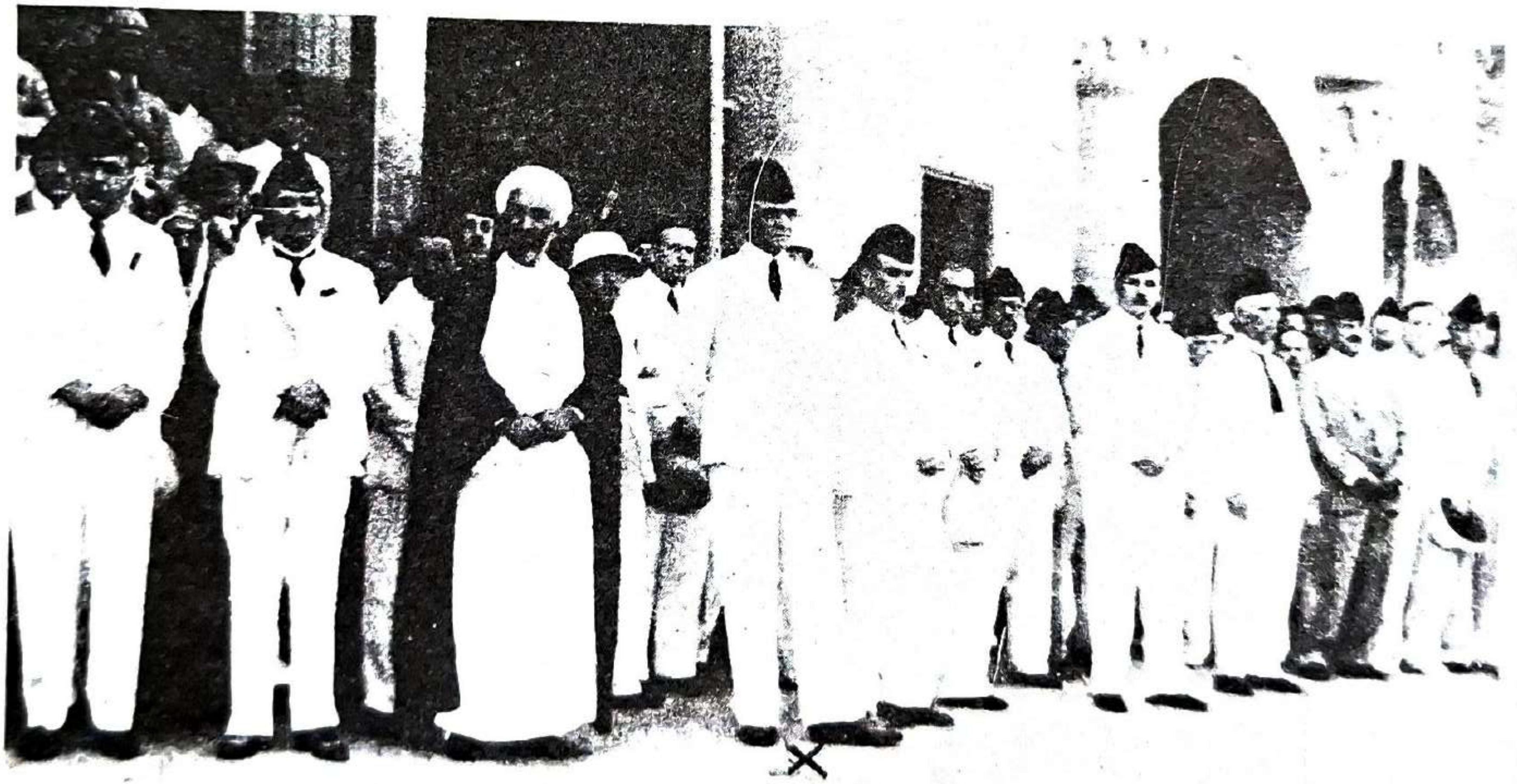
كامل الجادرجي في
صورة اخيرة له قبل
وفاته عام ١٩٦٩

جعفر أبو التمن



محمد مهدي كبه يتوسط نجيب الربيعي (الى اليسار) رئيس مجلس السيادة بعد ثورة ١٤ تموز وخالد النقشبندي عضو المجلس





حكمت سليمان وعن يمينه الشيخ محمد رضا الشبيبي ومصطفى العمري وعن يساره ناجي الأصيل وزير خارجيته، بانتظار وصول جثماني بكر ومحمد علي جواد من الموصل في ١٢/٨/ ١٩٣٧



صورة نادرة للملك غازي وهو يجري الفحص على محطة الاذاعة في قصر الزهور ١٩٣٩



رزء الوطن

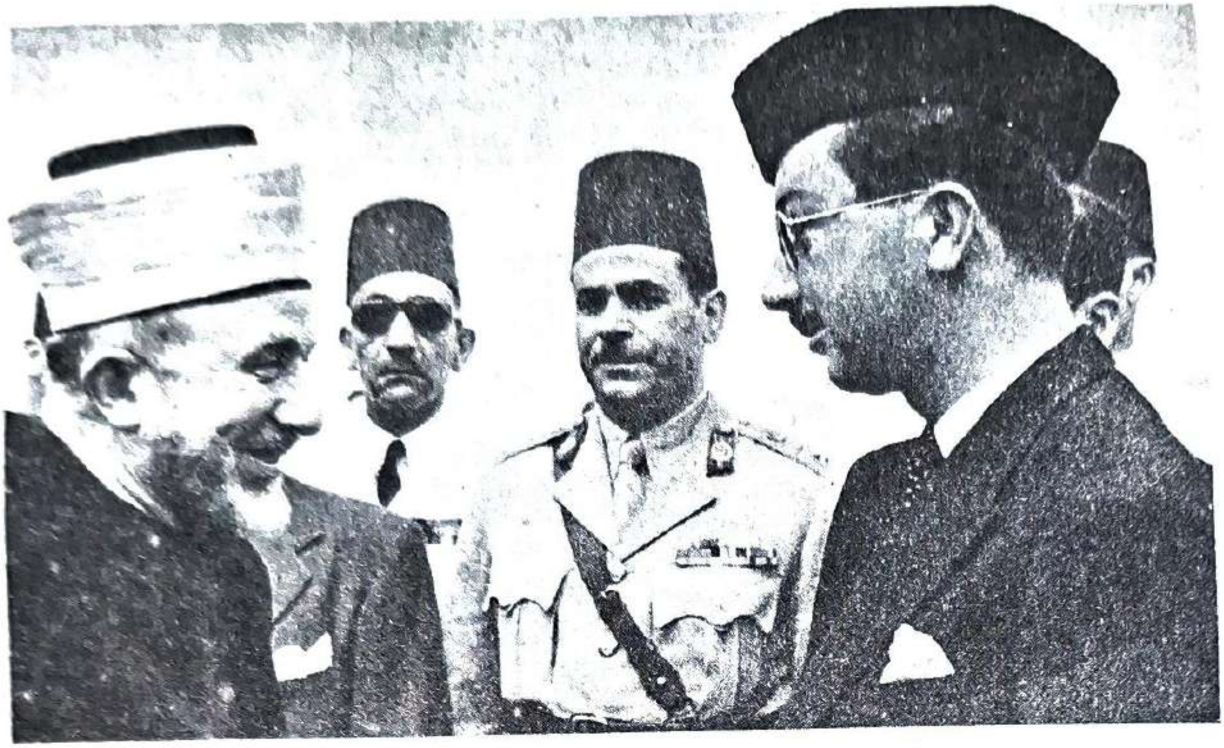
بمصرع الوزير الخط

معالي الاستاذ رستم حيدر

تقرير صحفي عن اغتيال رستم حيدر عام ١٩٤٠



آخر صورة للملك غازي قبل مقتله بأيام وهو يحضر مناورة عسكرية ويبدو خلفه كل من طه والكيلاني والفريق حسين فوزي رئيس الاركان.



عبد الإله والحاج أمين الحسيني



صلاح الدين الصباغ

طه الهاشمي

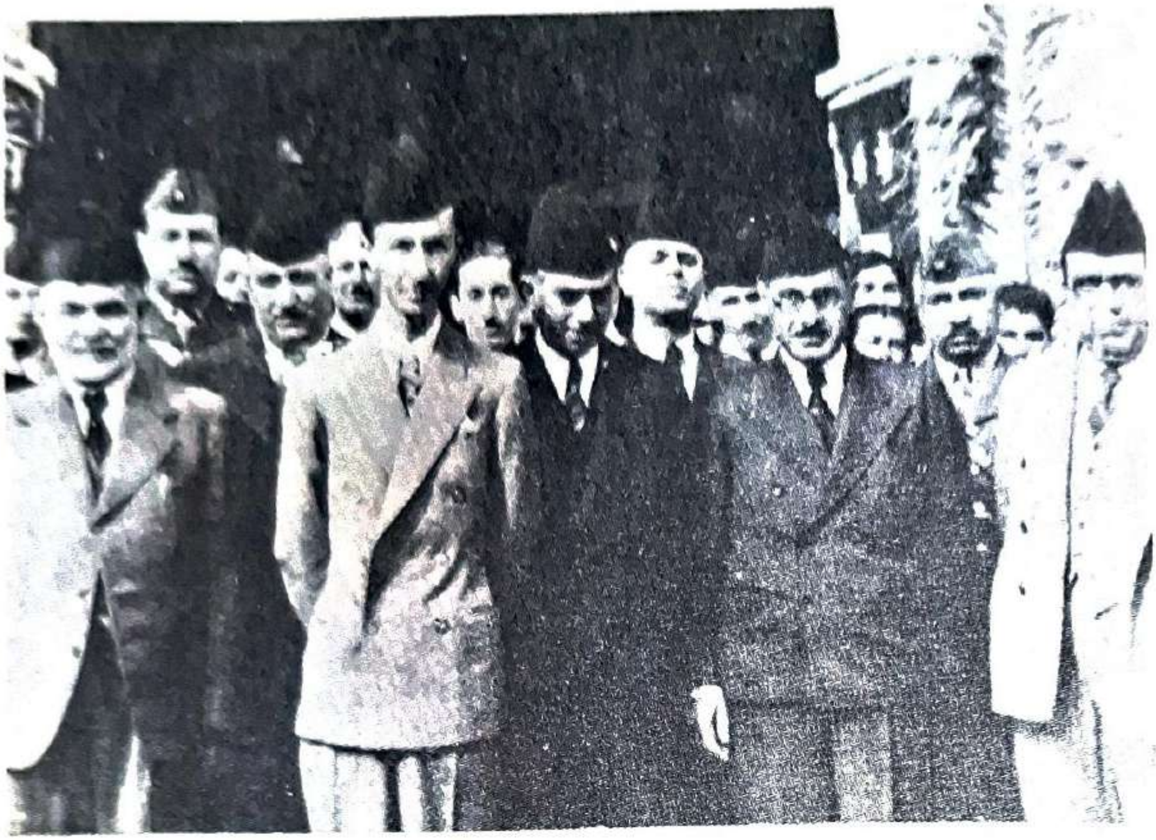




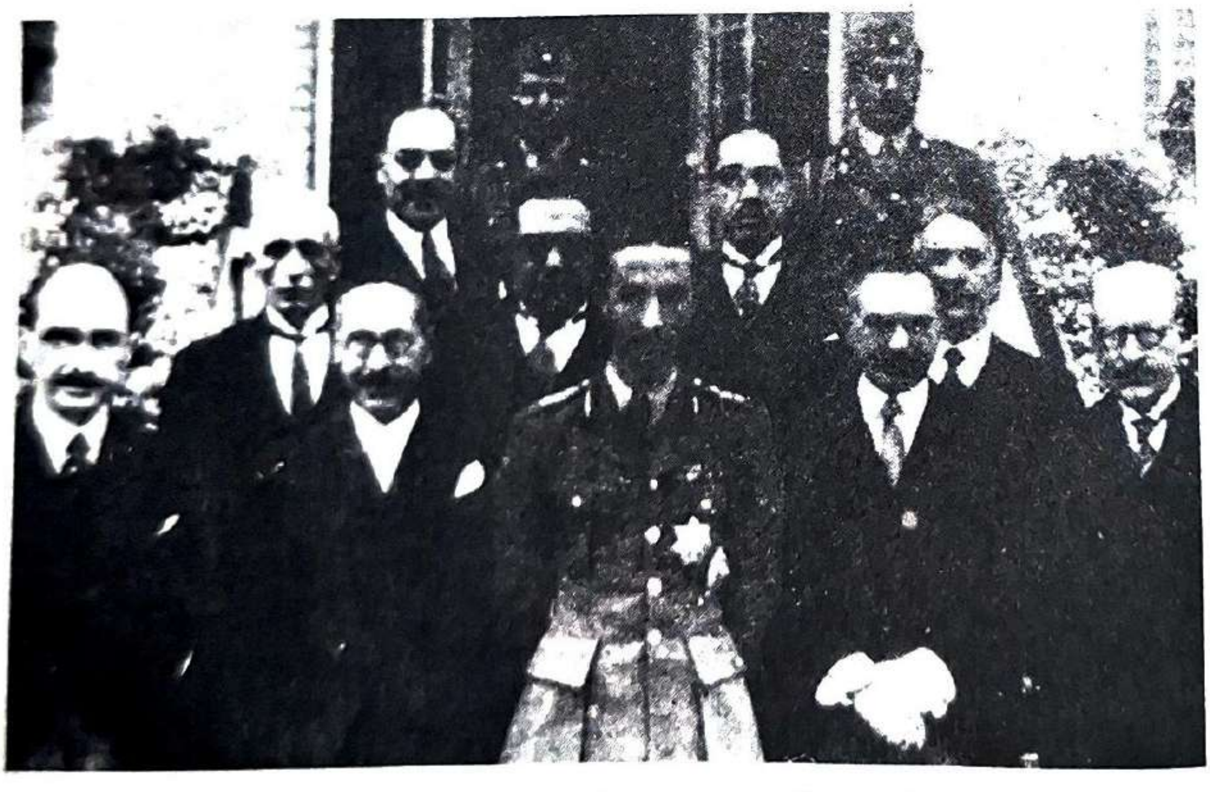
فهمي سعيد



صالح صائب الجبوري



صورة التقطت في البلاط الملكي عام ١٩٤٠، ويبدو فيها عبد الاله ونوري السعيد والجيلاني بينما يمد طالب مشتاق رأسه من فوق كتف نوري مباشرة.



وزارة رشيد عالي التي تألفت في آذار ١٩٤٠، مع الوصي ويبدو نوري السعيد وناجي السويدي عن يساره والكيلان وناجي شوكت عن يمينه.



الملك فيصل في باريس عام ١٩٤٧، وخلفه شاكر الوادي بينما يتوسطهما المرافق عبيد عبد الله المضايفي

المفتي مع الكيلاني في مجلس الوزراء
أثناء الثورة






تقرير صحفي عن وجود الحاج
أمين في بغداد عام ١٩٣٩.

## No. 457

83/61180-90

*The Minister in Iran to the Foreign Ministry*[1]

**Telegram**

MOST URGENT
SECRET
No. 336 of May 5

TEHRAN, May 5, 1941—5:32 p.m.
Received May 5—8:15 p.m.

The special representative of the Iraq Government, Talib Mushtaq, until now Iraq Consul General in Palestine, arrived in Tehran today for the purpose of conveying a message from his Government to the Italian Minister and me. The special representative was properly identified by the Iraq Chargé d'Affaires here. He also brought a letter of recommendation from the Italian Minister in Baghdad.

In the presence of the Iraq Chargé he transmitted the following message from the Iraq Government to the Italian Minister and me:

1. The Iraq Government asked the German Government for the resumption of diplomatic relations and, if that request were granted, for the immediate dispatch of an envoy to Baghdad.

By this communication the Iraq Government wanted expressly to confirm the identical instructions which it had telegraphed to the Iraq diplomatic representatives in Tehran and Ankara[2] a few days ago.

2. The Iraq Government asked the German Government for the dispatch of military experts to Baghdad as soon as possible so that General Staff talks might be started.

3. The Iraq (evidently "Government" missing) asked urgently for the immediate dispatch of bomber and fighter planes. The Iraq Army was in the most urgent need of antitank guns, antiaircraft guns, machine guns, as well as ammunition, which might be brought up by air.

4. Iraq troops had all oil fields and refineries in Iraq firmly in their hands. All British employees were under arrest. All the installations were in good condition. All precautionary measures for the protection of the entire installations had been taken. Since attacks on the oil fields and installations by the Royal Air Force had to be expected it was necessary that fighter planes be sent without delay.

5. At the moment, the Iraq Army had the situation in hand in the whole country, but it was in very urgent need of the arms listed under point 4. In addition, there was a lack of heavy artillery and tanks.

6. The Iraq Government was asking the German and Italian Governments that they consider how steps taken by the English from

---

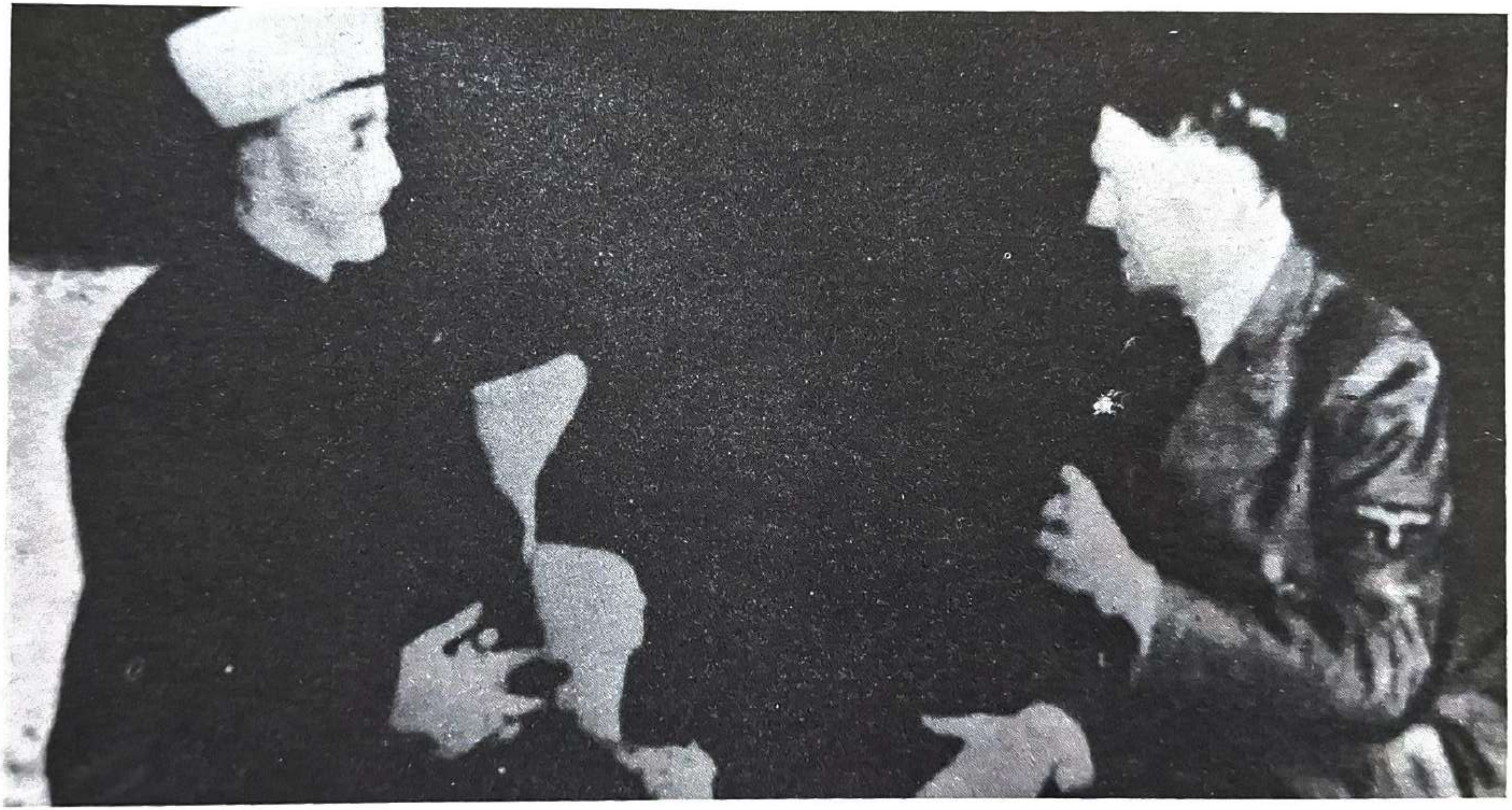
[1] Marginal notes:
In Ribbentrop's handwriting: "[For] F[ührer]."
"Shown to the Führer. Hew[el]l, May 7."

[2] See document No. 432.

صفحة من تقرير «ايتيل» وزير المانيا المفوض في طهران عن مهمة «مشتاق» مأخوذة من وثائق وزارة الخارجية الالمانية



فون ريبنتروب، وزير خارجية المانيا، يوقع على ميثاق عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفييتي في آب ١٩٣٩ والذي أسفر عن تقسيم بولندا بين الدولتين، ويبدو خلفه «جوزف ستالين» ووزير خارجيته مولوتوف.



لقاء هتلر والمفتي ويبدو ان الألمان تعمدوا تعتيم الصورة لغاية أمنية.



الحاج أمين الحسيني في برلين ويبدو معه الرئيس التونسي بورقيبة الذي كان في المنفى أثناء الحرب العالمية الثانية.

منشور ألقته الطائرات البريطانية على بغداد أثناء ثورة مايس ١٩٤١.



١

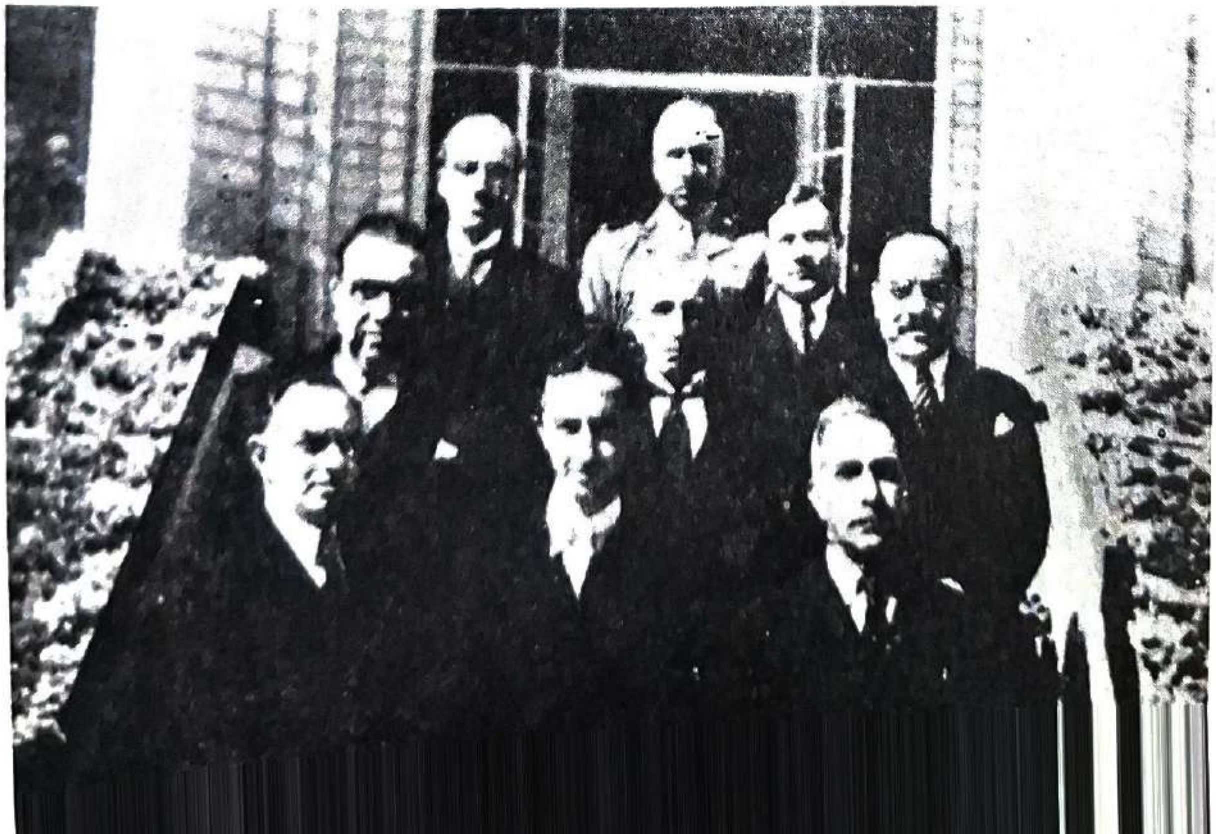
بيان

# من بريطانيا العظمى الى الامة العراقية

بعثت الحكومة العراقية قوات عسكرية إلى معسكر سلاح الطيران الملكى البريطانى بالحبانية تطلب من قومندانه بأنه لم يعد مسموحا لهم بعمل أية تمرينات وأنه فى حالة ما إذا قامت احدى الطائرات أو تحركت القوات من المعسكر سيطلقون عليهم النار.

والحكومة البريطانية لا يمكنها أن تفهم السبب الذى أدى الى اتخاذ هذا التدبير المناقض للمعاهدة المعقودة بين الشعبين. كما أنه لم يحدث أى خلاف مع أصدقائهم شعب العراق. وقد أبلغت حكومتهم بأن القوات البريطانية بالحبانية ستستمر على اجراء التمرينات. واذا ما حدثت أية حالة عدائية ضد الجيوش البريطانية ستنتقم فى الحال بنسف دوائر الحكومة ببغداد والجيش العراقى.

وزارة طه التي تألفت في شباط ١٩٤١ مع الوصي في البلاط الملكي





الملك عبد الله مع الجنرال كلوب باشا (ابو حنيك) وضابط بريطاني عضو في قيادة الفيلق الأردني.



غازي الداغستاني في موقف بغداد بعد اعتقاله ليلة ١٤ تموز ١٩٥٨.



إرشد العمري أمين العاصمة



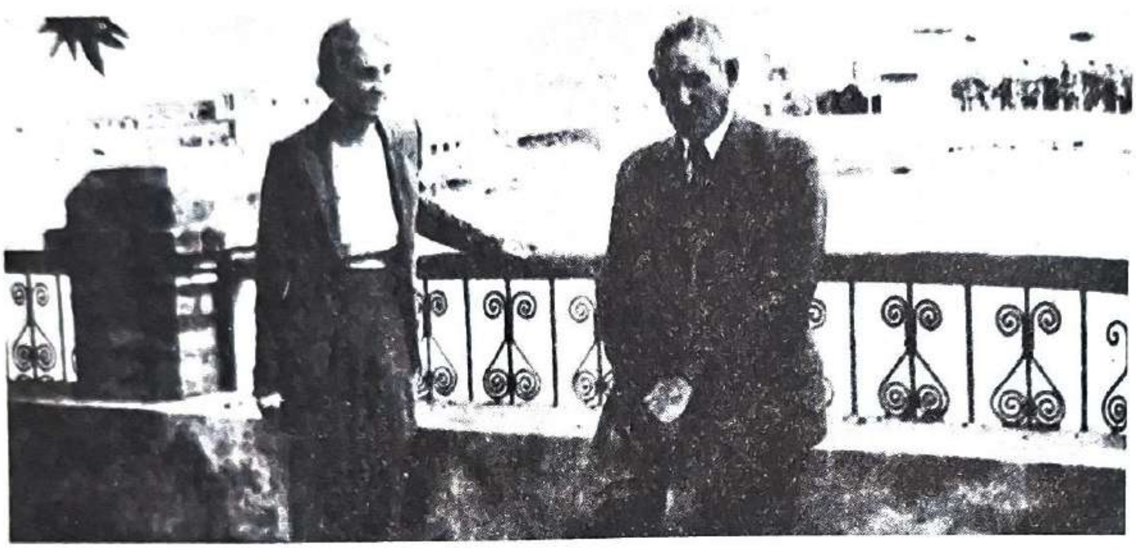
داود الحيدري



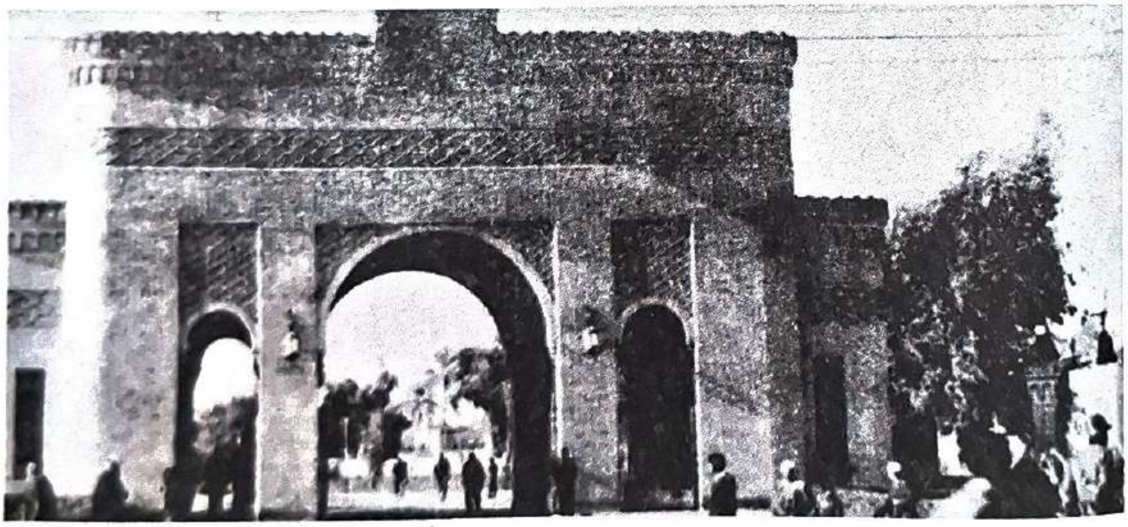
انطوني ايدن، وزير الخارجية البريطانية يتفقد قطعات الفيلق الأردني في فلسطين عام ١٩٤١، ويبدو خلفه الجنرال ويفل القائد العام في الشرق الأوسط.



عبد الإله ونوري مع الجنرال الكسندر القائد العام للقوات البريطانية في العراق وايران عام ١٩٤٢.



السفير كورونواليس وقرينته على ضفة دجلة في صورة داخل السفارة اثناء ثورة مايس.

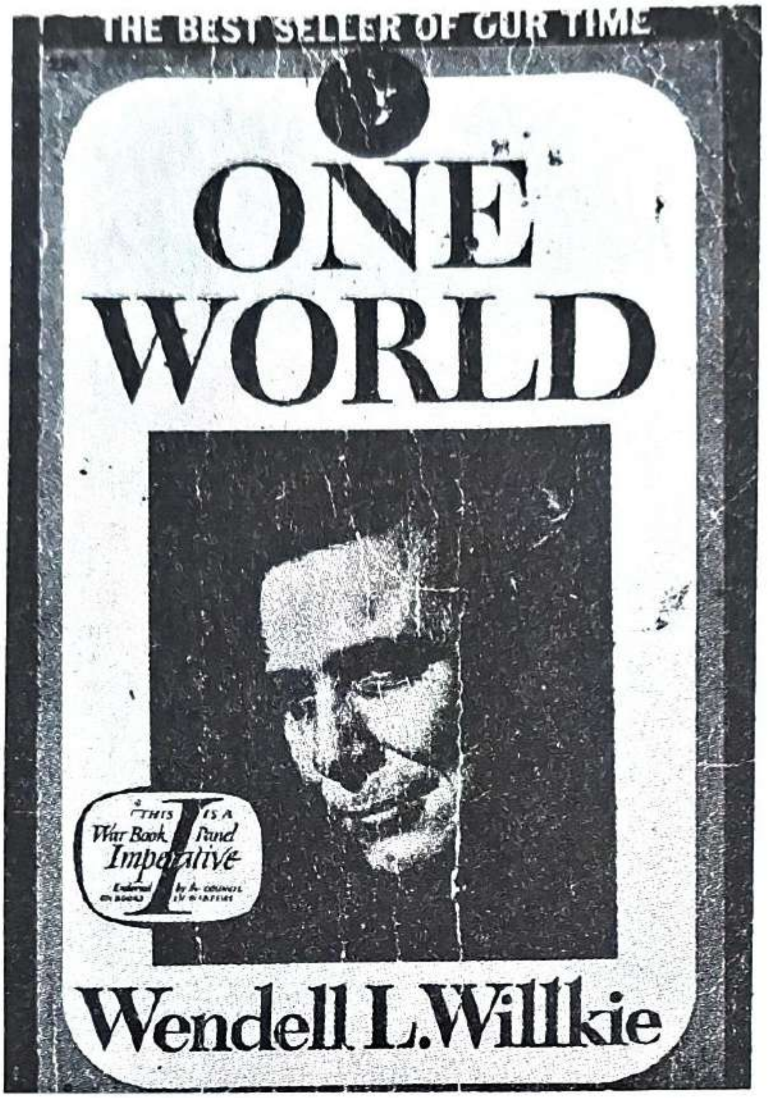


وزارة الدفاع عام ١٩٤٥، حيث شنق الشهيد الصباغ.



أمام قصر الزهور: ٢ حزيران ١٩٤١ نوري السعيد (بيده مسبحة) وعلي جودت والمدفعي في استقبال الوصي بعد عودتهم من الحبانية.

غلاف كتاب «عالم واحد» وعليه صورة «ويندل ويلكي»




صورة التقطها «ويلكي» أثناء مأدبة الرحاب ويبدو «عبد الاله» وعن يساره «محمد الصدر» رئيس مجلس الأعيان.



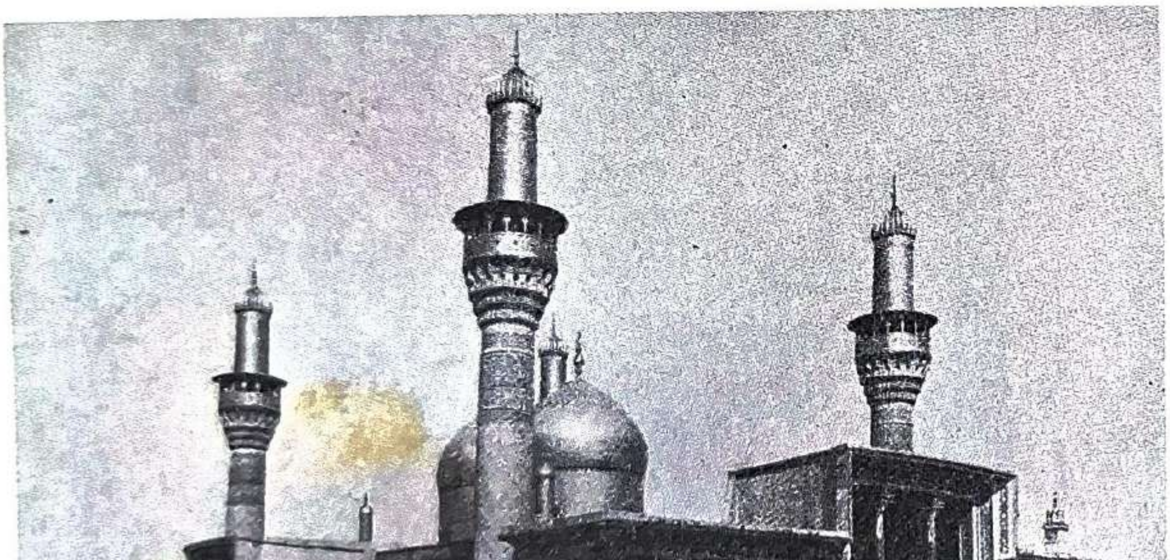


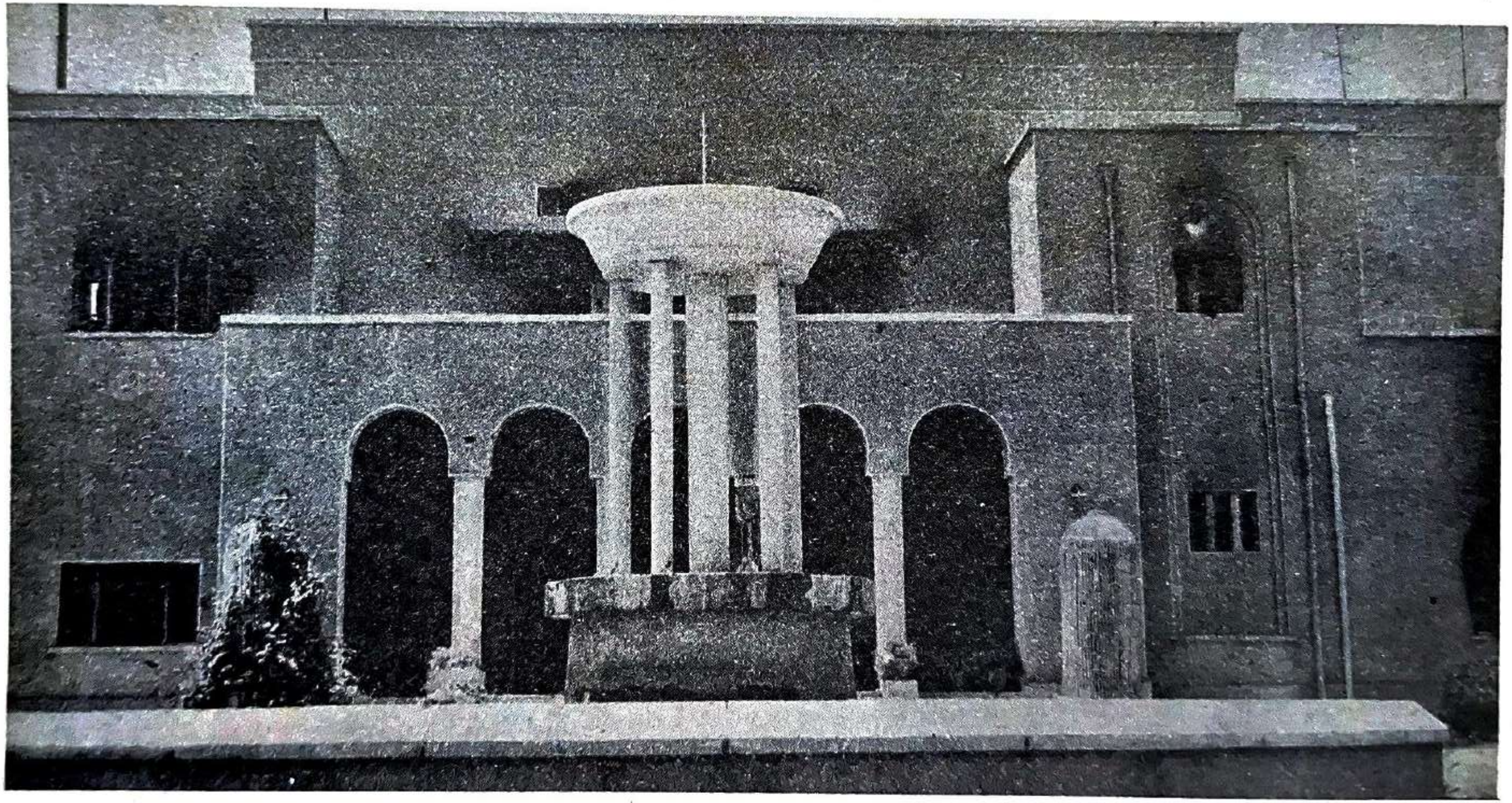

موكب وندل ويلكي في نيويورك اثناء حملة الرئاسة لعام ١٩٤٠



نوري السعيد في مجلس الوزراء بعد تاليف حكومته الخامسة عام ١٩٤٢.

مسجد الكاظمين الذي أثار دهشة الزائر الاميركي.





قصر الرحاب بعد اضرام النار فيه صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨.

# صفحات مطوية من تاريخ العراق

هذا كتاب كان الدافع إلى وضعه، كما يقول مؤلفه، اظهار ما استتر من خفايا تاريخ العراق الحديث، فهو يعتقد بأن هناك جوانب من تاريخ العراق المعاصر ما تزال غامضة بل مجهولة في معظمها، الأمر الذي يتطلب مزيداً من الانكباب على دراسته لإماطة اللثام عن هذا المجهول.

لقد أمضى المؤلف سنوات في جمع المعلومات وتكديس الوثائق والصور وتصنيفها ليرفقها بكتابه شواهد حية على كل ما ذكر. والتاريخ - وخصوصاً الحديث منه - اذا لم يكن مقروناً بالوثائق والشواهد الصادقة يبقى ناقصاً بل مبتوراً، وهذا ما تحاشاه المؤلف حين دعم كتابه بوثائق ما زالت عن الكثرة مجهولة أو في حكم الضائعة.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون . ساقية الجنزير . ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقياً - موكيالي - بيروت . ص . ب ٥٤٦٠ / ١١ بيروت

الثمن ١٣ ل . ل .